الشيخ فيصل الكاظمي

المحراب والحياة

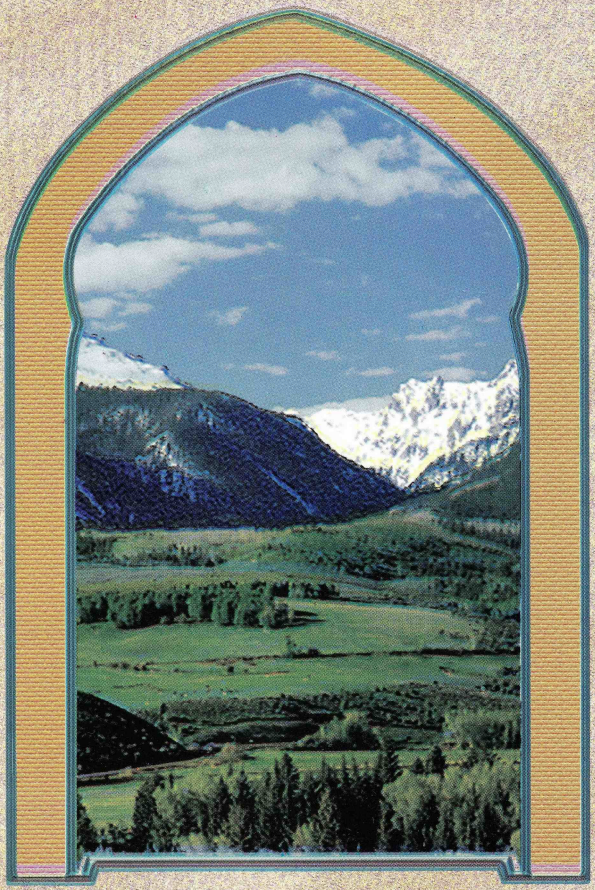

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

المحراب في الحياة

المحراب والحياة

الشيخ فيصل الخالدي
(الكاظمي)

دار القارئ
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦ - ٠٣/٤٠٤٠٧

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة
الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: ٠٣/٤١٣٢٥٦ - ٠٣/٤٠٤٥٠٧

الإهـــداء

الى معلمي الأول في درب الهداية..
شهيد الإسلام
الشيخ عبد الجبار البصري
إمام المحراب الذي أخذت منه الكثير
ومازلت أنهل من عطائه في هذه الحياة.

فيصل

تقديم

بقلم العلامة الحجة السيد عبد الله الغريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد ربِّ العالمين والصَّلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وآله الهداة الميامين وبعد:

فإنَّ الكلمة في سياق الترشيد الروحي والثقافي تمثل «مسؤولية الإلتزام» في خط الإسلام والعقيدة؛ مما يعطي للإنتماء فاعليته وحركيته وهادفيته، وبمقدار ما تكون الكلمة واعية بصيرة يتحدد المسار الأصدق والأقدر على صياغة الواقع الأقرب إلى قيم الدين ومفاهيم الرسالة.

وفي مواجهة حركة التثقيف التحريفي والانحرافي تتأكد الحاجة إلى «أصالة التثقيف» في منطلقاته القرآنية والنبوية والمعصومية، وكلمّا تأصلت حالة الانتماء كان التثقيف أكثر رشداً وطهراً ونقاء وبصيرة.

والتثقيف له مساران:

١ـ التثقيف النخبوي.. وهنا يتم التعاطي مع نخب ثقافية متميزة، بما يفرضه هذا التعاطي من مستوى خاص في الخطاب والأداء واللغة.

٧ـ التثقيف الجماهيري.... وهنا يتم التعاطي مع الإمتداد الأكبر من الناس في مستوياتهم المتنوعة، بما يفرضه هذا التعاطي من «ثقافة شعبية» في لغة الخطاب وأسلوبه وأدائه.

والكلمات التي تحتضنها هذه الأوراق هي في هذا السياق الثاني؛ كونها أحاديث

عامة موجّه إلى شرائح متنوعة من الناس، لهذا اتسمت بالطابع الخطابي والإسترسال العفوي، ولم تتدخل «الصناعة الفنية» كثيراً في تكوينها وصياغتها.

ونتمنى لأخينا الشيخ الكاظمي وهو الخطيب المنبري الجاد الهادف، والرسالي الواعي، أن يتابع مسيرة العطاء الفكري والثقافي في ما هي الضرورات الكبيرة التي تفرضها معطيات الواقع المعاصر بكل إشكاليّاته وتحدّياته وحاجاته.

وهذه الحصيلة الثقافية التي بين أيدينا هي نتاج تجربة خصبة امتدت طويلاً مع «المحراب»، وثقافة المحراب، أغنى الثقافات التي ساهمت ـ عبر تاريخ الأمة ـ في صياغة أجيالها على كل المستويات العقيدية والفكرية والروحية والأخلاقية والفقهية والإجتماعية، وكان لهذه الثقافة دورها الأقوى والأوضح في تعبئة المسيرة، وفي تحصين الواقع الإسلامي أمام كل التحديات الصعبة.

من هنا كانت الضرورة في الاحتفاظ بهذه «النتاجات المحرابية» لتشكّل الزاد الأوفر والأنقى ـ فكرياً وروحياً ـ في عالم متخم بغثاءات فكرية، وإفلاسات روحية، تكاد تصادر هوية هذا الجيل، وتخنق كل معطياته الإيمانية... مما يؤكّد مسؤولية الكلمة الهادفة في حماية أجيال الأمة عند هذه المنعطفات الخطيرة، وفي زحمة هذا التيهان المسعور.

وآخر دعوانا أنه الحمد لله ربّ العالمين

عبد الله الغريفي

مقدمة الكتاب

قصتي مع المحراب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد رسول الله وآله الطيبين الطاهرين..

تعلقت منذ الصغر بالمسجد، وكنت أتوجه إلى مسجد حينا لاقامة الصلاة.. بعدما بادرت والدي بأن يعلمني الصلاة.. وكانت الصلاة تؤدى فرادى في المسجد لعدم وجود إمام له.. ولا انسى مغرب يوم صائف في عام ١٩٦٦ حـ نما قام أحد وجهاء المسجد السيد جبوري ليرفع صوته: إلى متى يبقى مسجدنا هذا بلا إمام؟.

ولا أذكر ماذا جرى بعد ذلك حتى فوجئت ذات ليلة بزينة ترفع في المسجد، فسألت ما الخبر، فقيل: في يوم غد يأتي إمام المسجد والذي عينه المرجع السيد محسن الحكيم (رضوان الله عليه). وفعلاً فقد جئت لاشترك في حفل استقبال امام المسجد، ووضع على عضدي شريط أخضر لأكون أصغر عضو في لجنة الاستقبال وكان عمري اثني عشر عاماً.. وجاء الكثير من العلماء.. ولم أكن أعرف حينها إلا افراداً منهم. إلا أن سيدين جليلين دخلا فاهتم بهما الحاضرون. فقيل لي: انهما من أولاد السيد محسن الحكيم..

وكان عريف الحفل الخطيب الرسالي الشيخ مجيد الصيمري وقدمّ امام المسجد باسم: الشيخ عبد الجبار البصري.. واذا به شاب بصري اسمر اللون، مستبشر الوجه، طليق اللسان بهر الحاضرين وشدهم بخطابه.

واذكر فقرة لا زالت تحتفظ بها ذاكرتي وهي قوله: لقد عاهدت الله تعالى والسيد الحكيم على أن أجعل من مدينة السلام (وهو اسم حينّا) مدينة للإسلام!!

ولقد كان صادقاً، حيث جاءت الأيام لتثبت لهذا الشيخ المجاهد نشاطاً استثنائياً شد الشباب إليه قبل الشيبة، شد النساء والرجال، حتى كان مسجد حي السلام مسجداً من أكثر مساجد بغداد حيوية ونشاطاً وبركة..

صلى الشيخ عبد الجبار اماماً وخلفه السيدان الجليلان وهما السيد مهدي والسيد محمد باقر الحكيم، ثم صلى الناس خلفهما. وهو عرف جرت عليه مراسم تنصيب امام جديد، حيث يصلي خلفه علماء كبار في ايحاء انهُ أهل للثقة والأئتمام به.

ثم كانت لي علاقة حميمة مع الشيخ عبد الجبار البصري، لاسيما في أوائل سني وجوده في المنطقة، وكنت أجلس إليه، فاجد فيه العالم الهادف؛ الحريص على اداء مهمته ورسالته باخلاص وصدق واندفاع.

وكانت لمحاضرات الشيخ البصري بين صلاتي المغرب والعشاء أثر وأي أثر في تربيتي وتنشئتي وثقافتي الدينية، وكنت منشداً إلى كلماته الصادقة وأسلوبه الرائع ومعلوماته الثرة.. ومنذ تلك الأيام غرست في نفسي بذرة الرغبة بالدراسة الحوزوية.. وراحت تكبر معي وتزداد رغم تلك الظروف القاسية التي أحاطت ـ ولا زالت تحيط ـ بالعلماء الواعين والشباب المؤمن..

وكم حاولت مع والدي أن يوافق على ذهابي إلى النجف الأشرف والتشرف بالدراسة على أعتاب بركات جوار أمير المؤمنين (ع)، ولكن والدي من شدة خوفه عليّ وحرصه كان لا يبدي موافقة على هذا الطلب، رغم تدينه وشدة ارتباطه بأهل البيت عليهم السلام..

واشتدت الظروف قساوة.. وذهب الشيخ عبد الجبار البصري إلى ربه شهيداً مع كوكبة من أفاضل العلماء وخيرة الشباب الرسالي في بلد المقدسات..

ثم كانت الهجرة.. ورغم قساوة الغربة والبعد عن الأهل والوطن.. إلا أن بارقة أمل لاحت لي، حيث صار بمقدوري أن أحقق الرغبة القديمة، والامنية الدفينة في النفس.. الدراسة الحوزوية، وأنا أحاول الاقتداء بمعلمي الأول الشيخ عبد الجبار البصري.

وهكذا رحت أرمي بكل رغبتي واندفاعي في حوزة مدينة قم المقدسة وأنا أرى علماء حوزة النجف الأشرف، وأساتذتها هم المدرسون والأساتذة في قم.. ثم جاء يوم تشرفي بلبس العمامة في عيد الغدير عام ١٤٠٢ هـ وكان يوماً من أسعد أيام

حياتي، ولا زال..

وكنت أخرج للتبليغ أيام محرم وصفر وشهر رمضان، وفي عام ١٤٠٥ هـ. احييت موسم المحرّم في مدينة الأهواز، وفي مقام الصحابي علي بن مهزيا رالأهوازي أحد تلامذة الامامين الجواد والهادي عليهما السلام وإذا بأهل المنطقة يطلبون مني، وبالحاح أن اسكن عندهم، وأكون إمام مسجدهم، مسجد علي بن مهزيار وهو من أهم مساجد المدينة.. وبعد استخارة الله تعالى واستشارة العلماء والمؤمنين، عزمت على تنفيذ رغبتهم تلك وانتقلت باهلي إلى مدينة الأهواز..

واستلمت إمامة المسجد.. ووقفت في المحراب.. فعادت لي ذكرياتي مع محراب مسجد حينا ومع استاذي الشيخ عبد الجبار البصري.. وكم حمدت الله وشكرته على حسن توفيقه وكريم رعايته..

ورحت أخطو خطوات شيخي، في المحاضرات كل ليلة بين صلاتي المغرب والعشاء..

ثم بعد سنة ونصف قضيتُها. في تلك المنطقة كانت الهجرة الأخرى إلى الشام.. وفي جوار بطلة كربلاء السيدة زينب (ع)..

حيث كان لي شرف امامة المصلين في الحسينية الحيدرية.. وبدأت باحاديث بين صلاتي المغرب والعشاء. احاديث مختصرة، ومركزة، ومتنوعة مراعياً الفائدة، وعدم اثقال المصلين بالاطالة.. فارتاح المؤمنون لذلك، ورحت التمس آثار الأحاديث فيهم.. حتى سألني بعضهم: أتكتب ما تلقيه علينا من أحاديث؟

ومن هنا نشأت فكرة هذا الكتاب، حيث رحت اسجل المواضيع التي كنت القيها على المصلين حتى كانت مائة موضوع..

وهي مواضيع في جوانب متعددة؛ عقائدية واخلاقية وتربوية، وان كان يغلب عليها الجانب الأخير لمسيس الحاجة إليه. وكل موضوع على شكل فكرة تؤيد بنصوص من القرآن الكريم أو أحاديث المعصومين عليهم السلام، أو شواهد أدبية وتاريخية..

ويمكن أن تكون هذه المواضيع في خدمة الأخوة المبلغين، أو تكون شواهد يمكن الاستفادة منها ضمن محاضراتهم أو مجالسهم الحسينية ـ بالنسبة لخطباء المنبر الحسيني ـ.

كما أنها مفاهيم راعيت فيها الوضوح وعدم التعقيد، ويمكن بذلك أن تساهم في

تربية الشباب وأسلوب الثقافة الجديد الذي يعتمد الوضوح وعدم التعقيد.

وقد اسميت هذا الجهد المتواضع بـ (**المحراب والحياة**). لأنها أحاديث قيلت في محراب الصلاة لتنطلق منه إلى الحياة.

وما اشد العلاقة في ديننا بين الصلاة والحياة

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾.

واسأله تعالى حسن القبول.

وأود ان اشكر كل الأخوة الأعزاء الذين حبذوّا لي فكرة هذا الكتاب.

وشكر جزيل لسماحة العلامة الحجة السيد عبد الله الغريفي على تقديمه الكريم لهذا الكتاب.

والحمد لله أولاً وآخراً.

فيصل الخالدي

المسجد قلب المجتمع

١

ما ان حل رسول الله (ص) في المدينة المنورة ومعه المهاجرون الأوائل، حتى أعلن عن بناء المسجد. . ودعا المسلمين جميعاً إلى المساهمة في اشادته ورفع صرحه. . وهكذا اندفع المؤمنون ومعهم نبيهم (ص)، يتسابقون في رفع الحجارة وإقامة الجدر. . وكان عمار بن ياسر (رض) يحمل لبنتين فيما يحمل غيره لبنة واحدة. وانت تسمع اشعاراً تردد أثناء ذلك البناء المبارك.

لا يستوي من يعمر المساجد يذهب فيه قائماً وقاعداً
ومن يرى من التراب حائدا

فلما أكمل بناؤه. اتخذه رسول الله (ص) مقراً لادارة شؤون المسلمين وأهل المدينة. ومنطلقاً تنطلق منه جيوش الفاتحين ومجامع المجاهدين، ومدرسة للعلم والتفقه في الدين ومحراباً للعبادة ومحوراً كبيراً للارتباط بالله تعالى. .

وهكذا صار المسجد قلب المجتمع، يضخ في كافة طبقاته وشرائحه روح الحياة والالتزام والعطاء.

ومن ذلك المسجد الكريم والمبارك راحت مساجد الدنيا تنتشر مع انتشار المسلمين، ودخول الناس في دين الله أفواجاً. ولعبت المساجد الدور الابرز في مجتمعات المسلمين فمنها كانت مصابيح تنير لهم سبل الخير والعلم، وجامعات خرّجت قوافل العلماء وحملة مبادىء السماء. . .

نعم فقد تزاوج العلم مع الدين في مساجد المسلمين، ولو رجعنا إلى تراجم العلماء الذين برزوا في دنيا الاسلام في كافة شؤون العلم، من طب وفلك وبصريات وكيمياء، لوجدناهم قد بدؤا بالمسجد وتتلمذوا فيه. ثم انطلقوا في مجالات تخصصهم تماماً كما بدأ العلماء في مجالات التفسير والفقه والحديث.

ولهذا فببركة هذه المساجد لم يتعقّد المسلمون ولا فقهاؤهم من النظريات العلمية

التجريبية لأن علماء الطبيعة كانوا فقهاء أيضاً!! واين هذا مما صنعته الكنيسة برجال العلم وحملة الأفكار العلمية. ؟

نعم فمن مساجد المدينة المنورة والكوفة وبغداد والأندلس، عمّ الخيرُ العالمَ حتى كان غير المسلمين يفدون إلى مساجد المسلمين لطلب العلم والاستزادة منه. وكلما كان المسلمون واعين لدور المسجد وعظيم ما يتركه من أثر في حياتهم وسلوكهم، كلما كانوا ملازمين لسبل الخير، في نفوسهم وتربيتهم واستقامتهم. وإن من المهمات الأساسية للمسجد هو كونه مصفاة لكل الأمراض والانحرافات التي قد تصيب الإنسان المسلم، وهو يعيش مجتمعه. يعود بعدها نقي القلب طاهر النفس نظيف السلوك إلى الحياة، فتعمر الحياة بالعطاء والاستقامة، لهذا جاءت الأحاديث التي تدعو إلى ضرورة الالتزام بالمساجد والمداومة على أتيانها.

عن أمير المؤمنين (ع).

(من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله أو علماً مستطرفاً أو آية محكمة أو رحمة منتظرة أو كلمة تردّه عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنباً خشية أو حياءً) (١).

كما جاءت الروايات التي تحذر المسلمين من هجران المساجد.

عن الإمام الصادق (ع):

(ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلّى فيه أهله وعالم بين جهال ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لا يقرء فيه) (٢).

فكما يحتاج المجتمع إلى مستشفى لعلاج الأمراض الجسدية.

فالانسان اشد حاجة للمسجد لأنه يعالج أمراض الروح والنفس في الاخلاق والسلوك والتعامل وتجاوز الأزمات والمسير بالأمة إلى سبل الخير.

---

(١) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٤ ص٣٩٧

(٢) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٤ ص٣٩٤

الصلاة في جماعة صلاة في قوة

٢

ورد في أحاديث أهل البيت (ع): (من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون الف حسنة ويرفع له من الدرجات مثل ذلك . .) (١).

إن لأهتمام الانسان المسلم باداء صلاته جماعة دوراً كبيراً في استقامته وسلوكه الملتزم، وأشاعة الخير والصلاح في المجتمع، وإن اقامة الصلاة جماعة تعني فيما تعني إقامة شعيرة من أهم شعائر الاسلام.

وما أروع جموع المسلمين وهم يؤدون الصلاة في حركة واحدة، قياماً وقعوداً ركوعاً وسجوداً. . حتى ورد أن من أهم عوامل اكتشاف صلاح الرجل والشهادة باستقامته هو اهتمامه بالصلاة جماعة. فعن النبي (ص): (من صلى الخمس في جماعة فظنّوا به خيراً) (٢).

وما أكثر الفوائد المترتبة على اقامة صلاة الجماعة، من تعارف المسلمين على بعضهم وتفقدهم لبعضهم البعض، وتقوية العلاقات الاجتماعية، وتجاوز انكفاء كل طبقة على بعضها، حينما يصلي الفقير إلى جنب الغني ويصلي الانسان البسيط إلى جنب الرجل المعروف اجتماعياً والمرموق في المجالات المختلفة.

وكم ترك منظر الجماعات الكبيرة التي تقام في المساجد الجامعة كمساجد بلاد الهند والباكستان واندونيسيا وغيرها من بلاد المسلمين، كم ترك هذا المنظر من تأثير في نفوس غير المسلمين خاصة الرحالة والمستشرقين. .

واذكر هنا قصة طالما كنت أسمعها من استاذي الشهيد الشيخ عبد الجبار البصري رحمه الله، حينما كان يحدثنا بين الصلاتين. حيث يذكر: ان جيشاً من جيوش المسلمين توجّه إلى احدى الغزوات، ثم حضرت الصلاة فأذن القوم وتقدم قائدهم

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٤ ص٣٩٣

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٥ ص٤١٠

ليصلي بهم. وفي هذه الحالة أطل على الجيش المسلم جاسوسان كان قد بعثهما المشركون للتجسس على جيش المسلمين. فدهشا حينما شاهدا ان الجميع يفعل كما يفعل قائدهم: فإذا أنحنى أنحنوا معه وإذا سجد فعلوا كذلك، فإذا قام قاموا بقيامه. وهم لا يعلمون ان هذه صلاة بل تصوروا أنهم هكذا مطيعون لقائدهم. وبعد انتهاء الصلاة التفت قائدهم ليقول لهم ان الى جنبهم شجرة أراك، حيث يستحب اتخاذ المساويك منها لتنظيف الفم.. فقام الجيش وأخذوا يقطعون أغصان هذه الشجرة بسكاكينهم وسيوفهم وجعلوا ينظفون بها أسنانهم.. فذهل الجاسوسان ورجعا خائفين! وأخبرا قومهما انهما شاهدا أمراً عجيباً من الطاعة والانقياد والمتابعة حتى أن الجيش استجاب لأمر قائده حينما أمرهم ان يأكلوا شجرة كانت إلى قربهم!! مما ساهم في تحطيم معنويات المشركين واندحارهم وهزيمتهم أمام المسلمين.

وأكد العلماء أن أفضل الثواب والأجر للصلوات الواجبة أن تؤدى جماعة وفي المساجد. وأفضل ثواب صلوات النوافل أن تؤدى في البيوت. ولا يستطيع المرء أن يحصي الاحاديث الكثيرة الواردة في فضل صلاة الجماعة. عن الصادق (ع): (الصلاة في جماعة تفضل على كل صلاة الفرد باربعة وعشرين درجة تكون خمسة وعشرين صلاة) (١).

وهناك أحاديث أخرى فصلت ثواب اقامة الجماعات في المساجد فالصلاة في المسجد الجامع بـ ١٠٠ صلاة. والصلاة في مسجد القبيلة بخمس وعشرين صلاة، والصلاة في مسجد السوق بأثنتي عشرة صلاة. مما يوحي بضرورة اتساع علاقات المؤمن مع الآخرين حينما يصلي في المساجد الكبيرة.

وبعد هذه الاشارة البسيطة لبعض جوانب عطاءات صلاة الجماعة، يمكن لنا ان ندرك ذلك الموقف الشديد في مواجهة من يصر على هجر صلاة الجماعة، وعدم الالتحاق بصفوف جماعة المسلمين. نقرأ ذلك في روايتين عن الصادق (ع) الأولى تتحدث عن تصرف أمير المؤمنين (ع) مع قوم لا يشهدون الصلاة. والأخرى حول تصرف الرسول (ص) مع هؤلاء القوم.

١ـ رُفع إلى أمير المؤمنين (ع) بالكوفة أن قوماً من جيران المسجد لا يشهدون الصلاة جماعة في المسجد فقال (ع): (ليحضرن معنا صلاتنا جماعة أو يتحولنّ عنّا ولا

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٥ ص٤١٠

يجاورونا ولا نجاورهم) (١).

ب ـ ان اناساً كانوا على عهد رسول الله (ص) أبطئوا عن الصلاة في المسجد فقال رسول الله (ص): (ليوشك قوم يدعون للصلاة في المسجد أن نأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم نار فتحرق عليهم بيوتهم) (٢).

ولا نعلق أكثر على ما حذر به رسول الله (ص) وأخوه أمير المؤمنين (ع).

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٥ ص٤١٠

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٥ ص٤١٠

ادخال السرور على قلب الأخ المؤمن

٣

عن أمير المؤمنين (ع) في قصار الحكم في نهج البلاغة:

(فوالذي وسع سمعه الأصوات مامن أحد أودع قلباً سروراً، الا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره، حتى يردّها عنه كما تطرد غريبة الابل).

من المفردات التربوية والأخلاقية التي أكدت عليها روايات النبي (ص) وأهل بيت العصمة (ع) مفردة: ادخال السرور على قلب المؤمن.

فالمؤمن لا يكتفي بمجرد فعل الخيرات بل يتحرى عن أيٍّ منها يدخل سروراً على قلب أخيه، وما أعظم بالأخ الذي يبحث عما يفرح اخاه ويسره.. انها تربية ايمانية راقية، ومستوىً أخلاقي رفيع، وسلوك انساني كريم، بل هو توفيق الهي رائع.. وان ادخال السرور على الأخ المؤمن يأتي بانحاء وأساليب كثيرة.

فقد يكون بالابتسامة الأخوية والكلمة الطيبة، فقد استفاض الحديث الشريف (الكلمة الطيبة صدقة) وقد حث القرآن الكريم على قول الكلمة الطيبة الحسنة ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ (١).

وقد يكون بتفقد حالة أخيه بزيارة ومشاركته في أموره، ما يفرحه فيها وما يحزنه. يواسيه في محنته ويشاركه في عواطفه وأفراحه. وقد يتم ذلك عن طريق مكالمة تلفونية أو رسالة أو أي وسيلة أخرى.

أو يكون بأعانته مالياً إذا مكن اللَّهُ المؤمن من اعانة أخيه. فالأحاديث تؤكد ان (من نفّس عن أخيه المؤمن كربة نفّس الله عنه سبعين كربة من كرب الاخرة) (٢).

وحينما تسود المحن والازمات، وتزداد المآسي والصعوبات تبرز أهمية الأخلاق الرائعة التي يدعونا إليها اسلامنا العظيم: ما أجمل بالأخ في محنته وهو لا ينسى اخوانه

---

(١) ٨٣ سورة البقرة

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٤ ص٤٤١

في تفقدهم وادخال السرور على قلوبهم. ولقد سمعتُ العلامة المغفور له الخطيب السيد عبد الزهراء الحسيني يقول أنه رحمه الله قد آلى على نفسه إلا أن يدخل السرور على قلوب ثلاثة من المؤمنين يومياً. ولنحاول بدورنا أن نلزم أنفسنا بأن ندخل السرور ولو على قلب مؤمن واحد يومياً بكلمة طيبة أو ابتسامة حانية أو تفقد أو زيارة أو اعانة مالية..

وعن النبي (ص) (من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سرّ الله) (١).

ومن منا لا يحب ويسعى لأن يدخل السرور على الله تعالى ورسوله (ص)..!!

إن الذين يسعون في هذه الدنيا إلى قضاء حوائج الآخرين وإدخال السرور والبهجة على قلوبهم لهم منزلة عظيمة عند الله يوم العرض عليه، يقول تعالى ﴿ فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً ﴾ (٢).

أي يكون جزاؤهم كعملهم.. فهم قد لاقوا الناس في الدنيا بالسرور، ولهذا فان الله تعالى سوف يلقاهم بنضرة وسرور..

اللهم وفقنا لنكون ممن يسعى لأدخال السرور على قلوب الآخرين..

لأن في ذلك - اضافة الى رضا الله تعالى - وإدخال السرور على قلب الانسان المسلم، ، اضافة إلى ذلك فان قدرات وقابليات وكفاءات قد تكون مكبلة ومغلولة باغلال وقيود الالم والاحباط واليأس - وبذلك تفقد الامة الكثير من قدرات أبنائها وعطاءاتهم..

فإذا حلّ السرور والبهجة في هذه القلوب.. تحررت الطاقات التي كانت كامنة وبرزت الكفاءات التي كانت ذابلة.. وانتعشت القدرات التي كانت ضامرة..

هذا في حال الأمور الطبيعية والحياة اليومية.

فكيف بمن يدخل السرور على قلوب مؤمنة تراكمت عليها هموم وآلام رسالية ومحن ومصائب شديدة.. تكفي الواحدة منها لجعل البعض محطماً محبطاً متألماً

يقول زهير بن أبي سلمى:

ثلاث يعزّ الصبر عند وقوعها ... ويذهل منها عقل كل لبيب

خروج اضطرار من بلاد يحبها ... وفرقة اخوان وفقد حبيب

أقول: فكيف اذا اجتمعت..

والله المستعان!!

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٤ ص٤٣٩

(٢) ١١ سورة الإنسان

دخل رجل على الامام الصادق (ع) وسأله عن الأخلاق ما هي فقال (ع): الخلق منحة يمنحها الله من شاء من خلقه، فمنه سجيّه ومنه نيّة.

فسأله الرجل: فأيهما أفضل؟

قال (ع): صاحب النية أفضل، ثم علّل (ع) سبب هذا التفضيل قائلاً: (فان صاحب السجيّة هو المجبول على الأمر الذي لا يستطيع غيره. وصاحب النيّة هو الذي يتصبّر على الطاعة فيصير بهذا أفضل (١).

هذا التفصيل الذي فصّله الامام (ع)، مقسماً الأخلاق إلى قسمين. قسم يتصف به بعض الناس المجبولين والمخلوقين وهم منسجمون مع الخلق الطيب، فنجدهم هادئين وديعين، طيبين، يغضون أطرافهم حياءً، ليس في طبعهم عدوان أو قوة أو شدة..

فهؤلاء لا يجدون معاناة، ولا يقاومون سلوكاً يمنعهم من الاستقامة فهم منسابون نحو تلك الأخلاق الطيبة إنسياباً. ومائلون إليها ميلاً طبيعياً. فهم أصحاب خلق ولهم أجرهم وممتدحون لا شك في ذلك ولا ريب.

وقسم آخر، في طبعهم الحدّة، وردود أفعالهم حاضرة وعنيفة، وتعليقاتهم لاذعة، طبع متوثب، متحفز ثائر ورغم هذه الميول الذاتية.. فهم متصفون بالأخلاق الكريمة والتعامل الطيب.

ولكن ذلك الرجل لم يكتف من الامام الصادق (ع) حينما بين له اقسام الخلق الطيب إلى سجيّه ونيّه. وإنما أراد منه أن يبيّن من هو الأفضل منهما!

فأوضح له الإمام (ع) الأفضل مع بيان السبب في ذلك. إن صاحب أخلاق النيّة هو أفضل من صاحب أخلاق السجيّة، لأن صاحب أخلاق النية يحتاج إلى بذل طاقة في توجيه نفسه وسلوكه إلى سلوك لا تنسجم نفسه معه، وإلى خلق يصعب عليه

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٣ ص١٤٥

الالتزام به.

انه صاحب مزاج تغلب عليه العصبية والحدة. فليس من السهل أن يتكامل مع الآخرين بهدوء ومسامحة وكظم الغيض، أو الآخر الذي نجده صاحب بديهة حاضرة وتعليق آني ونكتة لاذعة، يجد صعوبة ومعاناة حينما يطلب منه أن يترك تعليقه ويكتم نكتته ويخنق بديهته، إذ لعل في هذه الأمور ايذاءً أو إحراجاً للآخرين.

أو الثالث الذي يكون معتداً بنفسه، صاحب عصاميه متميزة، يجد في إنتمائه الاسري أو وضعه الاجتماعي مانعاً من التواضع للآخرين أو الابتداء بالسلام لمن يقابله.

وهكذا.. فَمثل هؤلاء قد يجدون صعوبة في التلائم والانسجام مع الاخلاق التي يدعو إليها اسلامنا..

فإذا التزموا بها فانما يكون ذلك بعد أجتياز اختبارات، وتجاوز عقبات. فيستحقون بذلك ثواباً أكبراً وأجراً أعظماً. وبهذه القاعدة. يمكن أن نقول بأن كل عمل يجد المؤمن فيه صعوبة اشد، ومخالفة لهواه وميوله أكثر، فان فيه المثوبة والرضوان لأنه انتصار على نوازع النفس وهواها وميولها. وكلنا نحفظ الرواية المشهورة من أن (الثواب على قدر المشقة).

ويحق لمن يحقق انتصاراً أن يُجازى عليه ويُكافأ.

وينقل أصحاب السيّر أنه ما عُرض أمران على أمير المؤمنين (ع) وكلاهما للّه فيه رضاً الا اختار اشدهما على نفسه وأكثرهما مغالبة لهواها..

انه تطبيق عملي لما أوصى به (ع) واليه على البصرة عثمان بن حنيف وبقية اتباعه.. (انما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يَوم الفزع الأكبر) (١).

إذن فلنعوّد أنفسنا على أن نتخلق بالأخلاق الفاضلة وان كانت صعبة على النفس نجد فيها مشقة وصعوبة لأن في ذلك اثبات لقوة الايمان ومدى تغلغله في النفس.

ورد عن أمير المؤمنين علي (ع): (إن لم تكن حليماً فتحلّم فانه قلّ من تشبّه بقوم الا أو شك أن يكون منهم) (٢).

ان بلوغ المستويات الرفيعة من الاخلاق لا تأتي الا مع المعاناة والتصبر، ﴿وما يلقّاها الا الذين صبروا، وما يلقّاها الا ذو حظ عظيم﴾ (٣).

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ص ـ اعداد صبحي الصالح

(٢) نهج البلاغة ـ الحكمة ٢٠٧ ص٥٠٦ ـ اعداد صبحي الصالح

(٣) ٣٥ سورة فصلت

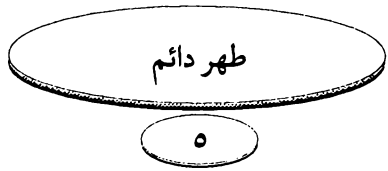

طهر دائم

٥

حينما يحلّ حب الله تعالى في قلب ويتمكن منه، نجد أن صاحبه يسعى بكل حواسه وجوارحه كي يتقرب إلى الله ويعمل بطاعته..

ومصاديق ذلك كثيرة ومتنوعة..

ومن ذلك مسألة كون الانسان المؤمن دائم الطهارة، متوضئاً، طاهر الجسد، كي ينطلق من هذه الطهارة الجسدية إلى طهارة روحه واخلاقه وسلوكه..

ومما نقله أهل التاريخ والسيّر عن الصحابي الشهيد، حجر بن عدي الكندي، شهيد مرج عذراء في اطراف دمشق.. انه كان رضوان الله عليه دائم التطهر، فإذا ما أحدث بادر إلى تجديد الوضوء، ثم يصلي أما صلاة فريضة، وإلاّ تطوّع بركعات..

وبقي على نهجه هذا حتى عرضه على القتل حينما طلب منه البراءة من أمير المؤمنين (ع) أو القتل فاختار القتل!! وقبل القتل جددّ وضوءه ولم ينسَ الصلاة.. (١).

ونريد أن نتوقف عند هذه الخصلة الطيبة، والصفة المحببة، وهي كون الانسان المؤمن على وضوء وطهارة، كلما أمكنه ذلك.. حتى تتحول ساعات حياته إلى ساعات طهر مستمر.. لا ينقض وضوؤه حتى يبادر إلى تجديده..

هي خصلة لا تتطلب جهداً ولا تكتنفها صعوبة، ولا تحيط بها شدّة. بل على العكس من ذلك فان فيها فوائد صحية ونفسية كثيرة.. إضافة إلى الفائدة الأساسية وهي فائدة روحية يتقرب فيها الانسان إلى ربه، إذ أن الوضوء بحد ذاته هو مقدمة للصلاة أو للطواف الواجب.. ومع ذلك فان في نفس الوضوء أجراً وثواباً.. أي نفس كون الانسان المسلم متوضئاً فهذا يعني حالة يرغب الله تعالى أن يرى عباده عليها فيثيبه ويسبغ عليه أجره.

وباعتبار الوضوء عبادة أو هو مقدمة للعبادة، فان شعوراً يحيط بالانسان المتوضأ

---

(١) أعيان الشيعة ـ محسن الأمين ـ ج٤ ص٥٧١

ويغمره، وهو أنه قريب من الله تعالى، الوضوء يجعلك تعيش أجواء التقرب إلى الله.

وهذا الشعور يخلق عندك حالة من المناعة ضد وساوس الشيطان وحيله، واغراءاته.. إذ يجد الانسان المسلم المتوضأ، غريباً عليه ان يرتكب ذنباً وهو متوضيء، وذلك حينما يعيش الوضوء كحالة عبادية تقربه إلى ربه، وتجعله يشعر برقابته له ورعايته.

وبحمده تعالى فالماء متوفر، بل ومتوفر في معظم الأوقات ضمن ما يريح الانسان في البرودة أو الحرارة..

فلما لا نعوّد أنفسنا على هذا الخلق الرفيع، والصفة الطيبة..

عودّ نفسك ـ أخي المؤمن ـ على أن تكون دائم الوضوء والطهارة.. كما كانت سيرة النبي (ص) والأئمة (ع) والصالحين من العباد..

كذب ولا كذب

٦

في الحديث عن النبي (ص): (الكلام ثلاثة: كذب وصدق واصلاح بين الناس) (١).

أهتم الاسلام اهتماماً كبيراً بمسألة بقاء الوشائج الاجتماعية والعلاقات الاخويّة. ودأب على حث الناس على التعامل الاخلاقي، والسلوك الهادف إلى توثيق الصلات والعلاقات.

والاسلام دين الواقعية. فهو مع حثه المؤمن على التواصل والاخاء ومحاولة تجنب كل ما يسيء إلى العلاقة الطيبة، التي ينبغي أن تضّم الأخ إلى أخيه، مع كل ذلك فهو يعلم أن الانسان فيه جوانب ضعف، يمكن أن تتغلب على سلوكه، اضافة إلى حالات سوء فهم المقابل أو وساوس الشيطان أو أمور أخرى.. تكون نتيجة كل ذلك حالة ركود وجفاء أحياناً بل وتقاطع وتنافر بين المؤمنين أحياناً أخرى.

فالاسلام ليس فقط يعترف بانه يمكن للعلاقة ان تسوء، بل ويهتم كذلك بإيجاد الحلول والأساليب التي من شأنها أن تساهم في ارجاع العلاقة وعودة الأخوة واعادة وبناء جسور المودّة، ومن هنا جاء الحث على مسألة إصلاح ذات البين.. والسعي من أجل أرجاع حالة الصفاء والنقاء بين النفوس. والواقع أنها لنفوس كبيرة تلك التي تسعى من أجل اصلاح ذات البين وارجاع بسمة المحبة إلى شفاه متوترة وقسمات وجوه متجهمة نعم ان يكون الإنسان في سلوكه متجاوزاً لنظرته الفرديَة الضيقة، بحيث يسعى إلى نشر الخير والصلاح والمحبة بين النفوس المتنافرة والعلاقات المتشنجة إن ذلك مستوى كبيراً لا يوفق لهُ الا من صفت روحهُ وطابت نفسه وأخذ الإيمان مأخذه من قلبه وسلوكه، فترجمهُ سلوكاً اجتماعياً هادفاً للخير والصلاح...

ومن جملة تلك الأحاديث التي حثت على إصلاح ذات البين، الأحاديث التي جاءت لتؤكد على أحد أساليب العمل من أجل هذا الهدف الرائع، وهو أسلوب ان يأتي المصلح إلى الطرف الأول فينقل له عن الطرف الثاني، أنه قد سمعهُ يمتدحه ويثني

(١) ميزان الحكمة. الري شهري. ج٨ ص٣٥٥

عليه، ويذكره بخير، والواقع غير ذلك! إذ قد يكون قد ذكره بسوء وانتقاص فضلاً عن أن يكون ساكتاً عن مدحه. ثم يأتي هذا الرجل المصلح الى الطرف الثاني فيقول له ما قال للأول من أنه يثني عليه ويمتدحه، وقد كان عنده فذكره بخير، وهو كذلك لم يتفوه بهذا الأمر!! هنا قد يقول قائل ويعترض معترض.. أليس هذا بكذب؟! نعم أليس من الكذب أن يأتي إلى إنسان فيقول له أن فلان يحبك ويثني عليك وهو يكرهه ويسبه بكل سوء؟

ويأتي جواب الشريعة المقدسة، الشريعة السهلة السمحة والتي جاءت لخير هذا الانسان ومصلحته وسعادته، بان ذلك لا يعتبر من الكذب!. لأن الكذب يستبطن حالة قلب الحقائق من أجل هدف دنيوي، ومصالح غير نظيفة. أي من أجل مصلحة نفس الشخص الكاذب.. اما هنا فان الهدف ليس فيه أيّة دناءة أو غاية وضيعة. بل هو هدف طيب، وغاية شريفة وأي هدف أكبر من ازالة ما يعكر صفو العلاقة بين الأخوة.. واشاعة حالة المحبة والتعاون في المجتمع.

كما أن المصلحة في اصلاح ذات البين لا تعود على نفس المصلح بل لمصلحة الآخر. ومصلحة المجتمع.. فلا مجال للطعن فيها.. بل ان المصلح هنا يخطط ويعمل تفكيره من أجل إيجاد الكلام الطيب الذي من شأنه أن يرفّ القلوب ويقرب الأرواح.

ولأجل هذا الحديث الرائع، الذي نحتاج الى أن نتأمله كثيراً، ونستنطقهُ لأخذ المزيد من الدروس والعبر.

(الكلام ثلاثة.. صدق، وكذب، واصلاح بين الناس).

فلا يصنف الأصلاح في خانة الكذب.

ولا أدري هل أن الكذب (ان صح التعبير) في اصلاح ذات البين، هل هو بدرجة الصدق أو ربما أفضل منه.. ربما كذلك. نسأله تعالى أن نكون ممن يعيد الصفاء والمودة والمحبة إلى من أبدلوها بالكدر والبغض والعداوة.

وصدق الله عز اسمه حيث يقول

﴿ لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروفٍ أو إصلاح بين الناس ﴾ (١).

---

(١) ١١٤ سورة النساء

المؤمن والرغبة

٧

روي عن الامام العسكري (ع) قوله: (ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تذلهُ) (١).

يريدُ الاسلام ممن ينتسب إليه أن يكون عزيزاً غير خاضع لضغوط يصيرّها بنفسه فتحدد من حركته ومواقفه. وفي روايات أهل البيت (ع) تأكيد على عدم الجواز للمؤمن أن يذل نفسه. فعن الامام الصادق (ع): إن الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كل شيء إلا اذلاله نفسه) (٢) وهذا واضح انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ وللّه العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (٣).

والظاهر من كلام الامام العسكري (ع) أن تلك العادة من العادات المباحة التي لم يجر فيها كلام الحرمة. والا فلا نقاش في ضرورة اجتناب المؤمن لما حرم الله ووجوب ذلك عليه.

إذن فحديث الامام (ع) يشير إلى تمكن بعض العادات المباحة غير المحرمة من المؤمن، بحيث لا يقوى على فراقها حتى يصل به الأمر إلى أن يذل نفسه ـ ولو أحياناً ـ لكي يشبع تلك الرغبة التي ولدتها عادته.

والاسلام حينما اباح أموراً، أراد من المسلمين أن كونوا طبيعين في مسألة تعاملهم مع الحياة. فاجاز لهم مثلاً تناول الشاي والقهوة وأقول بتردد التدخين. ولكن أن يتحول هذا الأمر إلى عادة مستحكمة بحيث تربك المؤمن وتغير من طبعه، وقد توصله إلى أن يذل نفسه حينما يحرم مما اعتاده.. فهذا خط أحمر لا يباح للمؤمن ولا يجوز له الاقتراب منه.. ان عزة المؤمن من عزة الله.

ذكر لي أحد العلماء المجاهدين أنه أصيب بنزلة صدرية مزعجة بعد اداء فريضه

---

(١) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٣٦٣

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٣ ص٤٤١

(٣) ٨ سورة المنافقون

الحج وفي طريق رجوعه إلى بلده مر ببلاد الشام فراجع طبيباً له معرفه به. وبعد المعاينة نصحه الطبيبُ بترك التدخين. . فقال له العالم: اني لا أستطيع ذلك!! فأجابه الطبيب: أنتم تقولون لا نستطيع!! هذا أمر عجيب. . ذلك انكم تأتون إلى من انسجم مع شرب الخمر وارتاح اليها تقولون له اترك الخمر فهو تصرف لا يجوز. . وتأتون إلى من يتقلب في أحضان الغانيات وتقولون له أترك ذلك فهو أمر لا يجوز. وتأتون إلى من يتعامل بالربا ويثرى من خلاله فتقولون له لا يجوز لك التعامل به وهكذا. فكيف لا تستطيع أنت أن تحرر نفسك من عادة تضرك وتؤثر في صحتك؟؟

يقول العالم: فشعرت بحرج ما بعده حرج. وعلمت ان الرجل أصاب مني وتراً حساساً، فعمدت إلى علبة الدخان التي كانت معي واتلفتها وقلت له هذا فراق بيني وبين الدخان.

وأعجبني أحد الأخوة المؤمنين العاملين حينما جمعتني وإياه جلسة فلما قدّم الشاي اعتذر. فسألته عن سبب ذلك، خاصة واني اعلم أنه من محبي الشاي بشكل واضح، فقال في اجابته: انه خشي ان يستولي شرب الشاي كعادة على سلوكه بحيثٌ لا يقوى على تركه. فلهذا آلى على نفسه ان لا يشرب الشاي لمدةّ شهر. ليكتشف مدى قوة انتصاره على نفسه وسيطرته على رغبته، أو تمكن رغبة احتساء الشاي على سلوكه ومشاعره ومزاجه.

ولعل من ارفع دروس الصيام حينما يأتي ليحرّم على المسلم الصائم أموراً مباحة أساساً، هو محاولة تدريب هذا الانسان المسلم ـ فرداً وأمة ـ على أن لا يستسلم لما اعتاد عليه في حياته اليومية من طعام وشراب وممارسات أخرى.

هذا وقد تصل مسألة التعلق ببعض الرغبات والعادات وسيطرتها على شعور صاحبها إستحكامها بمواقفه، قد تصل إلى مستوى خطير حينما تستغل تلك الرغبة أو العادة للضغط على الانسان المؤمن وقراراته وانتزاع أسراره.

في موسم من مواسم الحج المباركة، حدثني أحد المؤمنين الذين كانوا قد عانوا آلام السجون ومحنة التعذيب. أن معذباً كان ثابتاً على موقفه، وواجه جلادّيه بشجاعة نادرة اذهلت الجميع، ولما تعب أحد الجلادين من تعذيب هذا المؤمن، راح يترجم حنقه على هذا المعذب بشرب سيكارة، وإذا بالمعذّب ينهار لرؤية الدخان، فناداه متوسلاً: سيدي ناولني سيكارة!! فدهش الجلاّد وقال: على أن تتكلم بما تعرف!! فقال: أجل

وما هي الآ لحظات حتى اعترف ذلك الرجل على خمسين مؤمناً جاء بهم إلى ساحات التعذيب واثكل عوائلهم وسبب الالم واليتم لاطفالهم . . .

إذن (ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله)!!

ما أقبح بالمؤمن فرداً أو المؤمن أمة ان يكون أو تكون لامته رغبة تذلها أمام الامم .

والاسلام أراد لنا العز ومن موارد هذه العزة ان لا نكون اسرى لرغبات تذلنا .

المحنة . . خافضة . . رافعة

٨

في أول خطبة خطبها أمير المؤمنين (ع)، بعد استلام زمام الخلافة في المدينة المنورة قال:

(. . والذي بعثه - أي النبي (ص) - بالحق نبياً لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلن غربلة، حتى يعود أسلفكم أعلاكم، وأعلاكم أسلفكم. وليسبقن سابقون كانوا قصرّوا، وليقصرّن سبّاقون كانوا سبقوا) (١).

لقد كان (ع) ينطلق من رؤية واقعيّة واعية. وهي أن الأمة مقبلة على محن وابتلاءات وفتن. . وأن لهذه المحنّ والفتن عَملاً عَجيباً إذ أنها ستقوم بعملية تصفية وتمحيص شديدين. حتى يرتفع بعض من كان في القعر إلى القمة ويقع من كان في القمة إلى القعر.

إنها خافضة رافعة، كما حدثنا القرآن عن يوم القيامة، وصفاتها. نعم إذ سيتقدم الصفوف أناس كانوا مجهولين، وبعيدين عن الأضواء، إلى الأمس القريب.

كما سيتأخر آخرون كانوا في الصدارة والأولوية، إلى الأمس القريب أيضاً.

ولو درست الأحداث الكبيرة في التاريخ، فانك ستجد هذه المعادلة صادقة بشكل مذهل.

هذا الاسلام وبعثة المصطفى (ص) كيف غيرّت من مواقع ومواقع، وإذا بصناديد قريش في الأمس اذلاء اليوم. وإذا بعبيدها ومستضعفيها في الأمس الفائت وإذا بهم قادة وادلاء اليوم على طريق الهدى والصلاح. . .

ولقد كانت فترة حكم أمير المؤمنين (ع) إختبار للأمة. إذ سبقت جماعة متأخرة وتأخرت أخرى متقدمة. ويمكننا أن نقول: بان هناك أربع حالات من المواقف ازاء الأحداث التاريخية المهمة، وذات التأثير الحاد في مسير التاريخ والمواقف فهنالك فئتان:

---

(١) نهج البلاغة - الخطبة ١٦ ص٥٧ - اعداد صبحي الصالح

الأولى: فئة من السباقين الذين كانت سابقيتهم عن وعي وإيمان وأخلاق فهؤلاء يبقون على تلك الاسبقية. وذلك السمو. كعمّار، وقيس بن سعد بن عبادة ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر رضوان الله عليهم.

الثانية: فئة من المقصرين بقت على تقصيرها وتخلفها عن ركب الهدى كعمرو بن العاص. والمغيرة بن شعبة ومعاوية.

فهناك اطمئنان على الاستقامة أو اطمئنان على الانحراف في الفئتين السابقتين. أمام عموم الأمة فإن المحنة والابتلاء، تحدث فيها تغييرات كبيرة وضخمة في المواقع والمكانات. وهما الحالتان الثالثة والرابعة.

وتعتبر حالة الهجرة وانتقال الانسان من وطنه إلى أرض أخرى، وتغيّر حالات الابتلاء وتنوعها، من الأمور التي تلعب دوراً كبيراً فَي غربلة المؤمنين وتمحيصهم. ولقد واجهنا في المحنة والهجرة شواهد وشواهد على ذلك. فكم من انسان ذي تاريخ إيماني وجهادي لا يُنكر، تغيّر ووصل إلى ما لا يستحسن الحديث عنه.

وكم من انسان لم يتوفق الى الهداية أو الاستقامة بالأمس، وإذا به ينطلق نحو أعمال الخير ومضمار الهدى. . نعم هناك مؤمنون صادقون لم يزدادوا إلا أيماناً وتسليماً.

وكم كان حديث رسول الله (ص) عميقاً ومريباً وواقعياً، حينما تحدث مع أصحابه بعد الهجرة، وبداية عصر قوة الاسلام. وكأنه (ص) ينظر إليهم بعد الفتوحات والأموال والأمن وانفتاح الحياة عليهم، بغنائمها ووفرة اغراءاتها. .

لقد كان يقول لهم (ص): (اني من بلاء الرخاء اخوف عليكم من بلاء الشدة!! انكم ابتليتم فصبرتم، وان الدنيا حلوة نظرة) (١).

ويا لها من نظرة تقييمية وتربوية واعية.

ان الانسان المؤمن حينما يواجه بلاء الشدة، فانما يواجه عدواً خارجياً، ظالماً يضطهده، منافقاً يؤذيه. . اما في بلاء الرخاء، فان العدو هو عدو داخلي. . إنه النفس وشهواتها وطموحاتها ورغباتها!!

ان الكثيرين قد يثبتون عند ابتلاءات ومحن الشدة من الخوف والسجن والتعذيب، والآلام الأخرى. .

ولكن يا ترى كم منهم سيثبت امام اغراءات المال والجاه والجمال؟ حينما تفتح أمامهم أبواب لم يتصوروها ذات يوم، ويعيشون اجواءً ما كانت تخطر لهم على بال؟!

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ص

المؤمنون أولى بكل خير

٩

من الأمور التي حرص الاسلام على بيانها ومحاولة تربية المسلمين عليها هي حالة التوازن بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة . .

فكما أراد الاسلام للإنسان المسلم أن يكون مفكراً في الاخرة، عاملاً لها مهتماً بها، فكذلك أراد منه ان يفهم من هذا الاهتمام بالآخرة ان عليه ان لا يترك ملاذ الدنيا ومتعها التي أباحها الله لعباده وأحلها لهم. ومنذ الأيام الأولى للإسلام وقف النبي (ص) موقفاً حاسماً وواضحاً أمام بعض أصحابه، الذين فهموا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة بأنه يعني الانزواء والانكفاء عن ملاذ الدنيا ومتعها المحلّلة، وان يتحولوا إلى رهبان ينقطعون عن الدنيا وأهلها ولذاتها.

فقد علم (ص) أن أحد أصحابه قرر ان لا يقرب النساء أبداً، والثاني قرر أن لا يفطر في نهار أبداً فهو في صيام دائم، والثالث بان يمضي لياليه قائماً قاعداً في صلاة وتهجد. فماً كان منه (ص) إلا أن دعا الناس إلى المسجد وخطبهم وبيّن سنته في ذلك وأنه (ص) يصوم ويفطر، ويصلي وينام ويضع الطيب ويأتي النساء، وهذه سنته صلى الله عليه وآله وسلم.

ولهذا جاءت عدة آيات قرآنية توضح هذا النهج الذي يحفظ حالة التوازن في شخصية الانسان المسلم: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد. .﴾ (١).

﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ (٢).

﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة، ولا تنسَ نصيبك من الدنيا﴾ (٣).

ولما توسعت رقعة الدولة الإسلامية وعمت الفتوحات ودخل الناس في دين الله

---

(١) ٣١ سورة الأعراف

(٢) ٣٢ سورة الأعراف

(٣) ٧٧ سورة القصص

أفواجاً، جاءت النعم تترى على المسلمين، وعمّ الخير والرخاء المجتمع المسلم. وتحسس البعض من ذلك، وكرّدة فعل لحالة الرخاء هذه، إتجهوا إلى حالات التصوف ومنع النفس حتى ما كان حلالاً مَن الملذات. . بحيث أن هؤلاء كانوا يتعجبون إذا رأوا أئمة المسلمين يأخذون نصيبهم من هذه الملذات.

دخل سفيان الثوري على الامام الصادق (ع)، فرأى عليه ثياباً بيضاً كأنها غرقيء البيض، فقال له: ان هذا ليس من لباسك!! فقال (ع) له: اسمع مني وعِ ما أقول لك، فانه خير لك عاجلاً وآجلاً ان كنت انت مت على السنة والحق ولم تمتَ على بدعة. أخبرك ان رسول الله (ص) كان في زمان مقفر جشب. فاذا اقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفارها. فما أنكرت يا ثوري، فواللّه - إني لمع ما ترى - ما أتى عليَّ مذ عقلت صباح ولا مساء وللّه في مالي حقٌ أمرني أن أضعهُ موضعاً إلا وضعتهُ) (١).

ولنعش مع أمير المؤمنين (ع) في كتاب له إلى واليه على مصر محمد بن أبي بكر، يشرح فيه حال المتقين ومدى تمتعهم بملذات الدنيا دون أن ينقص ذلك في إيمانهم، بل هم أفضل لأنهم نالوا متع الحياة وثواب الآخرة. .

(يا عباد الله ان المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في اخراهم. .

سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت، وأكلوا بأفضل ما أكلت وشاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون وركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم غداً جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون. .) (٢).

فهنيئاً للمؤمن كل ما احلّ الله له في هذه الدنيا، وبشرى له بما ينتظره من الجزاء الكريم حينما يفد على أكرم الأكرمين.

---

(١) تحف اعقول - ابن شعبة - ص٢٥٣

(٢) اقتصادنا - الشهيد محمد باقر الصدر - ص٦٥٠ - دار التعارف (نقلاً عن امالي الشيخ الطوسي) - وهو ضمن الكتاب ٢٧ من نهج البلاغة.

كن أنت المخاطب بالقرآن

١٠

كان في البلاد الهندية، طفل مسلم يقرأ القرآن ويترنم بآياته. فجاءه أبوه ووجده على هذه الصفة. ولا شك أنها حالة يفرح بها الأب المؤمن حينما يجد ولده مهتماً بكتاب الله العزيز قارئاً لآياته..

إلا أن هذا الأب كان أباً يريد لولده أن يتعامل مع القرآن بكل وعي وفهم وادراك، أي أنه يريده ان يكون مصداقاً لما تأمر به نفس الآيات القرآنية، من حث على التدبّر والتأمل ومحاولة التوقف عند عطاءات كل آية ومعرفة ابعادها. والتأثر بتوجيهاتها. (فقال لولده: يا بني كيف تقرأ القرآن؟ فلم يعِ ذلك الصبي ما كان يقصد أبوه، وبقي متحيراً لا يهتدي إلى اجابة..

(فقال له أبوه: اقرأ القرآن وكأنه أنزل عليك!!) (١).

نعم اقرأه وكأنما أنت المخاطب الأول والأساسي بكل ما فيه من أوامر ونواه وارشادات، إستل منه مفاهيم الحياة، مفاهيم العطاء، مفاهيم الخير والتقدمّ والاستقامة.

ادخل مفاهيم القرآن إلى شغاف قلبك، إجعل روحك متفاعلة مع عطاءات الكتاب الكريم مع القرآن الذي لا تنتهي عجائبه. عش مع القرآن متأملاً متدرباً مستفيداً.. ولا تعش لاهياً ولا ساهياً ولا غافلاً.

يقول ذلك الصبي بعدما كبر، وان وصية أبيه لم تفارقه وكأن صورة أبيه ترتسم أمامه كلما فتح كتاب الله يتلو آياته. نعم كبر ذلك الصبي فكان الدكتور محمد اقبال اللاهوري الفيلسوف والشاعر المسلم. والذي كانت حياته وقفاً للاسلام ومفاهيمه.

يقول عن تلك الألتفاتة الواعية التي غرسها ابوه في نفسه حينما كان يقرأ القرآن: (ان ابي قال لي جملة أصبحت درساً لي في حياتي) (٢).

---

(١) الإسلام ومتطلبات العصر ـ الشيخ المطهري ـ ص١٦٢ ـ مجمع البحوث الاسلامية / مشهد

(٢) المصدر السابق

ولو أنّا رجعنا إلى أنفسنا وسألناها لماذا لا يترك القرآن ذلك الأثر الذي كان يتركه في اسلافنا الصالحين، الذين حملوا القرآن وفتحوا بآياته العالم، وأسسوا معاهد العلم والرقي في شرق الأرض وغربها؟

القرآن هو نفس القرآن. . إذن أين يكون التخلف والتلكؤ؟ انه فينا وفي نفوسنا ومدى اهتمامنا بالقرآن. ومن ثم استفادتنا منه، وإجتنائنا من عطاءاته ودروسه وعلومه.

القرآن كالمطر الذي يحمل معه الخير فاذا صادف أرضاً طيبة خصبة، تلقتهُ بكل ترحاب وضمته إلى جوانحها فانتجت ثمراً جنياً.

واما اذا صادف هذا المطر أرضاً سبخة أرضاً صلدة، فان المطر لا يعدو مفيداً لها ولا مغيراً لحالها، فضلاً عن أن يكون في تفاعله معها ذا عطاء وخير ونماء.

كانت سيرة علمائنا انهم يبدأون أولاً بالقرآن ثمّ يتخصصون في مجالات العلوم المختلفة؛ من فلك وفيزياء وطب وهندسة وعلوم أخرى، وبقي العالم عيالاً عليهم لعدة قرون فكانت علومهم مصادر العلماء في جامعات العالم. والتي أسست القواعد التي اعتمدتها أوروبا في عصر النهضة وتعملق العلم وتفجر طاقاته. .

أين هذا القرآن الذي كان يغير نفوس المخلصين في سلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم؟ في بيعهم وشرائهم، في سفرهم وحضرهم، في الشارع والبيت، مع الاصدقاء، ومع الأهل؟

أين هذا القرآن الذي كان يثير الحماس ويشحذ الهمم، ويدفع النفوس نحو نصرة الحق وأهله؟ نحو قول كلمة الحق بوجوه الظالمين، نحو الجهاد وبذل الأنفس، نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أين وأين. وأين؟؟

علينا بعودة صادقة إلى القرآن. علينا بأوبة مخلصة إلى كتاب الله، علينا أن نعيش مع آياته وسوره بتفاعل وتأمل واهتمام. .

نعتبر القرآن قد أنزل على واحد منا. .

وان كل خطاب فيه فهو خطاب موجه إليّ أنا. .

وان كل أمر فيه انما أكن أنا المأمور به قبل غيري.

وان كل نهي فيه انما أنا أول من يبادر إلى الانتهاء عنه.

فحينما يسأل الامام الصادق (ع) عن معنى قوله تعالى﴿يتلونه حق تلاوته﴾ (١)

(١) ١٢١ سورة البقرة

يجيب (ع) ويوضح لهم معناها: (يرتلّون آياته ويتفهمون معانيه ويعملون باحكامه ويرجون وعده ويخشون عذابه ويتمثلون قصصه. ويعتبرون أمثاله ويأتون أوامره ويجتنبون نواهيه، وما هو والله تحفظ آياته وسرد حروفه وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه. حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده، وانّما هو تدبّر آياته يقول الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته﴾ (١). (٢)

وكان أمير المؤمنين (ع) يتأوه على إخوانه الذين كانوا يعون القرآن ويعيشون أفكاره ويضحّون من أجل قيمّه: (اوّه على إخواني الذين تَلَوا القرآن فاحكموه، وتدبّروا الفرض فاقاموه، أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، ودعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبّعوه)(٣).

اللهم اجعلنا ممن يقرأون القرآن بوعي وكأنه قد أنزل عليهم.. آمين.

---

(١) ٢٩ سورة ص

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٨ ـ ص٨٤

(٣) المصدر السابق

الاذان شعار الاسلام

١١

لما شرعت الصلاة، تسائل المسلمون الأوائل كيف سيُعلن عن أوقات الصلاة؟ هل بقرع النواقيس كما في الأديرة والكنائس؟ أم بالأبواق كما تصنع اليهود؟ وإذا بالأمين جبرئيل (ع) يهبط على رسول الله (ص)، يعلمّه فصول الاذان. وان يُعلن به عند كل صلاة.. وهكذا ارتفع صوت الاذان مركزاً مفاهيم الاسلام في رفض عبودية غير الله، وتأكيد رسالة النبي (ص). والدعوة إلى الصلاة والحث عليها وانها هي الفلاح وهي خير العمل.

ومن مسجد النبي (ص) ردّدت مساجدّ ومساجد تلك المقاطع المباركة (الله أكبر اشهد ان لا إله إلا الله.، أشهد أن محمداً رسول الله). وراحت حناجر المؤذنين على اختلاف أجناسهم والوانهم والسنتهم، في مشارق الأرض ومغاربها.. فمؤذن في اندونيسيا يتجاوب مع آخر في نيجيريا، ماراً بأذان البيت الحرام الذي ترتبط به جموع المؤذنين والمصلين من مآذن سراييفو إلى مآذن اذربيجان والصين معه ثم مآذن جزر القمر ومدغشقر..

وكم هو عظيم الإسلام في تشريعاته واحكامه.. صوت الاذان ينطلق أولاً ليعلن بداية يوم جديد، وبينما الناس منشغلون في أعمالهَم ومعادلات الحياة والمعاش، يأتي صوت المؤذن ليذكر الانسان بالله. وأن لا يستغرق في الدنيا، فيجعلها هدفاً يستسيغ كل شيء لأجلها... يرتفع صوت الأذان ويعلو على أصوات وصخب الاسواق والشوارع، ليوجهها ويذكرّها بالخالق الكريم. وعندما تبدأ شمس النهار بمغادرتنا وينصُب الليلُ خيامه، يرتفع صوت الاذان مره أخرى ليعلن للإنسان نهاية يوم وبداية ليلة ولينبّه الناس على آيات الله وتصرّمْ سني حياتهم... وكم هو جميل ورائعَ وأنت ترى المصلّين أفراداً وجماعات يتجهون إلى المساجد، مستجيبين للنداء الخالد (حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل...)

وقد تعلق المسلمون بشكل غريب ومذهل بالاذان، وصوته. وان كانوا غير عرب، ولهذا لما منع الدكتاتور العلماني أتاتورك صوت الأذان عن مساجد تركيا السامقة، بقيت المآذن كئيبةً وتشعر بغربة وضياع، وقد أراد هذا الطاغية أن يكون حتى الاذان باللغة اللاتينية! ولما عاد بعد سنين عجاف صوت الأذان كما أراد اللّهُ بالعربية إلى المآذن، خرج الناس مبتهجين فرحاً، ونحرت مئات الذبائح سروراً بهذا العود الحميد، وابتهاجاً بصوت النداء الإلهي. كان الاذان ولا زال يشد الغربيين اليه، ولهذا انعكس على مذكراتهم وتأملاتهم وربما كان الاذان، لا سيما عند الفجر يدهشهم أو يقلقهم أحياناً..

اذ يُحكى أن الجيش الانجليزي لما غزا العراق، وأخذ يتحرك ببطأ استمر ثلاث سنوات للتحرك من البصرة إلى بغداد. وذلك بفعل جهاد ومقاومة ابناء الاسلام هناك، خيمّ ذلك الجيش الغازي ذات ليلة في اطراف احدى المدن العراقية. وعند الفجر حيث انطلق صوت المؤذنين للصلاة. انتبه قائد الجيش مرعوباً!! واستدعى المترجم يسأله عما يقوله هذا المؤذن، وهل أنه يدعو الناس إلى محاربة جيشه ومقاومته أم لا؟! ولما أوضح له المترجم أنهُ يدعو إلى الصلاة حسب، وأنهُ لا يسبّ هذا الجيش الغازي. علق ذلك القائد بان لا بأس عليه إذن (١). ولكني أظن أن توجسه وخيفته بقيت تلازمه كلما طرق سمعه الأذان.

وعجباً لهؤلاء الأوربيين. بينما هم يؤكدون على علمانيتهم، وعدم اكتراثهم حتى بالدين المسيحي، حتى هجرت كنائسهم، وبيعت في المزادات، ومع ذلك يبقى الحقدُ على المسلمين أمراً واضحاً، ينعكس على جملة من تصرفاتهم، عبر عبارات ورسوم واشارات نابية للقرآن والاسلام. ونبيّه (ص) في مناسبات كثيرة. والذي أريدّ تسجيلهُ هنا: ما نقلته احدى قنوات الفضاء العربية التي تتخذ لندن مركزاً لها، حيث ذهبت احدى مقدمات برامجها إلى حفل لعرض الأزياء في احدى دور الازياء، وهم يقدمون تلك الأزياء مع موسيقى. واذا بها تفاجأ بالموسيقى المرافقة للعرض قد تبدلت بفقرات الأذان!! فأعترضت تلك المذيعة، وتبعتها القناة الفضائية.. الخ. وأما العذر الذي قدمته تلك الدار، هو أنها ما كانت تعرف ما تؤدي هذه الكلمات من معان وان المشرف على اعداد المقاطع الموسيقية، قد سمعها من احدى جولاته الشرقية واحتفظ بتسجيل له

(١) الحكومة الاسلامية ـ الامام الخميني ـ ص٢٠ ـ المكتبة الاسلامية الكبرى طهران.

كي يستفيد منه في العرض!!

أقول هل من المعقول أنه استمع إلى الأذان وهو ينطلق ويعجب به، دون أن يسأل ماذا يعني الاذان وماذا تعني فقراته؟. انه الصراع الذي لا يريد الغرب أن ينساه من أيام الحروب الصليبية وما قبلها إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا.

ومهما عمل اعداء الاسلام فان صوت الاذان صوت الاسلام، لا يزال يرتفع ويرتفع، لا يزال يتسع ويتسع.. وان من المشاهد الرائعة التي تأخذ بمجامع القلب بعظمتها وتأثيرها مشهدٌ حينما اعتليت جبل قاسيون حيث يطل على مدينة دمشق ذات يوم. ثم حل وقت اذان العصر وإذا بالمآذن الكثيرة تنطلق في وقت واحد، تردد صوت الاذان حتى يخيّل اليك أن كل المدينة تتجاوب مع هذا النداء. فقلت السلام عليك يا رسول الله (ص) وصلى الله على جهادك وثباتك حينما انطلقت وحدك في هذا العالم وإذا بالدنيا كلها اليوم تنادي.. أشهد أن محمداً رسول الله.

ونحن نردد ونقول أيضاً: أشهد أن محمداً رسول الله..

الهمّة

١٢

ورد عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال: (قدر الرجل على قدر همته) (١)

كيف يمكن لنا أن نعتمد أساساً ما لتقييم الانسان؟ فيما اذا طلب التفاضل والتقييم؟ لا شك له هناك عدة أسس، ومنها ما يتجسد في النظر إلى أهداف الانسان وغاياته من وجوده في هذه الدنيا، فعلى أساس سعة الاهداف وبعدها وعظم الغايات وشرفها يتم تقييم (تقويم) الانسان وتفضيله.. فانك قد تجد من لا تكون غاية آماله ومنتهى رغباته الا أن تتوفر له الحاجيات المادية التي ينشدها جسمُه، طعام يتناوله، ثوب يتجمّل به، مورد لقضاء شهواته وملذاته.. وليس هناك شيء أبعد من ذلك. لا يهتم بالقيم والمبادىء، ولا يأبه للدين واحكامه، لا يعطي من تفكيره ولو جزءاً صغيراً في تأمل لفكرة ولا مناقشة لقضية عامه.

وعن ألهمة الكبيرّة يقولَ الشاعر:

وبالهمة العلياء ترقى الى العلا ... فمن كان أعلى همة كان اجدرا

ولم يتأخر من إراد تقدماً ... ولم يتقدم من أراد تأخرا

واما الانسان الذي يعيش هموماً صغيرة في حياته وذي افق ضيق يقول شاعر آخر:

لحا اللّه صعلوكاً مناه وهمهُ ... من العيش ان يلقى لبوساً ومطعما

ويحذرنا رسول الله (ص) في حديث له: (ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي؛ قصر الهمة وقلة الحياء وضعف الرأي) (٢).

فقد تلتقي بشخصين الأول له (همّة كبيرة) وهدف عال وغاية نبيلة، يسعى إليها ويجعل امكاناته وتفكيره، تصب في مجراها. ونجد شخصاً آخر لا يهمُه الا الأستجابة

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ... ص٤٧٧ ـ اعداد صبحي الصالح

(٢) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٣٢

لنداءات بطنه وفرجه . . لا يعبأ الا بمايشبع هذه الرغبات . . من هنا يمكن لك أن تقف وتقيم الشخصية على أساس بُعد الهمّة وعظم الهدف . . مستنداً إلى الحقيقة التي بيّنها أمير المؤمنين (ع) من أن: (قدر الرجل على قدر همته)، ليس على أساس لونه، أو انتمائه القبلي أو العنصري، أو كثرة أمواله وتوفر ملذاته وشهواته. كم تفاجأ أحياناً حينما تجلس إلى أحدهم فتحدثهُ وإذا بك تكتشف ضآلة ما يفكر به، وضحالة ما يصبو إليه، وصغر ما يطمح فيه!!

وتجلس إلى آخر فيمتلأ صدرك اكباراً، وقلبك احتراماً، بما يمتلك من بعد نظر وطهارة هدف وعمق تفكير، وسعة في الافق!!

يقال ان الشيخ المفيد ـ اعلى الله مقامه ـ نظر ذات يوم إلى ولده وهو منكب على الدراسة. فسأله عن هدفه من وراء الدراسة وغاية ما يصبو اليه؛ فقال: اني أريد أن أكون مثلك الشيخ المفيد! فقال له أبوه: انك لن تبلغ ما تريد!! ان اباك اراد أن يكون جعفر بن محمد فكان وصار الشيخ المفيد!

نعم ليكن لك هدف كبير، وقد لا تصل إلى ذلك الهدف، لكنك تصل إلى شئ قريب منه غير بعيد عنه. الم يدعُنا القرآن الى أن نقتدي باعظم المخلوقات وأجل الكائنات، نبينا محمد (ص) ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ (١). . وهو (ص) يريد من كل مسلم أن يكون صاحب همة كبيرة وهدف عظيم. (لو تعلقت همة أحدكم بالثريا لنالها).

ولقد سالت ذات مرة أم المؤمنين أم سلمة (رض) عن سبب تفرّق قبور أولادها في الأرض. فقالت لقد باعدت بينهم الهمم!! نعم كانوا طموحين، اهدافهم كبيرة، لم تسعهم أرضهم فساروا في أرض الله الواسعة، وراء تحقيق أمانيهم!

أين هؤلاء من الآخرين، ومنهم: من ذكره أحد الادباء من انه رأى رجلاً متعلقاً باستار الكعبة وهو يصرخ ويدعو: اللّهم امتني ميتة أبي خارجة!! فلما سأله كيف مات أبو خارجة هذا؟ قال: لقد أكل بذجاً وشرب مشعلاً ونام مشمساً فلقى الله شبعان ريّان دفيان! (٢).

فلنسأل أنفسنا: ما هي أهدافنا في هذا الدنيا؟، وما هي غاية طموحنا فيها، أو إلى

---

(١) ٦ سورة الممتحنة

أين تصل همة الواحد منا؟

ان الرجال العظام هم من كانت همتهم عالية، وأهدافهم عظيمة، وغاياتهم سامية . . .

لنقف مع فقرة من فقرات دعاء الافتتاح الغني بالمفاهيم الاسلامية العميقة . . .

(اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الاسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله . .) ثم ماذا : (وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك . .) (١) .

لنكن اذن من الدعاة الى طاعة الله والقادة إلى سبيله . .

وبالها من همة كبيرة .

(١) مفاتيح الجنان ـ الشيخ عباس القمي ـ ص١٨٢ ـ دار المرتضى

الاسلوب الهادف

١٣

توجه الامام الصادق (ع) إلى لقاء له مع المنصور العباسي فوجد الشقراني واقفاً على باب القصر - هو أحد موالي رسول الله (ص) - فلما رأى الامام اسرع اليه وسلم عليه، وقال ان لي اليك حاجة يابن رسول الله. فقال له الامام (ع): وما حاجتك؟. قال: لقد تأخر عطائي ولا أعرف من يخرج لي العطاء. فبادر الامام ودخل القصر العباسي واخرج له عطاءه ووضعه في ردائه وسلمه له.

ففرح الشقراني كثيراً وبينما هو يستلم عطاءه من الامام (ع) وإذا بشفتي الامام تتحركان: (الحسن من كل أحد حسن وانه منك أحسن لمكانك منا. وان القبيح من كل أحد قبيح وانه منك أقبح لمكانك منا (١).

وذلك أن الشقراني كان يتهم بشرب المسكرات. ففهم الشقراني مراد الامام وانصرف بعد ان أثّر به اسلوب الامام الهادف.

ان الامام (ع) عرف كيف ومتى يوصل الموعظة والنصيحة له فهو (ع):

١ - لم يتباطأ عن الاستجابة لطلبه فبادر وجاء له بعطائه، ولم يجابهه مباشرة ويقولُ له: انا لا أصنع لك هذا المعروف لأنك متهم بالشراب. ان قضاء حاجة المقابل يجعل نفسه منفتحة ومحبة لمن أحسن إليه.

٢ - استشعر الامام (ع) حالة انشراح نفس الشقراني حين استلامه عطاءه وشعوره بالامتنان العميق للامام. والحكمة تقول أن النفس تميل إلى من أحسن إليها. وهنا وجه الامام نصيحة في هذا الجو الملائم جداً..

٣ - بدأ الامام بالنصيحة بأمر إيجابي (الحسنه من كل أحد..) بادئاً بما يفتح قلب المقابل ويرتاح لذكره. ولم يبدأه بقوله (القبيح من كل أحد قبيح..)

٤ - لو أن شخصاً ثالثاً كان حاضراً لم يكن ليهتدي إلى ما أراد الامام (ع) بقوله هذا

(١) المجالس السنية - السيد محسن الامين - ج٢ ص٣٦٠

اي أن الامام لم يتبع اسلوب الفضح وكشف خطأ الآخرين وبذا يبقى على كرامة المقابل وشخصيته دون أن تمس بخدش.

٥ ـ ركز الامام على أسلوب رائع حينما ذكره بأنه عائد اليهم محسوب عليهم والشخص المحسوب على الاسلام ورموزه أولى من الآخرين بالتزام باحكامه وقيمه وآدابه.

ولهذا ينقل عن الشريف الرضي حينما كان نقيب الطالبيين، أنه كان يعاقب الطالبي بعقوبة مضاعفة، لأن من ينتسب لمحمد وآل محمد سلام الله عليهم هو أولى من غيره بان يلتزم باحكام دينه وشرائع سنته.

أقول، وكلنا محسوب على الاسلام محسوب على محمد وآل محمد فما احرانا بأن نكون أكثر الناس مسارعة الى الالتزام بعقيدتنا وبتوجيهات الاسلام العظيم.

وكم يترك بعض المسلمين غير الملتزمين من آثار سيئة وصور مشوهّه عن دينهم في نفوس الغربيين، حينما يعاملونهم معاملة يرفضها الاسلام واحكامه وقيمه وأخلاقه. .

قال لي أحد المؤمنين العاملين في احدى كبرى شركات التأمين في بريطانيا ان عندهم تعليمات بالتعامل على أساس الشك والاحتراز مع كل معاملة تعويض ترد الى الشركة يرفعها شخص اسمه اسم عربي أو مسلم!!

هكذا بلغ الأمر بأن نسيء إلى ديننا ونمنع الناس عن الهداية بافعال بعضنا وتصرفات غير الملتزمين منا.

إن الحسن من كل احد هو حسن ولكنهُ منك اخي المسلم أحسن وان العمل القبيح من كل أحد قبيح ولكنه منك أقبح يا أخي المسلم لأننا محسوبون على الاسلام. فهل نحن في مستوى ذلك؟!

أول المضحين وآخر المستفيدين

١٤

حينما صافح سيف الشقي عبد الرحمن بن ملجم، رأس أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (ع) وصرع في محرابه بجامع الكوفة. عزّ ذلك على المسلمين، واشتد الأمر على أصحابه وأتباعه ومريديه. فمضوا إلى بيته (ع) للاطمئنان على وضعه وحالته، ولكن الجرح كان بليغاً مما حال دون دخولهم على أمير المؤمنين (ع) وعيادته.

ومن أولئك المخلصين، كان صعصعة بن صوحان العبدي، العبد الصالح والخطيب الرسالي الذي جاء عائداً الامام (ع)، فلم يكن له عليه إذن، فقال صعصعه للآذن قل له: يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً، فلقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بذات الله عليماً!

كلمة رائعة مختصرة بيّن فيها عظمة شخصية الامام (ع) اذ لمّا كان الله تعالى في نفسه عظيماً، وبذات الله كان عليماً، تجسّد ذلك فكان علي بن أبي طالب (ع).

فلما بلغ أمير المؤمنين (ع) ما قاله صعصعه، قال لذلك الآذن قل له: (وانت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المؤونة كثير المعونة)!! (١).

يالله!! عليٌ في تلك الساعات وهو يودع الدنيا، يريد أن يقيّم رجلاً من أصحابه تقييماً تربوياً هادفاً، يريد في تقييمه هذا أن يربيّ، ويواصل عمله في التغيير وهو في تلك الساعات الحرجة.

فلنتأمل كيف تمّ تقييمه؟ كان تقييماً عملياً. تقييماً يستبطن درساً ودعوة لكل من سمعه ولكل من يصل إليه ذلك.. لم يكن تقييماً على أساس عبادي بحت - بالمعنى الخاص للعبادة - بل كان تقييم الجانب الواقعي في حياة الانسان.. ولم يكن ليقيمه فقط، بلّ وليدعو إلى هذا النمط من التعامل والسلوك!!. خفيف المؤونة.. فلم تطالب بامتيازات ومراكز، ولم تضع شروطاً مسبقة لخدمة دينك والسعي في تعبيد الناس لربهم، ولم تحاول أن تجعل في قيامك بواجبك ومسؤوليتك منةً على الآخرين. يا ترى كم من عامل ومؤمن يطالب ويدعو إلى أن يسلم مواقع معينة ويلح عليها،

(١) مقاتل الطالبين - ابو الفرج الاصفهاني - ص٢٢ - المطبعة الحيدرية النجف.

بشكل يتصوره المقابل انه يبحث عن رضا نفسه في ذلك العمل وليس الله تعالى.

خفيف المؤونة. ما أحلاها من كلمة وما أروعه من وصف، كيف لنا أن نتصور صعصعة؟ انه من أولئك الجنود المخلصين الذين لا تهمهم توقعات ومطالب الآخرين.. ما أقبح بالمؤمن حينما يعيش رسالته مهنة ودينه متجراً دنيوياً!! ما أغرب بصاحب التاريخ والجهاد أن يتحول إلى جامع للمكاسب الزائلة، ويجعل من كل شيء أسلوباً لزيادة رصيده في البنوك، حتى تاريخُه وجهاده ورسالته!! ثم ماذا.. هل انه كان لا يحب أن يثقل على الآخرين ولا يكلفهم شططاً ولا يلقي بكلّه عليهم؟. هل هذا فقط؟ وهي حسنة تكفي لوحدها مدحاً وثناءً. فكيف وقد وسمّهَ أمير المؤمنين (ع) بوسام آخر؛ كثير المعونة، نعم انه مبادر للأعمال والواجبات، سبّاق إلى كل مسؤولية، مقاتل في كل جبهة، مسرع إلى كل موقع لخدمة الاسلام والمسلمين. انظروا إلى هذه الموازنة والمقابلة؛ بين المؤونة والمعونة. فقد يقال بضرورة التناسب الطردي؛ خفيف المؤونة لا عليه الا أن تكون معونتهُ خفيفة أيضاً.

وكذلك من كانت معونته كثيرة فلا بد أن يكون قد سبقها أو يأتي بعدها مؤونة كثيرة.

ولكن هذا الرجل الكبير كان يحوي الخير من جوانبه، فهو في الحقوق آخر من يطالب بها، وفي الواجبات أول من يسارع اليها..

ان صعصعة بن صوحان، ومن كان على شاكلته وفي منزلته، ومستوى وعيه. هم الذين نصروا دين الله وغيروا التاريخ، وانتصبوا نماذج طيبةً للأجيال!

أين صعصعة من غيره؛ من الذين يلهثون وراء المؤونة والمطالب والحقوق الكثيرة الكثيرة؟. ويختفون في سوح المواجهة ومواقف العطاء.

وسؤال، يا ترى كيف يقيّم كل واحد منا نفسه في هذه المعادلة: المؤونة والمعونة؟

المستوى الهابط: معونة قليلة ومؤونة كثيرة.

المستوى الانتهازي: معونة معدمة ومؤونة مطالب بها.

المستوى العادي: معونة تتناسب مع المؤونة.

المستوى الأفضل: معونة كثيرة ومؤونة قليلة.

فسلام عليك يا أمير المؤمنين وانت تقيّم أصحابك وسلام عليك وأنت تضع أمامنا معادلة المؤونة والمعونة.

ورحمك الله يا صعصعة ورحم كل المخلصين الذين هم في أول صفوف المضحين، وفي أواخر صفوف المستفيدين!! اللهم خلقنا باخلاقهم والحقنا بدرجتهم.

ليبقى المعروف معروفاً والمنكر منكراً

١٥

كثيراً ما يعاني الانسان المؤمن حينما يركب سيارة عامة من مسألة ارتفاع أصوات الراديو وأجهزة التسجيل بالغناء، فإذا كان راكباً في سيارة أجرة عامة كالباص وأمثاله، صعب عليه هذا الأمر. وقد يتجرأ بعض السائقين بأنزاله من السيارة حتى لو كان في طريق قد لا يجد سيارة أخرى توصله إلى مبتغاهُ. وإذا كان في سيارة أجره خاصة (تكسي)، أمكنه الطلب من السائق أن يغلق الراديو. وان كان بعض السائقين يتدخلون ويسألون عن سبب ذلك، بل قد يحدث ان لا يرضى السائق بالاستجابة للطلب. ويطلب من الراكب النزول من سيارته. وقد حدث لي مع أحد العلماء الاجلاء وقد ركبنا سيارة وطلبنا من سائقها إغلاق جهاز الراديو فأبى، وأبدى عدم استعداده لذلك. مما جعلنا مضطرين للنزول من السيارة، فنزلنا دون أن يثير ذلك أي اهتمام عندهَ!

فذكرّني ذلك بما نقله لي أحد العلماء من أن سائقاً أنزل أحد طلبة العلوم الدينية في مدينة الكفل بعد خروج السيارة من النجف بسبب هذه المسألة.

وكان بعض طلبة العلوم الدينية محتفين بالسيد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، فبادر أحدهم سائلاً: سيدنا دائماً ما نركب السيارات متوجهين إلى كربلاء أو بغداد، وهناك بعض سائقيها لا يلتزمون بمسألة حرمة الغناء فأصوات الغناء تنطلق من سياراتهم أثناء قطع المسافة. وقد جربنا مراراً أن نأمر أولئك السائقين باغلاق الراديوات أو أجهزة التسجيل. فلم يؤخذ بنهينا لهم، فهل نترك ذلك لأننا لا نجد تأثيراً لنهينا عن المنكر أو لأمرنا بالمعروف؟!

فردّ عليه السيد الشهيد: لا يمكن لكم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى إذا لم يلتزم بذلك السائقون، لأنكم ان تركتم ذلك فسوف يسود في الناس نتيجة لذلك إعتقادٌ أن لا حرمة في هذا الموضوع. فلا بد لمن عرف بالدين أن لا يدع واجبه حتى لا ينسى الناس أحكام الدين، وخاصة العلماء وطلبة العلوم الدينية.

هكذا كانت نظرة هذا الرجل العظيم لهذه المسألة فما أكثر الناس الذين يأنسون

بالمنكرات ولا يرونها منكرات لكثرة ما عايشوها.

ولهذا تجد مثالاً أن بعض النساء اللواتي كن في الشرق بعباءتها أو بالحجاب الشرعي التام ثم يبدأ هذا الحجاب بالانسحاب إذا استقرت هذه المرأة في أوروبا فتستبدل بذلك الحجاب قميصاً طويلاً وتنورة ثم يُتهاون بمسألة الألوان وسعة الملابس أو ضيقها.. حتى يصل بالبعض إلى أن يكون حجابها هو نفس الملابس العادية لها أو لغيرها من النساء إلا أن تلبس على رأسها قطعة قماش متواضعة.

ولعل من أكبر الاخطار التي تواجه المؤمنين الذين يعيشون في مجتمعات غير ملتزمة، خطر تحول الذنب إلى أمر طبيعي يألفونه ولا يجدون فيه ما يثير استهجانهم شيئاً فشيئاً.

ان بقاء حاله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيّة فاعلة في الأمة تعني بقاء السياج الرصين ضد انتشار الانحراف في المجتمع.. وإذا ما خجل حتى العلماء أو طلبة العلوم الدينية من اداء هذا الدور والوقوف بوجه الخطأ ـ وان هذا خطأ ـ فان الاخطاء والانحرافات سوف تستمر. واستحضر هنا قولاً للشهيد الثاني العاملي رحمه الله حينما يذكر مسألة التقية اذ يقول في كتابه (القواعد والفوائد) ان هناك أموراً لا يجوز فيها التقية منها مقام التبرّي من أهل البيت (ع).. (فانه لا يؤثم بتركها ـ التقية ـ وخصوصاً إذا كان ممن يقتدى به) (١).

لأن الانسان العادي ربما تنحصر آثار عمله على شخصه فقط، أما العلماء أو طلبة العلوم الدينية فانهم إذا تهاونوا بمسألة الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر، فإن موقفهم هذا سوف ينسحب على الآخرين ويقتدون بهم.. انها مسؤولية الموقع في بعض جوانبها.

والمسألة لا تخص العلماء والطلبة فقط لأنها واجب على كل مسلم كوجوب الصلاة والصيام..

وان المؤمن حينما يمارس دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في أبسط الحالات وهي انكار المنكر في داخل النفس (القلب)، فانه يحافظ على أبسط الحالات دون أن يتسرب المنكر الى نفسه فتأنس به.. فالرفض القلبي ضمان أولاً وقبل أي شيء لاستقامة المؤمن، وبقائه على موقفه المطلوب منه.

اذن فليبق المعروف معروفاً والمنكر منكراً..

---

(١) مصادر نهج البلاغة ـ السيد عبد الزهراء الحسيني ـ ج٢ ص٣٤

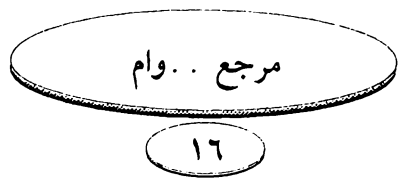

لما أشرف مرجع المسلمين في وقته، الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر على الموت. أوصى بالشيخ مرتضى الانصاري بأن يكون هو المرجع من بعده رحمهما الله. . وهكذا كان حيث أجمعت كلمة العلماء على مرجعيته. .

فلما شاع هذا الخبر ورجع الناس في التقليد للشيخ الأنصاري، أسرع أحد المؤمنين من أجل أن يزفّ البشرى لوالدة الشيخ مرتضى، بوصول ابنها إلى هذه المسؤولية والمنزلة الكبيرتين. وهي حينذاك كانت تسكن دزفول احدى مدن ايران الجنوبية. فلما دخل على تلك العجوز الصالحة قال لها أبشرك يا أم الشيخ! فأن ابنك قد صار في النجف الاشرف مرجع المسلمين!!

وكان يتوقع منها أن تفاجأها البشرى الطيبة. . ولكنها أدارت رأسها إليه بكل هدوء واطمأنان. وقالت: كنت أعلم أن ولدي الشيخ مرتضى، سيكون له شأن ذات يوم! فقال لها: وعلى أي شيء جاء علمك هذا وتوقعك؟

فقالت: لأني ما ارضعتهُ ذات يوم ـ حينما كان طفلاً ـ الاّ وأنا على وضوء!!.

فذهل امام هذا الحجر الطاهر، وهذه التربية المبكرة، وتلك العلاقة مع الله تعالى.

ما أروع هذه الأُم التي لا تلقم ثديها لطفلها الا بعد أن تتوضأ. انها تربط ربطاً ايمانياً عميقاً ورائعاً بين مهمتها كأم ترضع طفلها، وبين كونها مربية واعية.

ما اشد حاجتنا هذا اليوم وكل يوم إلى امثال هذه الامهات المؤمنات!! ونعم ما قال الشاعر حافظ ابراهيم:

الام مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ومن الطبيعي أن يكون لذلك الطفل شأن وهو يتغذى اللبن والخلق والدين، وتتهادى الى مسامعه ترانيم القرآن ومقاطع الادعية المباركة.

وقبل ذلك يحكى أيضاً، أن الشيخ مرتضى الأنصارى أعلى الله مقامه لما أراد أن

يترك بلدته دزفول، للالتحاق بالحوزة العلمية في جوار باب مدينة العلم علم رسول الله (ص) أمير المؤمنين (ع) في النجف الأشرف، فان أمّهُ لم توافق أول الأمر على ذلك. وازاء رغبة ولدها الشيخ على السفر من جهة وعدم مخالفة رغبة أمه ـ ويا لها من أم ـ من جهة أخرى، اتفقنا على الرجوع الى كتاب الله، والتفؤلَ به، فَلما فتح القرآن وإذا بالآية الكريمة:

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيهِ في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوّه اليك وجاعلوه من المرسلين . . ﴾ (١) . .

وعاد الشيخ اليها مرجعاً وعالماً من علماء الأمة، وقد قال الرسول (ص) (علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل) (٢).

---

(١) ٧ سورة القصص

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٦ ص٤٥٦

هل أن الدنيا سجن المؤمن؟

١٧

كان الامام الصادق (ع) يتمشى مع جمع من أتباعه وغلمانه في هيئة حسنه وطلعة بهيّة، فصادفهُ يهوديٌ عليه سيماء المسكنة والفَقر، فبادر الامام قائلاً: الستم تروون عن نبيكم أنه قال: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر..)(١) فكيف وأنت امام المسلمين على هذه الهيئة الحسنة والملابس الجيدة، وأنا مع كفري ويهوديتي على هذا الحال المزري والفقر المتقع، فأين هي جنة الكافر وكيف تكون سجناً للمؤمن؟!

ابتسم الامام الصادق (ع) وأوضح له بأن معنى ذلك لا أن يكون المؤمن في هذه الدنيا، عاثر الحظ سيء التوفيق، قد جلّله الفقر جلباباً وعصرت أيامه المسكنة والحاجة. بل ان المؤمن مهما كان متمتعاً به من لذات اباحها الله له، وحلّلها عليه، فانها اذا قيست بما ينتظره عند الله من روح وريحان وجنة نعيم تعتبر سجناً!!

كما أن الكفر مهما كان قد آملته الحياة بفقرها وشدة وطأة فاقتها، فانه في مقابل ما ينتظره من العذاب يوم القيامة بسبب الكفر ومحاربة الله ورسَوله فانه يعتبر ما كان فيه من معاناة وغصص وكأنها الجنة!!

ولهذا فأن من المفاهيم الخاطئة التي حاربها الاسلام هي الرهبنة وترك متع الحياة ومباهجها. وإلى ذلك اشارت عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ (٢).

وحينما دخل قوم على الامام الصادق (ع)، من الذين تصوروا ان حالة الترهبن وترك ملذات الحياة المباحة هي السبيل للوصول إلى رضا الله تعالى. دخلوا عليه فاعترضوا على الحالة التي وجدوا عليها الامام (ع) من حيث رقة الملابس وطيب الطعام. ولهذا بيّن (ع) لهم الموقف الصحيح عبر حوار طويل، منه قوله (ع) لهم: (ان

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص٤٤

(٢) ٣٢ سورة الأعراف

الدنيا اذا اقبلت فخيارها أحق بها من فجارها ومؤمنوها أولى بها من فاسقيها).

وإذا رجعنا إلى الحديث المروي عن النبي (ص) من أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فاننا قد نجد فيه اشارة إلى ما قد يكابده الانسان المؤمن ويواجههُ من معاناة وهو يخوض هذه الحياة. فانه لا بد أن يلاقي الكثير من الآلام والمصاعب والشدائد. فاذا تذكر أن هذه الحياة الدنيا هي مجال ومضمار لاكتشاف عمق ايمان، ومدى استعداده للتضحية من أجله، وانها لا تعدو ان تكون سجناً له، اطمأنت نفسه لذلك. واستعان بالله تعالى على تجاوز تلك الازمات.

فان المعاناة في سبيل الله والمرارة التي يعاني منها سوف تتحول الى لذة في جنب الله تعالى ويوم لقائه، وبالعكس فان الذين يتلذذون بهذه الدنيا بما حرّم الله.. وبايذاء المؤمنين فان هذه الحلاوة المزيفّة ستنقلب إلى مرارة حقيقية..

يروى عن أمير المؤمنين (ع): مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة (١).

فما أحلى المرارة والمعاناة والآلام في سبيل الله، وما أكثر مرارة ولا علقماً من لذات الدنيا إذا كانت تؤدي إلى معصية الله وغضبه.

---

(١) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٤٤

شاء الله أن يراهن سبايا

١٨

كلمة اشتهرت عن الامام الحسين (ع) في رد سؤال وجهه اليه محمد بن الحنفيه ، حينما أخبره الحسين (ع) بأنه مصمم على الخروج إلى العراق ومغادرة مكة مع يقينه بأنه سيقتل. حينها سأله اخوه عن معنى اخراج النساء معه فأجاب بهذه الكلمة..

وأثبتت وقائع الأحداث بعد ذلك عمق ما أدركه الحسين(ع) وما أعدّه من دور عظيم للنساء في حركته الخالدة وتجلّى ذلك في عدة نتائج إيجابية..

ولعل من فوائد اخراج النساء في ركب الحسين عليه السلام هو القاء الحجة على من احتج بنسائه وعياله كسبب لعدم التحاقه بالحسين(ع) وثورته..

فكأن الحسين عليه السلام يقول لهم إن كنتم تخافون على نسائكم وعيالكم وهُنّ في بيوتهن وبين أهلهنّ فقد جئت بأهلي ونسائي معي الى ساحة المعركة.

وقالها صراحة [يا أيها الناس أنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم وعيالي مع عيالكم ولكم فيّ أسوة حسنة]... (١).

وكانت تلك حجة من خرج لحربه من الجندي البسيط إلى قائدهم عمر بن سعد.

فهذا الجندي هرثمة بن سليم، الذي كان ذات يوم مع علي عليه السلام حينما توجه إلى صفين، ورأى علياً عليه السلام حين وصوله كربلاء كيف جلس إلى كثيب رمل رفع منهُ قبضة شمّها وبكى. وأنبأ القوم بقتل عصبة من آل محمد يدخلون الجنة بلا حسابٍ في تلك الأرض...

وحينما خرج ابن سليم هذا لحرب الحسين (ع) وقد خيمّ في عين المكان الذي نزل فيه أبوه أمير المؤمنين (ع) قبل ما يزيد على عشرين عاماً... فأحسّى بالإحباط والمرارة. وجاء إلى الحسين(ع) يُسلّم عليه ويبشرّه بما سمعه من أبيه عليه السلام. ولمّا سأله الحسين(ع) عن موقفه اعتذر بأنه يخاف على عياله الذين خلّفهم في الكوفة (٢).

(١) عبد الرزاق المقرم- مقتل الحسين (ع)- ص١٨٥ - دار الكتاب الاسلامي- بيروت

(٢) معالم المدرستين- السيد مرتضى العسكري- ص٤١ ج٣

وإما القائد بن سعد فقد قال له الحسين(ع) وهو يدعوه إلى نصرته عمّا يجعله يحاربه . . فقال : [أخشى على بستاني أن يخربه ابن زياد] فأجابه الامام(ع) بأنه سيعطيه ضيعة من ضياعه في المدينة فقال ابن سعد [وأخشى على داري أن يهدمها ابن زياد] فقال الإمام (ع) : وأنا أبني لك دارك فقال ابن سعد [أخشى على عيالي من ابن زياد . .] فما عسى الإمام عليه السلام أن يقول بعدما ذكر ما ذكر . . قال : [لا بارك الله فيك وسلّط الله عليك من يذبحك على فراشك] . .

إن الإنسان محبّ لعياله حريص عليهم ولكن الخطورة أن يكون هذا الحب وهذا الحرص حائلاً دون الموقف الذي يريده الله .

دخل رجل على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسهب في ذكر عياله ونسائه وخوفه عليهم فقال عليه السلام له : [لا تجعلّن أكثر شغلك بأهلك وولدك فان يكن أهلك وولدك أولياء الله فانّ الله لا يضيع أولياءه وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله] (١) .

سلام عليك يا أمير المؤمنين في توجيهك هذا بل وكل توجيهاتك لأنها القرآن المتجسد والسنة المترجمة .

ويبقى موقف الامام الحسين (ع) دافعاً لكل مؤمن بان لا تؤثر على مواقفه وقراراته وما يطلبه منه دينه ومبدؤه ، لا تؤثر على ذلك كله ارتباطاته الاسرية وعلاقاته العائلية . .

كما يبقى موقفه (ع) حجة كبيرة تدحض كل ادعاءات المتخاذلين الحائرين ، حينما يحتجون بأهلهم وعيالهم كسبب لترك مسؤولياتهم الشرعية .

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ٣٥٢ ص٥٣٦ ـ اعداد صبحي الصالح

سنة حسنة وسنة سيئة!

١٩

السنة لغة: هي الطريقة، والسيرة حسنة كانت أو قبيحة ضمن معان أخرى (١).

وفي حديث للنبي (ص): من سنّ سنة حسنة فله أجرها، واجرُمن عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها، ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة..

وورد في حديث آخر: (من سنّ سنة حسنة عمل بها من بعده، كان له أجره، ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً. ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزره، ومثل اوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً) (٢).

ولو توقفنا عند هاذين الحديثين الشريفين وما فيهما من أبعاد تربوية واجتماعية، فاننا سنضع أيدينا على معان رائعة وفوائدَ جمة.

إن للانسان بعدين في سلوكَه الاجتماعي، البعد الأول، شخصي ذاتي. يبدأ به وينتهي اليه، يجازى على أعماله مدحاً أو ذماً، خيراً أو شراً. والبعد الثاني؛ اجتماعي.. لأن الانسان كائن ضمن مجتمع. وان المفردة السلوكية للانسان تترك اثرها في ذلك الجو الاجتماعي، الذي برزت فيه هذه المفردة. فقد تكون بادرة خير وصلاح تهيأ الاجواء وتشجع الآخرين على معاودتها وتكرارها. بل وربما اشاعتها في المجتمع. وقد تكون بادرة سوء، تشيع أجواء الفاحشة أو الظلم، مما تهيأ الفرصة أمام أصحاب النفوس الضعيفة وسطحيّ الايمان، في التجرؤ على حرمات الله، وانتهاك حرمة الآخرين، وأعراف الهدى والاستقامة.

فهذا الحديث الشريف يقول لنا وينبهنا؛ بأن أعمالك أيها الانسان ذات أثر اجتماعي فلا تقتصر آثارها عليك فحسب، بل لها آثار على الآخرين، على مجتمعك الذي كان ظرفاً لذلك العمل.. ان كان خيراً فخير وإن كان شراً فشّر.

---

(١) لسان العرب- ابن منظور- ج١٣ ص٢٢٥- دار الفكر- بيروت.

(٢) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٤ ص٥٦٦

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الحديث له بعدٌ ثان، إذ يحثنا ويدعونا ان نكون من المبادرين في أنماط معينة من السلوك، فيما يحتم أن نكون من المتباطئين الوجلين مع أنماط أخرى منه. هو حثٌ من جانب، وتثبيط من آخر، تشجيع باتجاه وشجب باتجاه آخر. مبادرة من جهة وتوقف من جهة أخرى. ففي الحديث حث على ابتكار الوسائل الجديدة لخدمة الخير والاستقامة، فيكون عمله إبداعاً جديداً وابتكاراً حديثاً لأسلوب وطريقة تشدّ الناس إلى الله، وتحث الناس على الهدى والصلاح، وتشيع في المجتمع أجواء النقاء والصفاء والتعاون... فكم هناك من افكار وابتكارات واساليب جديدة، يمكن أن تتفتق عنها ذهنية الانسان المؤمن. وإذا به يمهّد سبيلاً جديداً، ويعبّد طريقاً حديثاً، يدخل الناس من خلالها إلى طاعة الله.

وقد اشير إلى بعض تلك الافكار والمشاريع عبر فكرة الوقف في ذهنية المسلم وكيف كان الناس يبدعون في أساليب رضا الله وخدمة الناس..

فقد يمر احدهم بمسجد، فيجد فيه نشره جدارية، فيها كتابات لشباب ذلك المسجد، فيه تقوية وتشجيع لهم على الكتابة. فتعجبهُ الفكرة فينقلها إلى مسجده.. أو تعجبه فكرة مسابقات في سفرة هادفة فتكون سنة. أو يؤسس أحدهم جمعية لتزويج الفقراء من الشباب فتشيع سنة حسنةً في المجتمع. ونحن الآن في عصر الكمبيوتر والانترنيت يا ترى كم هناك من فكرة وفكرة جديدة يمكن ان تكون اسلوباً جديداً يحث الناس ويدعوهم إلى الالتزام والهدى. (فله أجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة)..

هذا من جهة السنة الحسنة وأما بالنسبة للسنة السيئة، فالحديث يحذرنا كما قلنا ويثبطنا عن ان نفتح باباً من أبواب الشر، ونسنّ سنة سيئة في اشاعة الجور والفساد والانحراف في المجتمع..

يأتي متجرئٌ فيرتكب حماقة، تشجع آخرين على المعصية والجور والخطأ. مجتمع يرعى حرمة شهر رمضان، فيأتي شخص يتجاهر بالافطار فيشجع آخرين على التجاهر بالمعصية. مجتمع ليس فيه حانوت لبيع الخمور فيجترأ شقي على فتحه، فيشجع ذوي النفوس الضعيفة على ذلك. بيئة اجتماعية ترعى العفاف والحجاب فتأتي امرأة متجرأة فتسفر عن جسمها فتكون فاتحه لباب الانحراف للاخريات (فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة).

وهناك فائدة ثالثة من فوائد الحديث الشريف: حيث ان فيه دعوة إلى ابتكار وسائل التبليغ والدعوة إلى الإسلام. وهي من المشاكل التي تواجه الدعاة والعاملين للاسلام. فهل يا ترى نكتفي بما عندنا من أساليب الدعوة والتبليغ كالمنابر وغيرها؟ أم نحن بحاجة إلى أن نتحرك ونقف على أساليب أخرى تعين أساليبنا المعهودة على نشر الهدى والاخلاق الفضيلة؟ قد يكون ذلك عبر المدارس أو الخدمات الطبيّة أو الجامعات الهادفة، وقد يكون عبر تهيأة مختصين في مجالات القصص والاخراج التمثيلي أو المسرحي والرسم والتمثيل، والاهتمام بمجالات علم النفس وعلم الاجتماع وكل ما من شأنه خدمة الدين.

ومن فوائد وثمار الحديث المبارك؛ أنه ينبغي على المؤمن، أن يشجع ويديم السنة الحسنة ويحافظ عليها، بل ويدعو إلى تنميتها ما دامت ذات عطاء وفائدة للناس. وبنفس الوقت فان الواجب عليه أن يبقى حذراً ومحارباً لاي سنة سيئة نودي بها ذات يوم..

وعلى هذا فان من المستقبح ان يدخل المزاج الشخصي أو التحسس من شخص أو جهة، أو عدم الارتياح لطرف ما، أقول من المستقبح أن تكون هذه الدوافع أو غيرها سبباً لكي نلغي سنة حسنة، أو يفكر في إضعافها وابتكار أساليب تمنع خيرها وعطاءها. ليس من سبب الا انها لا تنسب الينا أو إلى جهتنا.

ومن الملاحظ في سلوك المتسلطين والطواغيت انهم يحاولون تغيير كلما وجدوه منسوباً إلى غيرهم ممن سبقهم في هذا المضمار، حتى إذا كان ذا أثر طيب يفيد العباد والبلاد.

ولهذا نجد أمير المؤمنين (ع) يوصي واليه على مصر، مالك الاشتر (رض)، من ضمن ما يوصيه في عهده الرائع له، ويحذره من هذه الخصلة الذميمة:

(ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة، واجتمعت بها الالفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تُحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن. فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها) (١).

هذه أربع فوائد تستفاد من الحديث الشريف ولا شك ان هناك فوائد وفوائد.

---

(١) نهج البلاغة - ص٤٣١ - اعداد صبحي الصالح.

العمل روح الحياة

٢٠

وقف رجل انصاري امام النبي (ص) سائلاً منه ان يعينه، فإنه قد ترك اطفالاً خلفه يتعاوون من الجوع. . نظر إليه رسول الله (ص) فوجده قوياً قادراً على العمل والكسب فسألهُ هل في دارك ما يباع؟، فقال: ليس لي الا حلس (قطعة فراش) وقعب (اناء للماء أو اللبن). فطلب منه النبي (ص) ان يأتيه بهما!! فجاء بهما اليه فرفعهما النبي (ص) ونادى في مسجده من يشتري؟ فقال أحد الصحابة: اشتريه بدرهم! فقال (ص) من يزيد؟ فقال آخر: عليَّ بدرهمين، فباعهما النبي (ص) ثم أعطى الانصاري درهما وأمره أن يشتري به طعاماً لأهله ثم يأتيه. فلما رجع أمره بان يشتري رأس فأسة. فلما جاء بتلك الحديدة ادخل فيها النبي (ص) خشبة ثم طلب منه أن يأتي الجبل ويحتطب ويأتيه بعد خمسة عشر يوماً. ولما انقضت المدة جاء الرجل ومعه عدة دراهم وقد أعال عياله طوال تلك المدة وبقي عنده فائض من دراهم. . فالتفت (ص) إلى أصحابه وقال: هذا ما أردت!!

فالنبي (ص) أراد من ذلك الرجل أن يفجرّ ما عنده من طاقة معطلة، وان ينطلق إلى العمل والنشاط ومعالجة الحياة والتفاعل معها.

وما أراد منه أن يتحول إلى كلٍّ على المجتمع، وهو (ص) الذي يقول: (ملعون من القى كلّه على الناس) (١). وقد حث الاسلام على العمل وفي الاحاديث الشريفة أن (الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله. .)

وعنه (ص): (العبادة سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال). . (٢).

ولهذا يروى عن علي (ع)، أنه كان إذا رأى رجلاً، أعجبه سمتهُ وهيئتهُ يسأل عن حرفته، فان قيل لا حرفة له سقط من عينيه!

---

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص٣٢

(٢) المصدر السابق.

وكان الامام الصادق (ع) يأخذ المسحاة ويعمل في أرض له حتى يتصبب جسمه عرقاً. فقال له بعض أصحابه: جعلنا الله فداك دعنا نعمل لك، أو تعمله الغلمان. فأجابهم (ع): لا دعوني فاني اشتهي ان يراني الله عز وجل اعمل بيدي واطلب الحلال في اذى نفسي). .(١).

انه اسلامنا يدعونا الى العمل والنشاط ويكره لنا الخمول والكسل ولو في احرج الأوقات كيف والحديث المشهور عن النبي (ص) (لو قامت القيامة على أحدكم وفي يده فسيل نخل فليغرسه).

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٨ ص٣٨٨

آحاد وعشرات

٢١

روي عن الامام السجاد (ع) أنه قال: يا سوأتاه لمن غلبت أحداتُهُ عشراته!! (١)

كم هي واسعة رحمة الله تعالى لعباده! وكم هو كبير العطف الإلهي والرأفة الربانية التي يغدقها الغفور الرحيم على الناس! وجاءت الأدعية المأثورة لتؤكد على مدى رحمة الله الواسعة (يا من سبقت رحمته غضبه) (الهي: ان لم أكن أهلاً ان ابلغ رحمتك فرحمتك أهل ان تبلغني وتسعني لأنها وسعت كل شيء). ومظاهر هذه الرحمة كثيرة وكثيرة ومنها ما أكدهُ القرآن الكريم ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (٢).

معادلة يحاول فيها الباري تعالى اضافة النقاط الايجابية الى رصيد الانسان المقصر، الانسان الغافل. اذا عملت أيها الإنسان عملاً صالحاً فلك بذلك عشر حسنات لا حسنة واحدة فقط. في حين أنك لو غفلت ونسيت ربك فارتكبت ذنباً فانك تجازى سيئة واحدة.

بل وتؤكد الاحاديث ان الانسان المؤمن إذا نوى ـ مجرد نية ـ ان يعمل عملاً صالحاً فان الله يجازيه على نيّة الحسنة هذه، بان يكتب له حسنة واحدة، واما إذا نوى أن يرتكب خطيئة أو ذنباً فانه لا يكتب عليه شيئاً. فإذا تحولت النية الحسنة الى عمل صالح تضاعفت الحسنة الى عشر حسنات. وثبتت سيئةٌ واحدة على من أحال النية السيئة الى فعل سيء.

وإذا نظر الانسان بعين عقله، لوجد أن كل ما أحله الله له إنما فيه مصلحة له، وفائدة لحسابه. وفي المقابل فان كل ما حرم عليه انما حرم لمكان الضرر فيه. وان من مظاهر رحمة الله، انه يحثه ويدعوه للأعمال الصالحة التي فيها مصلحته ومع ذلك يعطيه عشر حسنات على عمل لمصلحته هو وفائدته.

---

(١) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٢٠١

(٢) ١٦٠ سورة الانعام

وإذا ما أخطأ وارتكب ما من شأنه أن يكون فيه ضرّهُ وخلاف مصلحته، فلكي يحذرّه الله من ذلك ولكي يربيّه جاءت السيئات رادعة له ومربيّة ومنبهة . .

قالت سيدتنا الزهراء (ع) في خطبتها :

(ثم جعل الثواب على طاعته ووضع العقاب على معصيته . ذيادة لعبادهِ عن نقمته وحياشة لهم إلى جنته) (١).

فبعد كل هذا يأتي الانسان الى رصيد اعماله الصالحة منها والخاطئة وإذا بالسيئات أكثر من الحسنات! انها نتيجة معكوسة ومخالفة لكل الحسابات العقلانية والمنطقية. كيف تغلب السيئات التي تكتب سيئة واحدة على كل ذنب، تغلب الحسنات التي تكتب منها عشرة لعمل صالح واحد. كيف تغلب الواحدة العشرة!!

وبعملية حسابية بسيطة : إن عملاً صالحاً واحداً يعدل - في نتيجة - ارتكاب عشرة أعمال منحرفة. فهل من المعقول ان في مقابل كل عمل صالح واحد يرتكب الانسان عشرة اخطاء أو أكثر . .

كيف تغلب الآحاد (السيئات)، العشرات (الحسنات).

إذن سوءة لهذا الانسان الذي غلبت آحادهُ عشراته.

سؤءة لهذا الانسان الذي لم يرع رحمة الله وعطفه.

سوءة لهذا الانسان الذي لم يستح من عطف ربه وحبه له.

سوءةَ لهذا الانسان الذي أصر على مخالفة الهدى ومتابعة الهوى .

سوءة لهذا الانسان الذي دخل جهنم عن سابق اصدار وترصد.

﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون!!﴾ (٢)

وكم هي دروس بالغة تلك التي نقرأ في دعاء الافتتاح :

(فلم أر مولىً كريماً أصبر على عبد لئيم منك عليّ يا ربّ، إنك تدعوني فأولىّ عنك وتتحبّب إليّ فاتبغضّ اليك، وتتوّددّ إليّ فلا أقبل منك. كأن لي التطوّل عليك!! فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والاحسان اليّ والتفضّل علي بجودك وكرمك . .) (٣).

اللهم عفوك يا كريم . .

---

(١) المجالس السنية - السيد محسن الامين - ج٢ ص٧١ - دار التعارف

(٢) ١١٨ سورة النحل

(٣) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي - ص١٨٠ - دار المرتضى

من أخلاق الامام الرضا (ع)

٢٢

في ذكريات ائمتنا (ع) هناك ما يمكن أن نسميه ونصطلح عليه: مسؤولية الذكرى . وذلك بأنه ينبغي علينا حينما تمرّ بنا إحدى الذكريات الكريمة للمعصومين (ع) أن نقف وقفة تأمل واستفادة. محاولين السعي للاقتداء بهم والسير على نهجهم. لأن مسألة القدوة الصالحة مسألة مهمة في صياغة وبناء سلوك الانسان. ولهذا جاء القرآن الكريم ليؤكد هذه الحقيقة وليجعل من رسول الله (ص) القدوة العليا كل مسلم ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ (١).

وإلى هذا المعنى اشار أمير المؤمنين (ع) في كتابه إلى عثمان بن حنيف واليه على البصرة (.. الا وان لكل مأموم اماماً يقتدى به ويستضيء بنور علمه..). وان حاولت بعض المدارس والأفكار، أنكار تأثر الانسان بالقدوة والمثل الأعلى، كما يُنقل ذلك عن المدرسة الوجودية ومفكرها جون بول سارتر..

الا ان الواقع يؤكد ان الانسان تنعكس في نفسه وتفكيره انماط سلوك متأثراً بآخرين شعر بذلك أو لم يشعر. ولهذا فهل يمكن للانسان ـ أي انسان ـ ان يجد نموذجاً أرفع وأجدر بالاقتدار من أن يكون مناسباً ومقتدياً ومتبعاً للنبي (ص) وآله الطاهرين (ع). فلنقف الآن عند بعض الاضاءات من اخلاقيات الامام الرضا (ع)، فقد ذكر أصحاب السير والمؤرخو، انه (ع) كآبائه الطاهرين وابنائه الميامين عليهم السلام، قد تجمعت فيه أروع المثل الأخلاقية وابدع انماط السلوك، فقد كان من اخلاقه (ع) انه كان متواضعاً يجمع على مائدة طعامه غلمانه وعبيده حتى السائس والبواب، ويدعوهم باسمائهم ثم يأكل معهم.. حتى ان رجلاً قال له ذات يوم: لو عزلت لهؤلاء خواناً خاصاً بهم.. فافصح له الامام (ع) عن منهجه في ذلك، قائلاً: (ما المانع والاب واحد وهو آدم والام واحدة وهي حواء ويجمعنا خيرَ الاديان وهو الاسلام والجزاء بالاعمال) (١).

---

(١) ٢١ سورة الاحزاب

(٢) سيرة الائمة الاثنا عشر ـ هاشم معروف الحسيني

وكان (ع) لا يمد رجليه بين يدي جلسائه قط، ولا يقطع كلام متحدث معه قط يصغي للآخرين ويُحسن الاستماع اليهم.

وكان من أبرز صفاته الاخلاقية العفو عن المسيئين اليه.. بل والسعي نحو دفع الاذى عنهم.

والحادثة التي تذكر هنا، أن أحد قوّاد الرشيد الظلمة وهو الجلودي والذي كان الرشيد قد بعثهُ الى المدينة لقمع انتفاضه قام بها العلويون هناك، فلما انتهى ذلك الظالم من مهمته عدل الى بيت الامام موسى بن جعفر (ع)، واراد الدخول اليه وسلب الفاطميات حليهن وذلك في الفترة التي كان فيها الامام موسى الكاظم مسجوناً في بغداد. وكان الامام الرضا (ع) واقفاً على باب البيت، يحاول جاهداً اقناع الجلودي بأن يقوم هو (ع) بنفسه بسلب الفاطميات جميع حليهن، على ان لا يبقى على أي واحدة منهن الا ثوباً واحداً! والظالم يصرّ على الدخول بنفسه حتى اقنعه الامام (ع). وقام بأخذ حلي النساء وثيابهن وسلمها للجلودي هذا. ثم حدث ان هذا الرجل الظالم الآثم يدخل الى مجلس المأمون والامام الرضا (ع) عنده، وذلك بعد سنين لما بويع بولاية العهد في خراسان.. فلما رآه الامام (ع) تحدّث مع المأمون ان يعفو عن الجلودي، فقال المأمون متعجباً كيف تطلب مني أن اعفو عن السالب بنات رسول الله حليهن؟! ولكن لمآ رأى الجلوديّ الامام الرضا (ع)، وهو يتكلم مع المأمون، فتصوّر انه يغريه به ليعاقبه، لأن كل انسان ينطلق من نفسه وأخلاقه، فيعتقد ان الآخرين مثله في سلوكهم وأخلاقهم!!

فصرخ الجلودي: الله يا أمير المؤمنين ان تقبل قوله فيّ.. فأجابه المأمون على الفور: والله لأفعلن!! يا جلاد تقدم اليه واقطع رأسه... (١)

أقول هكذا كان امامنا (ع) مهتماً بالعفو عن ذلك المجرم الذي اساء اليه وسلب بنات رسول الله (ص).

افلا نتعلم منه درساً في أن يعفو بعضنا عن البعض الآخر، وأن نخفف من حدة التوتر واتهام الآخرين، واساءة الظن فيهم وهم اخواننا المؤمنون!

إذا كانت هكذا اخلاق الامام (ع) مع أعدائه، فكيف لا تكون هكذا أخلاقنا مع اخواننا؟ وكم بيننا من وشائج وعلاقات وحقوق.

انه درس من دروس اخلاق الرضا (ع)، وهو بعض ما قصدناه من مسؤولية الذكرى. ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ (٢).

(١) في رحاب أئمة أهل البيت (ع). السيد محسن الامين. ج٤ ص١٣٨ ـ دار التعارف

(٢) ١١١ سورة يوسف

مفلس يوم الحساب

٢٣

سأل رسول الله (ص): ما المفلّس؟ فقيل: المفلس فينا لا درهم ولا متاع له فقال (ص): المفلس من أمتي، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم وقذف هذا. واكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) (١).

هناك رصيدان يحكمان مستقبل الانسان يوم العرض على الله تعالى؛ رصيد الحسنات، ورصيد السيئات.. ولكن شتان ما بين الرصيدين. فالأول رصيد يرغب كل مسلم بأن يكون له فيه أعلى المستويات وأقواها وأوسعها.. أما الرصيد الآخر فهو رصيد الاعباء والذنوب. الذي يخلع قلب المؤمن إذا تذكره وهو يجهد دائماً محاولاً أن يقلل عدده ويدني درجته ويضيق مساحته!!

وهذان الرصيدان انما يُعرقان في يوم القيامة.. أما هنا في الدنيا فهما رصيدان مجهولان!

والمرء في هذه الدنيا في كل يوم يزيد في هذا الرصيد أو في ذلك. وربما ينقص منهما أو من أحدهما، في حال هو يعلم بهذه الزيادة أو النقصان، أو لا يعلم بذلك!

الناس في الدنيا مطلعّون جداً ومتابعون بشكل يكاد يكون يومي لأرصدتهم وحساباتهم بالعملات الدنيوية، من هذه العملة أو تلك.. وأغلبهم غافلون عن رصيد الحسنات وحساب السيئات.. هم في الدنيا يتفاخرون بينهم ويعظمون بعضهم ويحقرون آخرين على أساس قوة الأرصدة في البنوك والمصارف أو ضعفها..

وكم هو واقعي قول الشاعر:

إن الدرا هم في المواطن كلها　　تكسو الرجال مهابة وجلالا

(١) البحار - العلامة محمد باقر المجلسي - ج٧٢ ص٥ - دار احياء التراث - بيروت

فهي اللسان لمن أراد تكلماً وهي السنان لمن أراد قتالا!!

فإذا ما حدث أن يصدر مثلاً مرسوم من سلطة في دولة ما بالغاء عملة، أو ابدالها بعملة أخرى، فإن الناس يسرعون وبكل اندفاع لابدال العمّلة القديمَة بأخرى جديدة حفاظاً على رصيدهم منها. وفي يوم القيامة يصدر مرسوم ولكن أي مرسوم هو؟ انه مرسوم الهي!! يقضي باسقاط وسحب القوة والتأثير عن جميع العملات التي كان الناس يتنافسون في الدنيا على جمعها، واقتنائها وزيادة الأرصدة منها.. ولا سبيل لابدالها بعملات اخرى لأنه أمرٌ من رب الأكوان. يقضي باسقاط قيمة كل العملات التي كان يتعامل بها الناس في الدنيا، لأنهم في عالم آخر عالم الآخرة.

ثم بعد ما تلغى جميع العملات، وإذا بهذا الأمر الالهي ينوّه برصيد جديد، الرصيد الذي كان أغلب الناس عنه في غفلة، وربما كانوا يستخفّون به ويستهزؤن. انه رصيد الحسنات. نحن في الدنيا نقول: ان فلان رصيده كذا من العملات الصعبة، في القيامة يقول الخلائق: يا ليت لنا ما لفلان من وفرة في حسناته وقوة في رصيدها.

وإلى هذا تشير بعض الأخبار (إذا مات المرء قال الناس ماذا ترك؟ وقالت الملائكة ماذا قدّم؟) نعم الناس في الدنيا يسألون كم ترك من أرصدة المال. والملائكة تسأل: كم قدم من أرصدة الحسنات والاعمال الصالحة...

والافلاس الحقيقي؛ هو افلاس الانسان يوم القيامة، من الحسنات والاعمال الصالحة وان افلاس الدنيا مهما كان قاسياً ومؤلماً، فهو افلاس يمكن له أن يتغير في أي لحظة، وكم من تاجر أعلن افلاسه في الدنيا، فيعود بعدئذ إلى السوق بقوة وثقل أكبر، كما يمكنك في هذه الدنيا ان تستدين من هذا أو ذاك اضافة الى عواطف الاهل وذوي الرحم التي تعينك على تجاوز الظرف المادي القاسي. ثم بعد كل هذا فهو افلاس مؤقت لأنه في عالم مؤقت وحياة مؤقتة.

ولكن تعال إلى افلاس الانسان يوم القيامة!! لأنه لا سبيل إلى أن تعدل أو تحسّن وضعك، ورصيدك خال من الحسنات، ولا تتوقع هناك، أن صفقة تنقذ وضعك أو يتذكر امرؤٌ ما انك تطالبه بدينك فيوفيه لك. لأن الافلاس هناك هو افلاس حقيقي. ولا تتصور ان انساناً مهماً كان كريماً يمكن له ان يعيرك حسناته فضلاً عن أن يمنحك بعضاً منها حتى اهلك وذو رحمك لا يعرفونك ولا يسألون عنك إذ كل مشغول بنفسه!! ﴿قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ذلك هو

الخسران المبين﴾(١). ﴿يوم يفرُ المرءُ من أخيه. . .﴾ (٢) ﴿ولا يسأل حميمٌ حميما﴾ (٣).

وقد تفرح أيها الانسان يوم القيامة، وأنت تتذكر بعض الأعمال الصالحة التي وفقت لها، والعبادات التي اديتها، والطاعات التي عملتها. . حتى تحسب ان لك رصيداً لا يستهان به من الحسنات. وهو كذلك ـ ولكن!! وما اقسى كلمة (لكن) هذه في بعض الأحيان!!.

نعم ولكن يأتي امامك اناس كنت قد ظلمتهم في دار الدنيا وافتريت عليهم، واغتصبت أموالهم، ونلت من كرامتهم وأعراضهم. . ثم انك لم تبذل من أرصدة الدنيا ـ والتي أعلن عن زيفها وسقوط قيمتها يوم القيامة ـ لم تبذل منها ما يمكن أن ترضيهم به وتعيد إلى نفوسهم النقاء وإلى قلوبهم المحبة، ما أشدّ هذا الموقف وأكثره حراجة وهلعاً. انك سوف تتمنى لو أنك بذلت كل أموالك وأرصدتك الدنيوية لإرضاء هؤلاء الذين ظلمتهم وسببّت لهم الألم والمعاناة.

هاهم امامك اليوم. . امام محاكم الجليل تعالى يطالبون بظلامتهم. وهم لا يريدون أموالاً لأنها لا قيمة لها حتى وان وجدت، ولا بد لك من محاولة ارضائهم لأن الله تعالى قد يتنازل عن حقوقه ـ وهو الغفور الرحيم ـ ولكن كيف بك بحقوق الناس فيؤخذ من رصيدك ـ رصيد الحسنات ـ شيءٌ إلى هذا الذي ظلمته وإلى ذاك الذي استغبته وإلى ثالث الذي شتمته. .

حتى ينفذ كل ما عندك من حسنات! يا للمصيبة ماذا تفعل وما زال هناك من ينتظر من الذين ظلمتهم وآذيتهم!! وكيف سيرضى هؤلاء عنك وقد نفذ ما يرضيهم، نفذت حسناتك؟.

ويا للمفاجأة الصاعقة. . يأتي الأمر بأن يؤخذ من سيئاتهم وتضاف إلى سيئاتك! فهل ثم من نجاة. . الا رحمة من الله. . ذاك هو المفلس الذي نفذت كل حسناته التي كسبها من الدنيا ثم جاءت سيئات لم يكتسبها اركسته وزادته ذنباً إلى ذنبه، ليس المهم أن تملك مائة الف ولكن ديونك تبلغ المليون أو أكثر.

---

(١) ١٥ سورة الزمر

(٢) ٣٤ سورة عبس

(٣) ١٠ سورة المعارج

انه افلاس يوم القيامة ويمكن أن تقول ان ذلك هو الافلاس المبين.

وأراد نبينا الأعظم (ص) أن يعطينا درساً في آخر أيامه في هذه الدنيا، حينما دعا في المسلمين أنه مستعد لأن يقتص منه لكل من أساء إليه - وهو المعصوم حتماً - أو ضربه.. حتى قام اليه رجل وقال انك ضربتني بعصا كانت بيدك واريد ا ن اقتص، فاستعد الرسول (ص) لذلك ولكن الرجل طلب منه ان يكشف بطنه فكشفها النبي فجاء الرجل وقبّلها!!

ونجد كذلك أمامنا زين العابدين (ع) في دعاء يوم الاثنين يذكر الانسان عبر الدعاء بأمور تعلقت ذمته بها في الدنيا.. في إيحاء إلى ضرورة ملافاتها في هذه الدار (.. اللهم واسألك في مظالم عبادك عندي، فأيما عبد من عبادك أو أمة من إمائك، كانت له قبلي مظلمة، ظلمتها اياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في أهله وولده. أو غيبة اغتبته بها، أو تحاملٌ عليه بميل أو هوىً، أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية، غائباً كان أو شاهداً، حياً كان أو ميتاً. فقصرت يدي وضاق وسعي عن ردّها اليه والتحلّل منه. فاسألك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيئته ومسرعة إلى ارادته ان تصلي على محمد وآل محمد وان ترضيه عني بما شئت..).

اللهم انا نعوذ بك ان نكون من المفسلين يوم الحساب..

يروى أنه قد أوحى الله تعالى إلى ابراهيم خليله (ع): أن ابن لي بيتاً. فبنى ابراهيم مسجداً، ثم كرر النداء الإلهي فبنى النبي (ع) مسجداً آخراً، وجاء النداء للمرة الثالثة فاشاد ابراهيم مسجداً ثالثاً. ثم قال بعد ان جاءه النداء رابعاً. . إلهي الم ابن مساجد ثلاثة!!

فجاء النداء الرباني: هل كسوت عرياناً، هل اشبعت جائعاً. . ؟

هذه المحاورة ذات البعد الأخلاقي والتربوي والاجتماعي، تعني فيما تعنيه، اهتمام الشرائع السماوية بالانسان وانقاذه من البؤس والشقاء وحث المؤمنين على قضاء حوائج الناس، وإزالة الألم والبؤس عن النفوس المتألمة البائسة. أما ان تتحول المساجد في ضخامتها ونفاسة ثرياتها وغلاء فراشها إلى حالة ترفية تفتح قبل الصلاة بنصف ساعة وتغلق بعدها كذلك، فيما يعيش إلى جنبها المسلمون في معاناة وآلام ومحن ومصائب، ينتشر فيهم الفقر والحرمان، تفترسهم الامراض والمجاعات وتفترس أرواح وأخلاق ابنائهم الانحرافات الاخلاقية والفكرية، وتنخر فيهم الامراض، بدنية وروحية.

ان التقرب إلى الله لا ينحصر في المساجد وبنائها ـ وان كانت عملاً عظيماً فيه اجر كبير ـ وانما جاء الاسلام للحياة جاء للمستشفى كما جاء للمسجد. وجاء للمدرسة كما جاء للمسجد. وجاء لأشباع الناس جسداً كما هدف الى أشباعهم روحاً.

الذي ذكرني بذلك ما سمعته اليوم من الاخبار ان أحد الملوك افتتح مسجداً على ساحل المحيط الاطلسي بمأذنة ارتفاعها مائتي متر وينطلق منها شعاع بالليزر الى الكعبة المشرفة بمبلغ ٥٠٠ ألف مليون دولار. وحول المسجد ملايين المسلمين في فقر وجوع ونقص في الثقافة والتعليم.

كم يمكن ان تهيأ مشاريع اقتصادية وتربوية وصحية للأمة بمثل هذه الأعمال؟

وصدق أمير المؤمنين (ع):

(مساجد آخر الزمان عامرة بالبناء خراب من الهدى).

ثم اننا قد نجد منطقة ما كثيرة المساجد، ومع ذلك يأتي من يبني مسجداً آخر.. في حين تستطيع أيها المحسن أو المتبرع أن يكون أجرك عند الله مضاعفاً فيما تبني مستشفى أو ملجأ للأيتام أو مدرسة للأطفال، أو حاجة كبيرة يعيشها المجتمع بشكل يتكامل فيه دور المسجد مع المستشفى والملجأ والمدرسة والكل يكون في عين الله لأنه لمنفعة عباد الله.

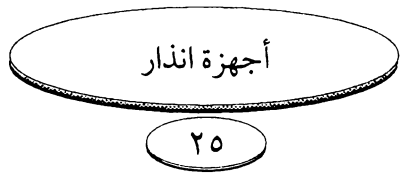

عادة ما توضع في الاماكن الحساسة والمهمة، أجهزة انذار لأي طارىء مثل الحريق وغيره، مهمة هذه الاجهزة تنبيه من يهمه الأمر على وجود خطر، لتلافي الخسائر والأضرار.

كما دأبت إجراءات الاحتياط على اكتشاف آخر الأجهزة، دقة وحساسية لمعرفة تحركات العدو على جبهات الحروب كإنذار مبكر يهيىء الجيوش للرد على أي هجوم للعدو مباغت. وتفوّت عليه الأخذ بزمام المبادرة.

والمؤمن يحتاج إلى أجهزة انذار!! تنبهه إذا دهم ساحته الشيطان وجنوده، ووجدت الذنوب والمعاصي طريقاً تنفذ من خلاله إلى نفسه وصحيفة أعماله!!

وأحاديث النبي (ص) وأهل البيت (ع) حددّت العديد من أجهزة الانذار، منها جهازا انذار أولاهما: الاستجابة لنداءات الضمير الذي زرعه الله في النفس البشرية ونداء الايمان داخل نفسه. وثانيهما: الأخذ بنصيحة الأخ المؤمن الذي قد يرى منك ما لم تلتفت اليه من نفسك!

وعن الامام الجواد (ع) (المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه) (١) فقد يحاول الانسان ان يتغاضى ويسير في غيّه مخالفاً الحق والخلق الرفيع. وهو يعارك هذه الحياة ويصارع أيامها ولياليها.. ولكن اين يمضي وهذا الضمير ينبهّهُ دائماً.. انه نداء الفطرة انه نداء الله في داخل النفس. انها النفس المتيقظة الحية التي تنبه صاحبها اذا ارتكب خطئاً وخالف ضميره ﴿لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوّامة﴾ (٢) الا أن يصل الانسان في ظلمه وإنحرافه وغيّه بحيث يقتل ضميره فيمسي الضمير ميتاً لا حراك فيه، نعم يموت الواعظ الموجود في

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص٣٣٦ - مؤسسة الاعلمي - بيروت

(٢) ١ - ٢ سورة القيامة

أعماق نفسه، ويغتال احساسه.

قرأت في احدى المجلات بعض التعريفات الساخرة حيث عرفت الضمير: بأنه الشيء الوحيد الذي يكون غير مرتاح فيما يكون كل الجسم في راحة ونشوة!!

مهما عرفوا الضمير جادين أو هازلين فانه يبقى نداء الحق في داخل النفس. اما المنبّه الثاني فهو الصديق المؤمن، الاخ المخلص الذي يوضح لك الحقيقة، وينبهك على الاخطاء ويصارحك بقضايا قد تحاول جاهداً ان تكبح من أجلها نداءات الضمير. فتأتي تنبهات الصديق المخلص ونصائحه معاضدة ومؤيدة لنداءات الضمير. يقول المصطفى (ص) (المؤمن مرآة أخيه المؤمن) ويروى عن علي (ع): (خير اخواني من اهدى الـيّ عيوبي) على المرء أن يختار الصديق الذي يكون عوناً له على الخير والصدق والتذكير بالله. فاحرص أخي المؤمن على بقاء نداء الله في النفس مسموعاً ونصيحة المخلص مصغىً اليها.

ترقّ ولكن لا على اكتاف الآخرين

٢٦

يسعى الاسلام دائماً لحث المسلم على أن ينهج سبل التكامل والرقي في سلوكه وأخلاقه وعلاقاته. وان تكون له اهداف كبيرة، وطموحات مشروعة واسعة، وهمّة كبيرة. حتى ورد عن علي (ع) في نهج البلاغة: (قدر الرجل على قدر همته) (١) والانسان الناجح هو الذي يسعى دائماً نحو الافضل ولا يتوقف عند منزلة، حتى يفكر بالارتقاء إلى اخرى (من تساوى يوماه فهو مغبون) كما ورد في الحديثّ وجميل قول الشاعر:

لو أن في شرف المأوى بلوغ مُنى لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

أن هذا الحثّ للانسان المسلم في أن يتقدم ويرتقي هو لا يعني ان يكون ذلك على حساب الآخرين في أي حال من الأحوال أو الكيد لهم والحسد والحقد عليهم.. اسع لكي تتفوق ولا تفكر في أن تكيد للآخرين. اجهد نفسك وارفع مستواها.. هذا شيء وان تفكر في إضعاف الآخرين والكيد لهم والحقد عليهم شيء آخر.. ليكن ارتفاعك وتفوقك وتكاملك بجهودك وتنمية قدرات النفس وتهذيبها، لا أن تكيد وتؤذي الآخرين وتعمل لاضعافهم.

ان المؤمن ليفرح كثيراً حينما يجد مؤمنين اكفاء في مواقع العطاء والافادة وحمل الاسلام الى الناس. وبذلك ينعكس الوجه المشرق للانسان المؤمن الناجح والمتميز بالخير.

على الطبيب المؤمن أن يفرح ويفخر بوجود مجموعة من الأطباء المؤمنين الواعين، والمهندس الملتزم يكون في غاية السرور وهو يرى اخوانه المهندسين المؤمنين يشار إليهم بالبنان، موضع ثقة الناس واطمئنانهم. وكذلك المدرسّ المؤمن بل وكذلك الخطيب الرسالي الذي يفرح حينما يجد نخبة واعية من خطباء المنبر الحسيني الواعين المتفوقين.

(١) نهج البلاغة ـ ص٤٧٧ الحكمة ٤٧

والعالم يمتلأ غبطة حينما يكتشف عالماً يحمل هم الاسلام والدعوة اليه وله وسائل وأساليب متميزة في خدمة الاسلام، وابراز عظمة التشريع.

نعم فليس من خلق الانسان المسلم ان يكون حاقداً على الآخرين حاسداً لهم قدراتهم وامكاناتهم.

انه يريد أن يتنافس، والتنافس أمر راجح ومندوب ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (١): ولكن هذا التنافس من أجل الله، يرتفع ويرتقي ويتكامل بتفجير طاقاته، وما أودع الله فيه من قدرات.. لا أن يكون طريقاً إلى النمو والتكامل بكيد الآخرين وبغضهم والنيل منهم!!

ان من الاساليب الخسيسة التي اشاعها بعض الظالمين وربّوا الناس عليها، هي تأليبهم على الآخرين ومتابعتهم، والتجسس عليهم. بل واختلاق الافتراءات ضدهم وجعلوا من ذلك أفضل السبل وأسرع الوسائل لتقدم هؤلاء وتقربهم من الظالمين.

فكلما كان الفرد منهم أكثر اذىً للآخرين كان أكثر حضوة عندهم وارفع منزلة.

وان من كبير الخطأ أن يسري ذلك إلى بعض المؤمنين فيرى ان ارتفاعه وتقدمه يعني الاساءة الى اخيه والحّط من شأنه والنيل من شخصيته وربمّا ايذاءهُ!!

يذكر المسعودي أن رجلاً شاعراً قصد الامام الرضا (ع) بعدما بويع ولياً للعهد أيام المأمون العباسي، لكي ينشدهُ قصيدة قالها في حقه وحق آبائه عليهم السلام.

ومرّ في طريقه على أحد المؤمنين وذكر له القصيدة فاستحسنها وطلب منه أن يكتبها له فكتبها بخَط يده، فشكره وأعطاه بعض المال وفعلاً فقد قصد هذا الشاعر واسمه إبراهيم بن العباس الصولي الامام الرضا(ع) ومدحه بقصيدة بدأها بقوله:

أزال عزاء القلب بعد التجلد مصارعُ ابناء النبي محمد

ثم ضرب الدهر ضربته، وتغيرت الأمور، وإذا بهذا الشاعر يندرج في بطانة المتوكل ويرتب على ذلك المؤمن ترتيباً خبيثاً يتهمهُ فيه بأمور فيها الهلكة حتى قال له أمام الآخرين بانك رافضي!! وهي تهمة تعني القتل أيام المتوكل!! الذي عرف بشدة بفضه لعلي وأبنائه (ع).

حينها طلب منه ذلك المؤمن أن يتحدث معه على انفراد وقال له: أن الرافضي من يزعم أن علياً أولى بالخلافة من العباس!! فقال له الصولي: ومن يزعم ذلك؟ فقال!

(١) ٢٦ سورة المطففين

انت وبخط يدك، وذكر له القصيدة وذكرّه بها!! فاسقط ما في يده، وبرأه من كل تلك المحاولة الأثيمة، بعد أن وضعه امام الحقيقة المرة، انك ان اردت أن يكون لك شأن عند المتوكل فهذا لا يعني أن يكون هذا الشأن على حساب الآخرين ومن كنت على رأيهم يوماً من الأيام!!(١).

فتعساً للرقي والارتفاع في مناصب هذه الدنيا الزائلة إذا كانت تقوم على أساس اذى الآخرين والتسبب في معاناتهم وآلامهم.

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٤ ص٢٣ ـ دار الهجرة ـ قم.

الحاجة إلى الغير ضرورة

٢٧

سمع الامام علي بن الحسين (ع) رجلاً يقول: اللهم اغنني عن خلقك فقال له الامام (ع) معترضاً: ليس هكذا انما الناس بالناس، ولكن قل: اللهُمّ اغنني عن شرار خلقك (١).

ان الانسان في هذه الدنيا لا يقوى على أن يقوم بجميع أموره وحوائجه، إعتماداً على نفسه فقط فلا بد من تبادل الخدمات الاجتماعية كل حسب اختصاصه وتمرسه في الأعمال. . والقرآن الكريم صريح بهذه الحقيقة؛ ان البشر جُعل بعضهم مسخّراً للآخر ومهيئاً لخدمته، قال تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ (٢).

وكلما تعقّدت الحياة وتشعبت التخصصات إزدادت الحاجة إلى الناس أكثر. . .

وقديماً قال الشاعر:

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وان لم يشعروا خدمُ

ولهذا احتج الامام زينّ العابدينّ (ع) على ذلك الداعي وصحّح مقالته، اذ لا يستغني الانسان عن الآخرين. نعم ينصبّ الدعاء إلى الله تعالى في أن يحفظ وجوهنا من الحاجة إلى اللئام والاشرار، الذين لا يحسنون التعامل مع حاجة الناس إليهم، فيشبعونهم إهانة وتكبراً وأذىً. في حين (ان حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم)كما جاء في الروايات ولكن اين الذي يفهم هذه المعاني الانسانية الراقية؟

اذن لا يمكن أن يستغني المرء عن حاجته للآخرين. ولهذا جاءت الروايات تدعو المؤمن إلى أن يبث حاجته إلى أخيه فقد قال علي (ع): (من شكا حاجة إلى مؤمنٍ فكأنه شكاها إلى الله ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكا الله) (٣).

---

(١) تحف العقول- ابن شعبة- ص١٩٩

(٢) ٣٢ سورة الزخرف

(٣) نهج البلاغة- الحكمة ٤٢٧ ص٥٥١ -اعداد صبحي الصالح .

وفي المقابل تأتي توصيات النبي (ص) والقادة الميامين (ع)، لتدعو من يأتيه أخوه المؤمن ان يرحب به ويسارع إلى قضاء حاجته ان استطاع، وان يشاركه في أمره ويهدأ من روعه ويطمأن نفسه. أو يتوجع له ويواسيه وجميلٌ قال الشاعر:

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجعُ

وهنيئاً لمن يوفق لقضاء حاجة اخوانه المؤمنين ونردد هنا هذا الدعاء:

(اللهم لا تحوجنا إلى لئام خلقك)... نعم فأنا وأنت وهو لا يمكن لنا أن نستغني عن بعض، نعم ندعوه تعالى أن لا يجعل حاجتنا عند لئيم!!. ان الله خلق الناس وكلٌ يحتاج الآخر، وبذا تسير الحياة الاجتماعية، اما الذي لا يحتاج أحداً فهو الخالق الكريم جل شأنه..

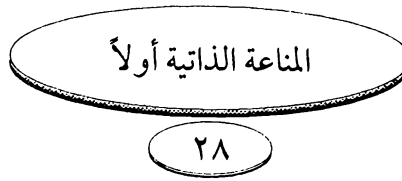

لو عمّ وباء مكاناً ما، أو عدة أمكنة، فكيف يمكن لنا أن نتصرف كي ننأى بأنفسنا وباهلنا عن احتمال الاصابة به والابتلاء بآثاره؟ هناك اسلوبان:

الأسلوب الأول: أن نحاول أن نغلق على أنفسنا كل النوافذ مع الآخرين. فنعزل عن أماكن الوباء، ولا نلتقي بأي انسان. خشية أن يداهمنا الجرثوم ويحيل صحتنا الى مرض. ذلك اننا لا نملك مناعة في داخل اجسامنا. فلكي نحافظ على سلامتنا لابد من أن نكون في حجر صحي لا نسمح لأحد بالوصول الينا ولا نسمح لأنفسنا بالاختلاط بالآخرين!

أمّا الأسلوب الثاني: فهو أن نعمل إلى التطعيم، وتقوّية المقاومة في داخل أجسامنا ونهيأها لأي احتمال من هجوم الأمراض، وبعد أن أعددنا أنفسنا ورفعنا مستوى المقاومة للجرثوم القادم. بعد هذا فلا نخشى من مجيء حامل المرض أو دخولنا إلى منطقة موبوءة.

هذا الأمر يمكن أن نقيس به اساليبنا في تحصين عوائلنا وأهلينا من الفساد والانحراف الفكري، أو الأخلاقيَ. فالبعض يعتقد أنه لا بد من الحجر على العائلة والأهل وعزلهم عن كل من يُشك بوجود الانحراف فيه، وتعميتهم وعدم اطلاعهم على المجتمع وافكاره وأساليب المنحرفين، أو دراسة الافكار الأخرى ومناقشتها.. يراد منهم أن يكونوا في عزلة عن الآخرين، تلبس المرأةُ الحجاب ولا تفقه عن حجابها شيئاً، ويقف الشاب للصلاة ولا يعلم شيئاً عن الأفكار المعادية للإسلام فضلاً عن مناقشتها والردّ عليها.. فلا تستطيع المرأة الدفاع عن حجابها، ولا يقوى الشاب على الذود عن دينه.

هذا اسلوب في التربية والاسلوب الثاني: هو أن يكون التزام العائلة والاولاد عن وعي وفهم وإدراك، تُوضحَ لهم أساليبُ الأخرين وطرقهم، ويكون لهم نصيب من

دراسة افكار الطرف الآخر ومعتقداتهم . . بحيث تستطيع الفتاة المحجّبة ان تدافع عن حجابها، بل وتقنع الأخريات به. ويعرف الشاب المصلي آثار الصلاة وكيف يواجه الآخرين، ويؤثر فيهم وقد يقنع الآخرين كي يكونوا مثلهُ، إلتزاماً وسلوكاً . .

ان الأسلوب الأول يخرج لنا أناساً ملتزمين ولكنهم خائفين مرتبكين، سلبيين إنهزاميين. لا يستطيعون مواجهة الآخرين وافكارهم وأساليبهم ومغرياتهم.

اما الاسلوب الثاني فيخرج لنا أناساً ملتزمين عن وعي، يعرف المنكرات ومضارها، وله اطلاع على الافكار المنحرفة ويناقشها. فلا يخشى عليه لأنه محصّن ذاتياً.

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن هناك جملة آيات كريمة جاءت لتنقل لنا مقالات واحتجاجات الآخرين، من مشركين وأهل الكتاب اذ يعرض القرآن شبهاتهم ثم يرد عليها. فمما ورد في شبهات المشركين: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسيء خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ (١).

وكذلك يعرض في آية أخرى شبهة لليهود: ﴿الذين قالوا ان الله عهد الينا ألاّ نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار. قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين﴾ (٢).

وحينما يسأل النصارى عن خلق عيسى (ع) وكيف اختلف عن بقية الأنبياء يجيبهم القرآن بوضوح: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (٣).

فاسلوب القرآن هو دعوة للاطلاع والانفتاح على أساليب الآخرين وشبهاتهم وافكارهم، كي تكون عقيدتنا ثابتة في النفس والقلب.

وليس من أساليب ديننا التقليد الاعمى وعدم فهم الأدلة على أحقية الحق أو أدلة ابطال الباطل.

ولهذا نجد أنفسنا بحاجة أساسية إلى أن ننهج في تربية أسرنا وأطفالنا الأسلوب الثاني أسلوب القرآن في فهم الآخرين وعقائدهم وأساليبهم وطبعاً بما يتناسب

---

(١) ٧٨ سورة يس

(٢) ١٨٣ آل عمران

(٣) ٥٩ آل عمران

والمستوى الذي عليه الانسان علماً وفهماً وتجربة.

لأننا لو اقتصرنا على اسلوب الحجر والعزل عن الآخرين فلن يكونوا في منأىً من الانحراف فيما لو واجهتهم طرق الآخرين ومناهج افكارهم وطرق احتجاجهم.

ولا يفهم البعض من ذلك أن نلقي بهم في أجواء منحرفة ومجتمعات شاذة، دون أن نهيأهم لذلك، أو أن نكون مبالغين في الانفتاح دون أن نضع خطوطاً حمراء لا بد من التوقف عندها والاستعداد لتجاوزها...

والله المستعان.

ومن السنة: الاطعام

٢٩

ورد عن النبي (ص): (لا طعام إلاّ في خمسٍ. . في عرس أو خُرس أو عذار أو وكار أو ركاز).

وفي هذا الحديث المبارك، يجعل النبي (ص) أن من السنة الاطعام في هذه المناسبات الخمس؛ في الزواج وفي ولادة الطفل، وعند ختان الولد، وعند اتخاذ الوكر (البيت) وعند الرجوع من مكة. وهكذا نلمس بعض جوانب البعد الاجتماعي في التشريع الاسلامي.

وان مما يميز الاسلام، عدم جعل السنة وموارد البرّ مقتصرة على جانب علاقة المسلم الخاصة بربه تعالى، بل يوسع من نطاقها لتشمل الحياة والعلاقات العامة في جوانبها المتعددة. ولا يجعل الجانب العبادي وما يقرب الانسان من ربه، ويؤهله لنيل المزيد من رضوانه، هو فقط ما يتعلق بجانب علاقته المباشرة مع الله تعالى عبر العبادات بالمعنى الخاص للعبادة كالصلاة والصيام والدعاء.

وقد امتدح الله تعالى أهل البيت (ع) على اطعامهم المسكين واليتيم والأسير، وجعل ذلك من مصاديق رضاه تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ (١).

وأكد القرآن على موضوع الاطعام فقد جاءت أربع آيات في القرآن الكريم، تذم الذين لا يطعمون الآخرين، واعتبرت عدم الاطعام من المؤاخذات الكبيرة على أولئك الكافرين.

﴿انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين﴾ (٢). .

﴿ولم نك نطعمُ المسكين﴾ (٣). .

---

(١) ٨ سورة الدهر

(٢) ١١٨ سورة النحل

(٣) ٤٤ سورة المدثر

﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ (١) . .

﴿فذلك الذي يدعُ اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين﴾ (٢) . .

كما ورد عن النبي (ص) وأهل البيت (ع) الكثير في هذا الباب مثل قول الامام الصادق (ع): (من موجبات الجنة والمغفرة اطعام الطعام . .) (٣).

والاسلام يسعى دائماً إلى جمع الكلمة، ووحدة الامة. ويهتم كثيراً بإزالة أجواء الشحناء والتأزم النفسي والنفور الاجتماعي بين المسلم وأخيه المسلم. ويحاول أن يستثمر المناسبات المختلفة لتوحيد القلوب وتقريب النفوس وإزالة الشحناء، ومن ذلك سنة الاطعام، لأن الاطعام يعني لقاءً ودياً، له مقدمات وتترتب عليه نتائج طيبة. وليس مجرد عملية لازدراد وابتلاع الطعام بل يسبق ذلك الدعوة اليه، والتودد في الدعوة كي يستجيب للاطعام. ثم الاجواء الأخوية والاريحية والانسجام، اللازم توفرها من قبل صاحب الطعام لضيوفه ومدعويه وما يترتب بعد ذلك من أزالة التوتر بين النفوس ان كانت موجودة قبل الاطعام.

وهكذا تساهم سنة دعوة الآخرين على الطعام في مناسبات الانسان في تقوية العلاقة وإزالة الأزمة.

فلنحاول أن ندعو مَن بيننا وبينه سوء تفاهم ثم لننظر نتائج ذلك بعدها، كم هي رائعة! إذن هذه فائدة اجتماعية من وراء سنة الاطعام في هذه المناسبات الخمس. ومن فوائدها أيضاً محاربة الشح في النفوس والانانية. فالمؤمن لما يعزم على دعوة اخوانه إلى تناول طعامه في مناسبة خاصة به، انما عليه أن يبذل أمواله ويلاقي الآخرين بوجه طلق فلا يبقى المسلم مقتصراً على نفسه والقريبين منه في هذه المناسبات.

كما ان من وراء سنة الاطعام ودعوة المؤمنين لها: اشباع لجائع واغاثة لملهوف واشاعة للخير والتفكير في اعانة الآخرين.

لكل هذه الفوائد وغيرها يأتي الاسلام الى المسلم وهو يعيش فرحة خاصة به فيجعل الاطعام سنة يدعو إليها المؤمنين فتصفو النفوس ويحارب الشح ويغاث الجائع وتعم اجواء اليُمن والارتياح. .

---

(١) ١٨ سورة الفجر

(٢) ٢ سورة الماعون

(٣) البحار - العلامة المجلسي - ج٧٤ ص٣٦١

فلا يريد الاسلام من الانسان المسلم أن يحصر فرحته في نفسه أو أسرته الخاصة. بل يحاول ويدعوه باستمرار إلى توسيع دائرة الفرح والابتهاج ليضم اليه الآخرين فتشيع المحبة والانسجام والألفة بين المسلمين.

فالاسلام يربيّنا في أن تكون مناسباتنا وافراحنا الخاصة، مناسبة لتقوية علاقتنا مع الآخرين وجعل دائرة الفرح والمحبة واسعة بالقدر الذي نقوى عليه ونستطيعه.. ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (١).

(١) ٢٦ سورة المطففين

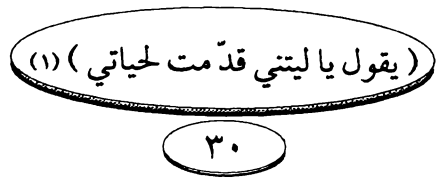

عجيب أمر تعلق الإنسان بهذه الدنيا، لا يصدق ولا يريد أن يصدق بأنه راحل عن هذه الدار إلى أخرى بل ويتبرم ممن يذكرّه بالآخرة والموت.. لا سيما في المجتمعات التي طغت في بعدها عن الله وعن قيم السماء. وحتى لو سمع بعضنا موعظة الموت فهو يعتقد أو يحاول اقناع نفسه بأنه غير معنيّ بهذه الموعظة.

ولكن أين المفر لأن:

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا
للموت فينا سهام غير طائشة من فاته اليوم سهمٌ لم يفته غدا

وحث الاسلام المسلم على أن يكون مهتماً بالدار الآخرة التي إليها مصيره ونهايته، ليتحمّل الألم والأذى في سبيل الله بنفس مطمئنة وقلب راض لأنه يعتقد أن ذلك زاده في الآخرة يتحمل الغربة والمحنة وهو يجد ذلك حبيباً إلى نفسه. ذلك لأنه يسعى لتأثيث بيت الآخرة، ينفق ماله، يتواضع لمن هو أقلّ منه مرتبه في الدنيا، يقول الحق ولو على نفسه... كل ذلك لأنه يؤمن انها في عين الله تنفعه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون...

لهذا يحكي لنا القرآن لقطة من مشاهد القيامة لمنّ جدّ وسعى في إعمار داره الزائله في الدنيا ولكنه تغافل ونسي حتى خربت دارهُ الدائمة في الآخرة. فيكون لسان حاله ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ فالحياة الحقيقية ليست هي هذه الدنيا بل هي الآخرة...

وعلى من أراد أن ينتقل إلى دار جديدة، أن يهتم بتأثيث تلك الدار واعدادها وتهيأتها. قبل الانتقال إليها، ومن غير المعقول أن يسكن داراً بلا أثاث ومتاع، ينتظر من يرسل إليه أو يهدي قطعة أثاث أو فراش أو غير ذلك...

-إن البعض لا ينفق في حياته ويبقى ينتظر من يَهْديه بعد وفاته من ذريته أو آخرين. والفرق كبير بين من جهّز بيته وأعدّه، وبين من فرّط وجلس في بيته الخالي ينتظر من يتعطف عليه بشيء.

كان هناك أحد المؤمنين في مدينة صنعاء، صاحب مال وجاه اسمه الحاج الفليحي وكان عنده غلام يخدمه ويحمل أمامه الفانوس إذا أراد التوجه إلى صلاة العشاء أو الفجر.

وذات ليلة سمع ذلك الغلامُ سيده يخاطب أولاده ويوصيهم بأن يبنوا مسجداً بعد وفاته!!

وفي فجر تلك الليلة جاء الغلام الى سيده على عادته ليضع أمامه السراج في طريقه إلى الصلاة، ولكن الغلام بادرَ ووضع المَصباح خلف سيِّده!! فتعجب سيده لتصرف الغلام هذا وقال: لماذا وضعت الفانوس خلفي ولم تضعه أمامي؟

فسأله الغلام ولماذا اضعه أمامك يا سيدي؟

فازداد تعجّب السيد وقال: الأمر واضح لكي ابصر طريقي وسط هذا الظلام.

حينها قال له ذلك الغلام الحكيم: إذن من يريد أن يسير عليه أو يضع النور أمامه لا خلفه!!

قال له السيد: ويحك ماذا تعني!!

قال الغلام: لقد سمعتك ليلة أمس توصي أولادك بأن يبنوا مسجداً بعد وفاتك، لم لا تبادر إلى بنائه قبل وفاتك ليكون عملك أمامك!!؟

فأعجب السيدَ قول هذا الغلام وقال له أنت حرّ لوجه الله..

ثم قرر في اليوم الثاني شراء قطعة أرض وبناء مسجد عليها.. وقد زرت ذلك المسجد في صنعاء القديمة وصليت فيه. وقد نقل لي أحد المؤمنين أن الفليحي باني المسجد لما أراد شراء قطعة الأرض ليشيّد عليها البناء وكانت تمتلكها امرأة، فباعته بسعر معين، ثم أرسل رجلاً من قبله يساومها على سعر أعلى، ثم جاء إلى زيارتها فذكر لها سعر الأرض فقالت له أن هناك من يدفع أكثر مما دفع، فدفع لها زيادة، هكذا لمرتين وثلاث مرات حتى اطمأنّ الرجل أن المرأة باعت أرضها بكل رضاً واطمئنان وطيب خاطر.

وحين ذلك أمر الحاج الفليحي ببناء المسجد الذي حمل اسمه. ولا زال شاخصاً في صنعاء القديمة تقام فيه الصلوات وتعقد فيه حلقات العلم وتفد إليه مجاميع طلبته..

و تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (١)

٣١

لا يمكن أن يكتمل إيمان المؤمن من دون أن يكون له حسٌ واهتمام بأمر الاسلام وتثبيت الناس على طريق القرآن . .

لا يكتفي من المؤمن أن يكون منقطعاً إلى الله في عبادته وأوراده غير آبه بما تؤول اليه أمور أمته، وما يحيط دينه من اخطار. غير مكترث بانحراف الناس وشيوع التيارات المنحرفة.

وسورة العصر التي لو تأملنا في مقاطعها حيث حكمت على الانسان بانه خاسر، تجارته في الدنياخاسرة، حياته في بوار، جهوده في ضياع. واستثنت من ذلك الذين آمنوا، الذين لم يكتفوا بمجرد الايمان في العقل أو القلب بل قرنوا إلى ذلك العمل وليس كل عمل بل الصالح من الأعمال. وإلى الآن فهاتان الصفتان ترتبطان بشخص المؤمن، يؤمن بالله ويعمل صالحاً. ثم جاءت الفقرتان الأخريان لتكمل صورة المؤمن المطلوب. . إن لهذا المؤمن تفكيراً بأمور المسلمين يسعى إلى قول كلمة الحق ولا يكتفي بقولها بل يوصي بها ويدعو إليها ويوصي بالصبر والثبات عليها.

ان حالة التواصي في الجماعة المؤمنة، تعني حالة الشحن المستمر بالطاقة الايمانية، والاكتشاف والتشخيص السريع لحالات الانحراف، وإعانة العاملين وتسديدهم والوقوف معهم.

ان التواصي يعكس اهتمام المؤمن بدينه. في الأزمات يوصي بالصبر والتحمل والثبات، في مجالسه ولقاءاته مع الناس يوصي بالحق. واعتيادي أن من يوصي بذلك يفترض في نفسه ويفترض فيه الآخرون أيضاً أن يكون من أهل الحق ومن أهل الصبر.

ويروى أن المسلمين الأوائل من الصحابة الكرام كان الاثنان منهم لا يفترقان حتى يقرءا سورة العصر. يشد أحدهم على يد أخيه ويقرأ ويوصيه ﴿وتواصوا بالحق

(١) .. سورة العصر

وتواصوا بالصبر﴾ (١). ما أكثر حاجاتنا إلى أن يوصي أحدنا الآخر بكلمة الحق وموقف الصبر والثبات في حياتنا ومواقفنا وعلاقاتنا . .

والا فان الخسارة شبح يقف أمام الانسان ويجعل حياته وجهوده في الدنيا صفقة خاسرة فاشلة . . فهنيئاً لمن أوصى ويوصي بالحق ولا سيما في زمن قلّت فيه كلمة الحق، ولمن أوصى ويوصي بالصبر ولاسيمافي ظرف ضعفت فيه الارادات وسهل فيه الانهيار والتداعي إلى الشيطان والطواغيت . . ومن وراء كل ذلك السقوط امام رغبات النفس المنحرفة وشهواتها .

ومن دروس عاشوراء التي لا تنفذ، حالات التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين انصار الحسين (ع). حيث كان يشد بعضهم عزيمة البعض، في مقالاته ومواقفه وأسلوب استشهاده .

ومن ذلك مجيء عابس بن أبي شبيب الشاكري إلى شوذب مولى شاكر وقوله له : يا شوذب ماذا في نفسك أن تصنع؟

قال شوذب : اقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل ! ! فجزّاه عابس خيراً، وقال له : ذلك الظن بك، تقدم بين يدي أبي عبدالله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى احتسبك انا . فان هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر عليه، فانه لا عمل بعد اليوم وانما هو الحساب) (٢).

فتقدم شوذب فقاتل حتى قتل، وبرز بعده عابس وقاتل كذلك حتى قتل .

وأمتنا كانت ما تزال بخير ما بقي فيها جانب التواصي بالحق والصبر . وما دخل علينا الجور والهوان إلا حينما تركنا أن يوصي أحدنا الآخر بالاستقامة . . بل ووصل بالبعض إلى أن يستنكر تذكير أخيه له ودعوته اياه الى الموقف المطلوب من المؤمن، وهو يخوض غمار الحياة المختلفة، وهو يسعى جاهداً ان تكون خطواته على ما يرضاه ربه ويسر به قلب نبيه (ص) والأئمة الطاهرين (ع) . . هذا المؤمن قد يصيبه الضعف وتدب إلى نفسه رغبات شيطانية . أو قد يسيرفي طريق لا ينبغي لمن مثله أن يسر فيه . كل هذا وهو غير ملتفت، اما لأنه لم يدرك ذلك الانحراف، او لانه لا يعتقد ان به بأساً او خطئاً ، او لأي سبب آخر . وهنا يبرز دور الأخ المؤمن حينما يقوم بمهمته ويوصي أخاه بالحق

---

(١) ٠٠ سورة العصر

(٢) مقتل الحسين (ع)- السيد محمد تقي بحر العلوم- ص٤٠٤

ويوصيه بالصبر .

ولنعش دائماً مع ايحاءات سورة العصر المباركة .

(والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

اللهم اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومن الذين تواصوا بالحق والصبر . آمين .

اشعره بالثقة فيه

٣٢

للاسلام اسلوب رائع في تغيير الانسان، حيث ينطلق من احترام الآخرين وعدم اشعاره بأي محاولة لجرح كرامته أو الحط من شخصيته. فالقرآن يعلمنا ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (١).

وكثيرة هي الأساليب التي يتوسل بها الانسان المؤمن لهداية الآخرين. لأن الانسان ـ أي انسان ـ إذا كان مهتماً بشيء ـ أي شيء ـ يعطيه من اهتمامه وتفكيره، فأنه ستفتح امامه طرق ووسائل من أجل الوصول إلى ذلك الشيء الذي يريد الوصول إليه.

فإذا اهتم المؤمن بهداية الآخرين والتي هي صفة من أعظم صفات المؤمنين. فانه لا يُعدم أسلوباً هادفاً ووسيلة ناجحة وسبيلاً موفقاً إلى غايته الطيبة تلك. والقرآن الكريم يؤكد هذا الأمر بقوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين﴾ (٢).

وهناك حقيقة كبرى وأساسية دأب القرآن وتوجيهات النبي (ص) والأئمة (ع) على تربية الداعية عليها، وتذكيره بها، وهي ضرورة ان تكون عملية هداية الآخرين مقترنة دائماً بابداء الاحترام لهؤلاء الآخرين ومحاولة عدم اشعاره بأي محاولة لجرح كرامته أو الحط من شخصيته. ان الاسلام يريد بناء انسان ومعه عناصر الخير، لا هدم كيانه واسقاط احترامه لنفسه. نعم تأتي الآية الكريمة المتقدمةلتؤكد هذا الأمر يقول ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (٣). اغمره بالعاطفة والمحبة وتكلم معه بما يشعره

---

(١) ٣٤ سورة فصلت

(٢) ٦٩ سورة العنكبوت

(٣) ٠٠ سورة

باحترامه واحترام شخصيته.

إذن هناك أساليب متنوعة ومختلفة للهداية يوفق لها العاملون مع الحفاظ على حقيقة: أن تسعى في أن يُشعر أسلوبك في الهداية الأنسان المقابل بالاحترام والتبجيل والثقة.

ويعجبني هنا أسلوب أحد المؤمنين في عمله مع أحد الأخوة من ذوي التاريخ الايماني الطيب، ولكنه ابتلي بذنوب ومعاصي حطت من قدره وشوهت ذلك التاريخ النقي. يأتي هنا المؤمن ويفكر: كيف أعمل من أجل أن ينتصر هذا الأخ على عوامل الانحراف في نفسه فيعود إلى سابقة التزامه فلا يفقد الاسلام بابتعاده عنصراً من عناصر الايمان والالتزام، له تاريخ طيب ومواقف مشرفة؟

انه يعمد إلى إشعاره بأنه لا يعرف عن ذنوبه وانتكاساته الايمانية شيئاً وانه لا يزال يعهد فيه الاخ المؤمن موضع الثقة ومحط الالتزام. ثم اذا دخل وقت الصلاة قدمّه أمامه وصلى خلفه ليؤكدّ هذه الثقة في نفس المقابل!

يقول هذا الاخ: أنا أعلم ان صلاتي غير صحيحة خلفه لأنه يتجاهر بالمعاصي والذنوب. ولكن صلاتي خلفه ستؤثر كثيراً على نفسه وتجعله يعيد النظر والتفكير في نمط سلوكه. فلعله يتأثر بذلك ويعود إلى نفسه ويحاسبها. لأن الانسان حريص على ان لا ينزل من قدره المنزلة التي يعتقدها فيه الاخرون، ولعل هذا يمكن استفادته مما نُقل عن علي (ع) (من ظَن بك خيراً فصدّق ظنه) (١).

وما عليّ إلا أن أعيد صلاتي بعد ذلك وأربح رضا الله لأني مهتم بهداية هذا الأخ. كما وأربح ثقته بي واطمئنان نفسه لي. وفرحتي الكبرى بهدايته لو تمت علي يدي.

انه اسلوب طيب وهادف من أساليب المؤمنين في سعيهم لهداية الآخرين. وطبيعي ان هذا الاسلوب ليس هو ما ينتقده آخرون من بعض المؤمنين الذين يضعون ثقتهم في كل انسان بدون ترو ولا تمحيص، غير ناظرين في واقعه..

هذا شيء وذاك شيء آخَر.. لأن هذا يدل على سذاجة وبساطة هذا البعض من المؤمنين. وذاك يدل على وعي ذلك المؤمن وهو يسعى ويفكر لهداية الآخرين.

وصدق الشاعر:

ليس الغبي بسيّدٍ في قومه ... لكن سيّد قومه المتغابي

---

(١) نهج البلاغة ـ ص ... الحكمة ٢٤٨

لا تقطع سبيل المعروف

٣٣

الانسان حين يمارس سلوكاً اخلاقياً مع انسان آخر، فانه لا يكسب فقط ارتياح المقابل وشكره وامتنانه، بل إن لذلك بعداً أكبراً، وهو شيوع الخير والتعامل الأخلاقي في المجتمع. إذ سينطلق المقابل وهو واثق بالمجتمع ناظر إليه بعين الأمل والخير والانسانية. فاذا جاءه أحد في مشروع خير وعمل صالح، فانه يتذكر كيف تعامل معه صاحبه الأول فيسرع ويبادر إلى عمل الخير، فتشيع في الامة مفاهيم التعاون والاخوة والثقة. إذن لعمل الانسان جانبان: جانب مباشر وجانب غير مباشر، يتضح فيما يتركه ذلك العمل من تأثير في المجتمع. وعليه فانا اذا أحسنا التعامل مع الناس فلذلك فائدتان:

١ ـ الأولى: سعادة المقابل وادخال السرور على قلبه ومن ثم احترامه وشكره إيانا.

٢ ـ الثانية: إشاعة أعمال الخير والتعامل الخلقي في المجتمع، وانتشار المعروف فيه.

اما لو انعكست الآية، فلم نوفق لتصرّف صحيح وسلوك أخلاقي مع الآخر، بل تعاملنا بخلاف التعامل الانساني المرتجى. فسوف نجد ايضاً نتيجتين ولكنهما سلبيتان تكونان محصلّة لهذا السلوك غير الصحيح هي:

١ ـ الأولى: ألم تسببه وحزن تدخله على قلب من أسأنا التعامل معه فلا يعود محترماً لنا أو شاكراً.

٢ ـ الثانية: شيوع حالة فقدان الثقة باعمال الخير وأصحابها وانتشار حالة سلبية تجرّ إلى قاعدة سوء التعامل مع الآخرين والتي نسميها؛ حالة قطع سبيل المعروف، وبهذا يقترف صاحب التعامل السيء ذنبين الأول: في من تعامل معه بسوء، وثانياً وهو الأخطر، شيوع حالة عدم الثقة بالمقابل مما يؤدي إلى الاحجام عن أعمال الخير حينما تتمثل صورة ذلك الانسان والذي تعامل بسوء.

ولذلك كان من أخلاق النبي (ص) أنه اذا إقترض قرضاً وأراد الوفاء به أرجعه بزيادة. لكي يشعر المقابل بأهمية ما عمله من عمل جيد، ولكي يشجعهُ أيضاً على أن يبادر إلى اقراض الآخرين. فيما إذا جاءه صاحبُ حاجة ذات يوم. وبذا تشيع روح المحبة والتعاون وقضاء حوائج الناس. فقد روى عنه (ص) أنه إقترض بنت لبون من الابل فلما أراد ارجاعها ردّها جذعه (١). اذن فلنحرص على أعمال الخير والقيام بها ليشيع الخير والثقة في الامة والمجتمع.

واذكر هنا ان سائقاً دهس بسيارته أحد ابناء الشهيد الشيخ عبد الجبار البصري تغمده الله برحمته، وعلم الشيخ بذلك وقيل له بأن السائق في مركز الشرطة، فذهب الشيخ إليه وتنازل عن حقه وأطلق سراحه، وقال له أريد منك شيئين؛ الأول أن تكون من المصلين وثانياً إذا تعرض أحد ابنائك لما تعرض له ابني، فاني اتمنى عليك ان تعفو عن ذلك السائق كما سررت الآن حينما عفوت عنك!

نسأله تعالى ان نكون ممن يشيعون الخير والتعامل باخلاق حسنة في المجتمع وان لا نكون من الذين يقطعون سبيل المعروف والمحبة والتعاون بين الناس.

(١) الجذعة هي اكبر عمراً من بنت اللبون وبالتالي فهي اغلى ثمناً.

إياك والكلام السيء

٣٤

يقول القرآن الكريم ﴿وهدوا الى الطيب من القول..﴾(١). صفة رائعة من صفات تلامذة مدرسة القرآن، ان يكون القول والمنطق طيباً زكياً، معطراً بالكلمات الطيبة والالفاظ الحسنة وهي علامةٌ من علامات تغلغل الايمان والنقاء في النفس فينعكس ذلك على الجوارح ومنها اللسان.

ونجد أن من أدب القرآن، أنه إستخدم الكناية للتعبير عن بعض الأمور التي قد يُخدش الحياء عند ذكرها. فيشير إليها إشارة ويكني عنها كناية، كما في قوله تعالى ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم واموالهم وأرضاً لم تطأوها﴾(٢). والأرض الثانية المذكورة في الآية كنى بها عن نساء المشركين.

وينقل أن رجلاً أخذ بلجام دابة رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فقال(ص): (اطعام الطعام وإطياب الكلام..)(٣).

ولهذا وردت تحذيرات كثيرة عن الكلام غير الطيب. عن الكلام المستهجن الذي لا ينم عن طهارة في القلب ولا عن استقامة في السلوك. ولأنه بضدها تتميز الاشياء، جاءت هذه التحذيرات ومنها ما جاء في الحديث عن أمير المؤمنين (ع): (إياك وما يستقبح من الكلام فانه يحبس عليك اللئام وينفّر عنك الكلام)(٤)..

وهاتان نتيجتان طبيعيتان تترتبان على من لا يرعى الادب في الفاظه، وصفة الطيب في كلامة فيتلفظ لسانهُ بكلماتٍ نابيةٍ ومصطلحات مستقبحة لا تتلائمَ مع صفة المؤمن.

---

(١) ٢٤ سورة الحج

(٢) ٢٧ سورة الاحزاب

(٣) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٨ ص٤٥١

(٤) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٨ ص٤٣٦

فالنتيجة هي أنه سيجد الكرام يبتعدون عنه وينأون. لأن اللفظ السيء ينفّرهم، فالسامع الكريم لا يستسيع مثل هذه الالفاظ. كما أنه سيجد الذين يحيطون به ويحضرون مجلسه والذين يماشونه هم من اللئام والسيئين والسفلة من الناس. فكأن اسلوب الكلام يقوم بعملية فرز اجتماعي للعلاقات.

ان الأيمان يُعرف بمظاهر واخلاق وسلوك ومنها الفاظ المؤمن.

وفي رواية أخرى عنه (ع): (اياك ومستهجن الكلام فانه يوغر القلب) (١). وهذه نتيجة سيئة أخرى تنتج عن هذا السلوك غير المرضي. فان الكلام المستهجن القبيح يعمل اثره السيء في نفوس الآخرين ومشاعرهم وقلوبهم فيسبب كراهية الآخرين له وحقدهم عليه وعدم ارتياح قلوبهم له.

ونتابع أمير المؤمنين (ع) وهو يحذرنا من ان نتصف بهذه الصفة المذمومة، فيما روي عنه (ع): (سوء المنطق يزري بالقدر ويفسد الأخوة) (٢).

وهذه آثار اجتماعية واضحة. فانك حينما تتعرف على انسان ما لأول مرة فانك تبادلهُ احتراماً وسلوكاً مهذباً. فإذا تلفظ بلفظ حسن وجد ذلك الاحترام اهله، وان تكلم بسوء فان منزلة ذلك المتحدث تنحطّ عندك وعند غيرك. وعجيب فعل الكلام واثره فانه يرفع من شأن اناس ويحط من شأن آخرين. هذه نتيجة اجتماعية تضاف إلى ما سبق.

وهناك نتيجة اجتماعية سيئة اخرى وهي ان الكلام السيء غير المراعي للآداب والاخلاق الحسنة يؤدي فيما يؤدي اليه إلى إفساد العلاقات والصداقة والأخوة بين المتحدث من جهة والآخرين من جهة أخرى. ما اقبح بالانسان ان يتلفظ بالفاظ تخدش الحياء وتغيّر النفوس وتعكّر صفو الاخلاق. وما أروع المؤمن وما أجدره باللفظ الطيب الذي ينم عن نفسٍ طيبةٍ وقلب طاهر، لهذا يؤكد القرآن الكريم دائماً ﴿اليه يصعد الكلم الطيب﴾ (٣).

تمشى الامام الصادق (ع) ذات يوم ومعه أحدهم، فدخلا السوق، وفقد ذلك الرجل غلاماً له في زحمة السوق، فاخذ يديم التلفت الى ورائه منتظراً عودة الغلام.

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٨ ص٤٣٦

(٢) المصدر السابق.

(٣) ١٠ سورة فاطر

فلما رآه مولاه قال له: أين كنت يا بن الفاعلة! واستخدم كلمة غير طيبة، فتوقف الامام الصادق (ع) وسحب يده منه وقال له: ما كنت أظن أن مثلك يقول مثل هذا! فقال له يا بن رسول الله انه مجوسي وان أحدهم ينكح أمهُ وأخته، فردّ عليه الامام (ع) بقوله: صه: ألم تعلم ان لكل ملة نكاح. . ان ذلك نكاح في ملتهم.

فلنحاول دائماً أن نربّيّ السنتنا على القول الطيب الزكي الطاهر لنكون من مصاديق مفاهيم وأخلاق الاسلام العظيم.

ولهذا تقول الرواية فما رُؤي الامام الصادق (ع) يمشي مع ذلك الرجل حتى فرّق بينهما الموت!!

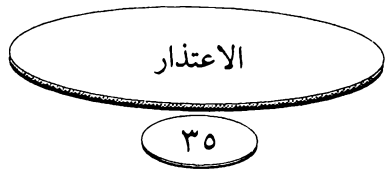

أراد الله تعالى ان تكون علاقة المؤمن مع أخيه المؤمن في قمة العلاقات الانسانية، وانقاها وامتنها وأصدقها. ولذا فان من يرجع إلى توجيهات النبي (ص) ووصايا أهل بيته (ع)، يجد أن هناك تراثاً هائلاً من الاحاديث التي تعنى بصياغة وهندسة العلاقة الاجتماعية بين المؤمن وأخيه. ولأن الاسلام دين الواقعية، فقد تعرضت الاحاديث إلى حالات التشنج أو عدم الارتياح التي قد تعكر صفو العلاقات الايمانية. ولأجل أن تعود الاخوة الى مكانها، والايمان الى موضعه في تمكنه من هذه العلاقات، فقد شجعت الشريعة على سلوك عدة قنوات لرجوع المياه إلى مجاريها، منها الاعتذار. ان يأتي أحد المؤمنين فيعتذر لأخيه المؤمن عن تصرفه وسلوكه الذي بدا منه. ويمكن تصنيف الاحاديث في موضوع الاعتذار الى عدة مستويات:

١ ـ تشجيع المؤمن على الاعتذار لأخيه، وأن خيرّ المؤمنين من يبدأ صاحبه بالسلام والاعتذار.

عن الصادق (ع): (خيرُ إخوانك من نسب ذنبك اليه وذكر احسانك اليه) (١).

٢ ـ ان يتلقى المقابل إعتذار أخيه بكل ترحاب وتقدير ويبادرهُ بالخلق الطيب والكلام الذي يستل منه كل عوامل الكره والنفرة لأن في ذلك تشجيع له لأنه خطى الخطوة الأولى والاصعب في هذه المسألة الاجتماعية.

عن النبي (ص): (من اعتذر اليه اخوه المسلم من ذنب اتاه فلم يقبل منه لم يرد علي الحوض غداً) (٢).

٣ ـ بل وترفع الاحاديث المباركة من أخلاقية المؤمن لتجعله يُوجد التبرير لتقصير أخيه ليعذره، فعن الامام الصادق (ع): (إبحث لأخيك عن عذر). وعن النبي (ص):

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج١ ص٥٧

(٢) المصدر السابق ـ ج٦ ص٥٧

(إطلب لاخيك عذراً فان لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً) (١) . .

انه لجميل جداً أن يصل المؤمن إلى هذا المستوى في أن يتكفل بنفسه ايجاد العذر لأخيه المؤمن، لا أن يصل الأمر بالبعض إلى أن لا يقبل عذر أخيه حينما يتقدم فيعتذر اليه!!

٤ ـ بل وتشدد الاحاديث على ضرورة قبول الاعتذار حتى لو علمت أن المقابل كاذب!!

إذا اعتذر اليك اخوك وانت تعلم انه كاذب فاقبل عذره.

عن السجاد (ع): (لا يعتذر اليك أحد الاّ قبلت عذره وان علمت انه كاذب)!! (٢).

لنعرض أنفسنا على تعاليم الاسلام ولنرى كم نحن بعيدون أو قريبون منها.

وقديماً قالت العرب (حرٌ من يعتذر وحرٌ من يقبل العذر).

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٦ ص١١٢

(٢) المصدر السابق ـ ص١١١

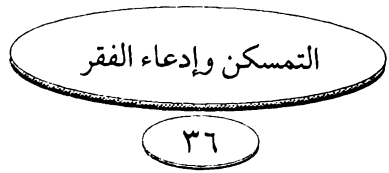

من أروع ثمار الارتباط بالله تعالى والثقة بما عنده، هو انتشال الانسان من الآثار السلبية للفقر ومحنه، وتخفيف حالات الاحباط واليأس عنه، ونجد أنَّ من الظواهر السلبية التي تطغى على بعض الناس وتختلف دوافعها: حالة التشاؤم، وإدعاء المسكنة، والتمظهر بقلة ذات اليد، والشكوى المستمرة. وفي الحقيقة قد يكون لظاهرة التشاؤم والشعور بالاحباط منشأ نفسي مؤلم يعيشه الانسان في واقعه أو نتيجةً لأحدى نكبات الدنيا ومحنها، وقد قال الشاعر:

ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى ... من العيش ما يصفو وما يتكدرُ

وعبثاً يحاول الانسان أن يسيّر الحياة الدنيا رخاء في رخاء أو سعادة أثر سعادة...

طبعت على كدر وانت تريدها ... صفواً من الاقذاء والاكدار

ومكلف الايام ضِد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وآخر يقول:

وكذلك الدنيا متى تحسن تسيء ... وبمثل ذلك تنقضي أيامها

ولهذا حديث خاص، حيث يقوم الايمان بالله والارتباط به بدور كبير في تخفيف آلامه ومحنه. ولكن الذي أوّد أن اذكره هنا هي حالة ادعاء المسكنة والتشاؤم، وذكر الاحباطات المدعاة، والتظاهر بقلة ذات اليد وفيما يكون الواقع عكس ذلك! يعني أن الانسان يعيش بحمد الله في حالة استقرار عائلي واجتماعي وقد توفرت عنده اساسيات الحياة ومتطلباتها.. ولعل سبب ذلك يعود إلى ان هذا السلوك بتصور صاحبه هو محاولة لطرد عيون الناس كي لا يُحسد ولا تناله السنةُ الآخرين. وقد يكون هذا النمط من السلوك من أجل أن يستدر عواطف آخرين يمكن لهم أن يعينوه ويساعدوه مادياً، فيزداد ما عنده وهو لا يزال يدعي المحن والنكبات.

وقد يكون غير ذلك من الاسباب، ولمثل هؤلاء وغيرهم فقد دأبت الشريعة على

علاج هذه النفوس الفقيرة، ضعيفة الثقة بالله التي تتفاقر وتتمسكن وتربيتها. ولعل من طرق العلاج والتربية :ـ

١ ـ الثقة الصادقة بالله تعالى والاعتماد عليه وان يعيش هذه الثقة في نفسه وسلوكه.

٢ ـ ان القرآن يربينا فيما يربيّنا به أن ادعاء الفقر والمسكنة هي من ايحاءات الشيطان ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ (١).

٣ ـ مقاومة ضعف النفس الذي يدعو إلى ادعاء الفقر. وقد مدح القرآن الفقراء ذوي النفوس الكبيرة الغنية: ﴿يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف..﴾ (٢).

٤ ـ استحباب ان تظهر على الانسان آثار نعم الله ﴿واما بنعمة ربك فحدث﴾ (٣).

وعن النبي (ص): (ان الله يحب اذا انعم على عبد أحب أن يرى اثر نعمته عليه ويبغض البؤس والتبؤس..) (٤).

وفي حديث آخر عن الامام الصادق (ع) يحثنا فيه ليس فقط على اظهار آثار النعمة بل والتحدث بها، وهي على عكس حالة ادعاء الفقر والحاجة: (إذا انعم الله على عبده نعمة فظهرت عليه سميّ حبيب الله محدّثاً بنعمة الله، وإذا انعم الله على عبد بنعمة فلم تظهر عليه سمي بغيض الله مكذباً بنعمة الله..) (٥).

لنزيد ثقتنا بربنا ونشيع أجواء التفاؤل والخير والامل والثقة بما عند الخالق الكريم.

عن النبي (ص): (من تفاقر افتقر) (٦).

نعم فمن يدعي الفقر سوف يعيش حالة الفقر. فيبقى هذا الانسان يشكو ويشكو، ويبكي ويبكي، ويدعي النكبات والاحباطات، وجههُ كئيب، يعلوهُ البؤس، بل هو يساهم في حد كبير في اشاعة اليأس وأجواء القنوط والاحباط في أصدقائه وأرحامه،

---

(١) ٢٦٨ سورة البقرة

(٢) ٢٧٣ سورة القرة

(٣) ١١ سورة الضحى

(٤) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٤٥

(٥) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج١٠ ص١١٧

(٦) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٤٥

فاذا رأوه تذكروا البؤس!!

ولا ننسى توجيهاً في غاية الشفافية والروعة في حديث يروى عن الامام الصادق (ع) حيث يصف المؤمن بأنه (المؤمن بشرهُ في وجهه وحزنه في قلبه).

فهو مع وجود آلام حقيقة، ومحن قائمة، لكنه يحاول كتمانها واظهار البشاشة وخاصة في تعامله مع اخوانه. فكيف بمن يدّعي التبؤس ويدمن التباكي وقد أنعم الله عليه بنعمه وهو يجحد نعم خالقه الكريم؟

ان وراء ذلك ضعف الثقة بالله العظيم!!

صغر النفس وفقرها.

ثلاث ساعات

٣٧

مما روي في وصايا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (عمرك ثلاث ساعات: ساعة مضت لست بقادر عليها ان كان خيراً فخير وان كان شراً فشّر، وساعة سوف تأتي لست بضامن لها؟ وساعة انت فيها فعليك بالساعة التي انت فيها).

وصية تجعل الانسان واقعياً عملياً، لا يعيش على فعل قد مضى فاذا كان قد عمل خيراً عاش على امجاده، وقد يتحول ذلك إلى غرور وادعاء كبير وتضخيم لذلك العمل الصالح. وكما لا يريد النبي (ص)، في هذه الوصية ان يجعل الانسان يائساً محبطاً، يندب حظه على فعل سيء كان قد مضى وقته وبقيت آثاره.

بل يستفيد من العمل الصالح لزيادة الصلاح، ومن الذنب كي يتوب ويعمل لا أن يعيش حالة إحباط ويأس من رحمة الله. وقد ورد عن رسول الله (ص) في وصية لابي ذر (رض): (يا أبا ذر: ان الرجل يعمل الحسنة فيتكل عليها ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وهو عليه غضبان. وان الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها فيأتي الله عز وجل آمناً يوم القيامة) (١). ان شخصاً قد يرتكب سيئة في حالة ضعف فيخضع للشيطان وهوى النفس، ولكنه ينطلق من تلك السيئة فينتبه، ويشدّ العزم على عدم الرجوع اليها، ومحاولة التكفير عنها بالاعمال الصالحة ومزيد من الحسنات. ولعل هذا معنى الحديث (إذا اراد الله بعبد خيراً جعل ذنبه بين عينيه) أما الشخص الآخر فاعل الحسنة فقد يتحول فعله الى حالة غرور وادعاء انه اصبح من خيرة الصالحين والعاملين والمهاجرين بذلك الفعل أو ذلك الموقف، يعيش على ذكرياته وينسى نفسه وواقعه وسلوكه وإذا به يهوي دون ان ينتبه.

على كل حال كلا الفعلين (الصالح والطالح) كانا وليدي ساعة قد مضت.

وساعة سوف تأتي! إن من الجميل أن يتطلع الانسان دائماً نحو الافضل وزيادة

---

(١) البحار ـ العلامة المجلسي ـ ج٧٤ ص٧٩

اعمال البر والخير والصلاح، هذا شيء، وان يترك الانسان واقعه ويومه ويرجيء أعماله ويؤجل مشاريعه إعتماداً على الغد أو يعلق ذلك على شرط؛ سأبدأ بالمشروع الفلاني غداً. أو بعد أن أسافر إلى البلد الكذائي. وسأقلع عن تلك العادة السيئة إذا تحقق الشيء الفلاني! إنها مكيدة من مكائد الشيطان.

خططّ للمستقبل نحو مزيد من الخير والعطاء.. ولكن بشرط أن تبدأ بالعمل من ساعتك التي أنت فيها وتنطلق الى الأفضل في يوم غد (ساعة سوف تأتي).

نعم إبدأ من الساعة التي أنت فيها. فبادر فيها بالاعمال قبل أن تفوتك الفرصة.

(لأن فوت الفرصة غصه) كما يقول أمير المؤمنين (ع) (١).

لقد مدح الله تعالى بعض انبيائه بقوله تعالى ﴿انهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ (٢).

فسارع في الخيرات ايها المؤمن من ساعتك التي تعيشها الآن..

هذه الساعة تمتلك مالاً، أذن سارع فيه لما فيه خيرك وآخرتك قبل أن تفقد المال.

هذه الساعة تمتلك رصيداً من المكانة الاجتماعية أسرع في الخيرات قبل أن تُسلب مكانتك. هذه الساعة تمتلك منصباً وظيفياً فاستثمره لأعمال الخي

ر قبل أن ينتقل عنك.

اذن فلنكرر وصية النبي (ص):

(وعليك بالساعة التي انت فيها).

ورائع قول الشاعر:

إنما هذه الحياة متاع ... فالجهول المغرور من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيبٌ ... ولك الساعة التي أنت فيها

---

(١)

(٢) ٩٠ سورة الأنبياء

خيركم . . خيركم لأهله

٣٨

لقد أكدت تعاليم الاسلام وتوجيهاته على أن يكون المؤمن في علاقته هشاً بشّاً، يشيع أجواء الخير والتفاؤل والثقة بالله تعالى، والتعامل الاخلاقي وينشر المحبة. ولا تختص هذه الاخلاقيات بعلاقات الانسان الخارجية مع اصدقائه أو زملائه في العمل، وقد يغفل الانسان عن أقرب الناس اليه. ولهذا جاءت التعاليم لتؤكد أهمية التعامل الاخلاقي مع الزوجة والأولاد، مع اسرته وأهله، أقرب الناس إليه. حتى ان القرآن يوصي بضرورة وأهمية المعاشرة الطيبة والتعامل الأخلاقي مع النساء، حتى لو ظن المرء أنه يكره أهله ﴿وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ (١). فالشعار الذي يرفعه المؤمن في التعامل مع أهله هو شعار ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ فلايكون المؤمن منفتحاً في أخلاقه خارج بيته، فاذا جاء إلى بيته انعكست تلك البهجة كآبةً، وذلك السرورُ حزناً وتلك الابتسامة تقطباً!

ما ذنب العائلة إذا عكس الانسان خطأه في المجتمع، أو خسارته لصفقة، أو تألم لشيء يعكسُ على أهله وأولاده، الذين ينتظرون قدومه، وينظرون الى محياه. فان رأوهُ مبتهجاً طلقاً مستبشراً، عمّت البهجةُ والاستبشار البيت وأهله، والا حزنوا لحزنه وتألموا لألمه.

ان البَعض يحلو لهُ أن ينطلق ما شاء له أن ينطلق، ويبتهج ما قدر عليه من ابتهاج، ولكن كل ذلك خارج البيت. أما إذا دخل البيت تغيّر الوضع وادلهمت سحبُ الحزن والامتعاظ وعمّت أجواء الوجوم والكآبة.

يقول النبي (ص) في توجيهاته للمسلمين: (أحسن الناس إيماناً وكرمهم خلقاً، الطفهم بإهله) (١). . فليس من الانصاف أن تكون الابتسامة للآخرين والكآبة

---

(١) ٩ سورة النساء

(٢) المجالس السنية ـ السيد محسن الامين ـ ج٢ ص١٧

لأهلك . الانشراح للآخرين والانقباض لأهلك، البهجة للآخرين والحزن لأهلك!!

وقد حذر أمير المؤمنين (ع) من ذلك بقوله في وصية لابنه الحسن (ع): (لا يكن أهلك أشقى الخلق بك . .) (١).

يا لها من كلمة رائعة يحذر فيها علي (ع) البعض من الناس، الذين يكون أهلهم أكثر الناس تألماً منهم وسبباً لآلامهم ومحنهم وهمومهم.

شيّع الرسول (ص) ذات يوم أحد أصحابه وبعد ما دفنوه التفت إلى المشيعين قائلاً لقد أصابته (ضمّة) فسأله اصحابه ولماذا يا رسول الله قال(ص): (أنه كان في خلقه مع أهله سوء) (٢) لقد كان هذا الصحابي وهو سعد بن معاذ مجاهداً بين يدي رسول الله حاضراً في الصلوات خلفه حافظاً للقرآن معايشاً لتوجيهاته، ولكنه كان يدخل على أهله مكفهر الوجه!!

فإذا كان هذا الصحابي الجليل، ومن له مواقف مشهورة في الدفاع عن الاسلام وعن النبي (ص) ومع كل ذلك فقد أصابته ضمة القبر وضغطته لأنه كان في خلقه مع أهله سوء . . فكيف بنا اذن؟!

إذن فلننتبه إلى هذه المسألة المهمة في التعامل الاخلاقي مع أقرب الناس الينا، مع أهلنا، ونكون بذلك قد فزنا برضا الله تعالى والتأسي برسوله الكريم (ص) في أخلاقه الكريمة مع أهله . .

وكسبنا محبة أهلينا لنا وحسن دعائهم.

اللهم وفقنا إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها يا كريم . .

---

(١) نهج البلاغة - الحكمة ٤٢٧ ص٥٥١ - اعداد صبحي الصالح .

(٢) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٣ ص١٥٤

عزائم ورخص

٣٩

عن النبي (ص) (ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يجب أن يؤخذ بعزائمه . .) (١).

وعن علي (ع): (ان الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعّوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها) (٢)

من جوانب عظمة التشريع الاسلامي ان التوجيهات الالهية نحو الانسان لم تأت كلها على أساس الالزام. سواء ما كان منها في جانب العمل أو جانب الترك. فالاحكام لم تأت فقط في الوجوب، مثل اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وبر الوالدين، كما لم تأت فقط في الحرمة، مثل شرب الخمر، والتعامل بالربا، وإيذاء المؤمنين.

بل جاءت ارشادات وتوجيهات أخرى على مرحلة أقل من الالزام، فمع الوجوب جاء الاستحباب الذي نكتشف من خلاله وجود رغبة من قبل المشرع في العمل. ولكنه ليس على مستوى الالزام والوجوب ،مثل صلاة النوافل وصوم شهر شعبان، أو وضع الطيب. كما جاءت مع الحرمة ارشادات أخرى، تشمل حالة الرغبة في عدم قيام الانسان المسلم بها. ولكن ليس على مستوى الالزام، لتكون محرمة، بل على درجة أقل فتأتي الكراهة، مثل النوم جنباً وشم الرياحين للصائم. كما أن الشريعة جعلت بقية التصرفات مباحةً لا تخضع لوجوب أو حرمة ولا لأستحباب أ وكراهة. . فكل ممارسات الانسان العادية مثل الأكل والشرب والسفر مباحة نعم الا إذا تعلق بها شيء آخر فيتغير حكمها ولكن بالعنوان الثانوي على مصطلح الفقهاء. .

وتأتي عظمة الشريعة الاسلامية في بعض جوانبها لتؤكد على أن المؤمن وهو في سلوكه، لكي يكون قريباً من رضا خالقه الكريم، فان ذلك لا يتأتى بتقيدّه والتزامه فقط

---

(١) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٤ ص٩٢

(٢) نهج البلاغة- الحكمة ١٠٥ ص٤٨٧ -اعداد صبحي الصالح .

بأن يتجنبّ ما نهي عنه سواء كان نهياً الزامياً أي المحرمات أو نهياً ترخيصياً أي المكروهات.

بل يمكنه كذلك أن يأخذ بما رخصّ الله لعباده من أحكام، سهّل له سبل العمل بها. فمع وجود الماء الدافيء شتاءاً، فليس من الضَروري أن تتوضأ بالماء البارد كي تحصل على مزيد من رضا الله، على أساس ان الثواب على قدر المشقة. ومع امكانية التكييف في خيام الحجاج بمنى فلا داعي للاصرار على البقاء في الجو الحار الملتهب بما يجعل من توجهك للدعاء أقل من الحالة الأولى..

ولهذا نجد بعض الفقهاء الذين اوصلتهم الأدلة إلى تخفيف بعض الأحكام والقول بإباحتها وجوازها، يقولون: لماذا لا نفتي بالجواز وقد اخذت الأدلة بيدي إلى ذلك؟ ولماذا أبقي الناس في حرج والأدلة تقول بخلافه؟

حتى أن فقهاءً عظاماً يفرقون بين الاحكام التي يطبقونها على أنفسهم، وبين فتاويهم للناس. حيث يجعلون الاحتياطات في دائرة أنفسهم، في حين يفتون للأمة بما يسهّل عليهم احكام دينهم ويرفع الحرج عنهم﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾(١).

وأحكام الشريعة مبنية على أباحة الاشياء في الاصل ما لم يثبت العكس. وليس حسب ما يتصوره البعض من أن أساس الشريعة هو المنع حتى تثبت الاباحة. انه الدين العظيم الذي يؤكد كتابهُ الخالد ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (٢). ومن هنا نفهم بعض فوائد التفقه في دين الله. ولا نكون كبعض بني اسرائيل الذين طلب الله منهم أن يذبحوا بقرة. أي بقرة كانت، فلما شددوا في ذلك وعقدّوا المسألة، شدّد الله عليهم فجعل البقرة بمواصفات عالية غالية.

والانظمة والقوانين في مختلف الامم انما تدعو وتلزم أتباعها بضرورة عدم الاقتراب من الأمور المحذورة عليهم. وتجعل عدم مخالفة القوانين والابتعاد عن الممنوعات من أبرز صفات المواطن الصالح. والاسلام يشارك هذه الانظمة والقوانين في تحذير اتباعه من المناطق الممنوعة، وهي المحرمات التي ما وضعت الا لمصلحة هذا الانسان نفسه. لكننا نجد في نفس الوقت مسألة الحث من هذه الشريعة على أن يأخذ

(١) ٧٨ سورة الحج

(٢) ١٨٥ سورة البقرة

الانسان المسلم بالترخيصات والمباحات ويتمتع بما أحله الله له، من أمور لتسهل عليه حياته وعبادته. وتجعل عمل الانسان وأخذه بالامور الترخيصية واقعاً في ضمن دائرة حبّ الله تعالى، كما أنه عز وجلّ يحبُّ لهذا المؤمن أن يجتنب المعاصي والمحذورات.

وهذا معنى حديث النبي الأعظم (ص) (ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه) (١).

اللهم فقهنا في دينك ووفقنا لمراضيك وجنبنا معاصيك يا ارحم الراحمين..

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٤ ص١٩٢

فقير يتصدق!

٤٠

عن الرسول (ص): (استنزلوا الرزق بالصدقة) (١) (لا تستح من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه) (٢).

وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع): «إذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة) (٣).

ويسأل أبو بصير أحد الصادقَين (ع): أي الصدقة أفضل. فقال (ع): جهد المقّل. اما سمعت قول الله عز وجل (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (٤).

قد يسأل سائل كيف يمكن للانسان الذي أملق أي افتقر كيف يمكن له أن يتصدق؟ وهل الصحيح هنا أن يتصدق هذا الفقير أم نحث الناس على التصدق عليه واعانته؟!

والواقع انه لا تناقض بين هذا وذاك، لأن مسألة حث الناس ممن رزقهم الله على اعانة أخوانهم من الفقراء والمعوزين، مسألة أخذت حيزاً مهماً من توجيهات القرآن الكريم وارشادات النبي (ص) والائمة الاطهار (ع). اما كيف نفهم الحديث والتوجيه الوارد من أمير المؤمنين (ع)، وهو يدعو الفقير ويحث على الانفاق. فهو ناظر إلى جانب آخر، وهو جانب تربوي يسعى الاسلام كثيراً إلى محاولة بناء الانسان على اساسه.. وهو أن يكون الانسان المسلم ذا عطاء حتى ولو كان فقيراً، يتصدق بشيء ولو كان قليلاً وقليلاً جداً، لأنه في ذلك جملة فوائد منها:

١ ـ انه انتصار على الشيطان ووسوساته وحثه للانسان على الشح والبخل ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ (٥) فما أعظم هذا الانسان الذي هو رغم حاجته ينتصر على

---

(١) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٤٩

(٢) المصدر السابق ص٤٧٩

(٣) نهج البلاغة ـ الحكمة ٢٥٨ ص٥١٣ ـ اعداد صبحي الصالح.

(٤) البحار ـ العلامة المجلسي ـ ج٩٦ ص١٧٩

(٥) ٢٦٨ سورة البقرة

الشيطان ويعين اخاه المؤمن واثقاً بوعد الله ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ (١).

٢ ـ انه مجال كما قلنا للتربية على يكون الانسان المسلم معطاءً ولو بشيء بسيط نزر، ومن هنا قد نفهم بعض ما عنته الشريعة من بعض احكام زكاة الفطرة ـ بعد انتهاء شهر الصيام الفضيل ـ حيث تذكر الكتب الفقهية انه يستحب للفقير الذي يحق له أخذ الزكاة، يستحب لهذا الفقير أن يخرج زكاة شخص واحد فقط، ليسلمها إلى أفراد عائلته، ليسلمّ كل منهم إلى الآخر، يستلم من جهة ويسلم من جهة أخرى، ثم يخرجها إلى فقير آخر من غير عياله ليشجع أهله، كما شجع نفسه على البذل. وان كانوا في حاجة إلى ذلك!

٣ ـ ان يشعر الانسان المسلم وان كان فقيراً انه بمقدوره ان يساهم في المشاريع والخيرات العامة ولو بشيء بسيط، وينبغي تشجيع هؤلاء الناس ذوي الدخل البسيط والمحدود وهم يقدمون تبرعاتهم أو حقوقهم رغم قلتها وبساطتها. فقد كان معروفاً عن شهيد الاسلام السيد محمد باقر الصدر (رض) انه كان يفرح كثيراً بالاخماس البسيطة التي يعطيها الطلاّب وأصحاب الدخل المحدود البسيط ويكيل لهم المديح والثناء ويدعو لهم ويشجعهم على ذلك..

وفي الأخبار انه قد جاءت الى الامام الكاظم (ع) حقوق كثيرة من شيعته واتباعه. ولكنه كان يبحث عن شيء بسيط، دريهمات بعثت بها عجوز من مواليه كانت كل ما تملك، فكان (ع) يسأل وكيله عن الدريهمات التي بعثت بها شطيطة العجوز!! وهو(ع) يدعو لها ويشيد بعطائها وان كان قليلاً.

٤ ـ ان في المشاركة بالمشاريع والنشاطات لو بشيء قليل، يجعلك مهتماً بذلك المشروع ونجاحه وآثاره. تساهم في عملية النجاح هذه وأنت تشعر انك ممن أسهم في وجوده. ولهذا ينبغي تشجيع الناس على العطاء والبذل حتى ولو بمساهمات قليلة.

ولهذا فان من الظواهر السلبية ظاهرة انكفاء الناس عن العطاء والمساهمة في أعمال البر والخير، وتحولهم إلى متفرجين بلا تفاعل ولا إنسجام مع تلك المشاريع والنشاطات..

إذن فلنحيّي المساهمات حتى البسيطة منها، والتي تنطلق من روح لمحبة العطاء

(١) ٢٦٨ سورة البقرة

برغم الظروف الصعبة التي يعيشها ذلك المؤمن صاحب العطاء، ولذا مدح الله تعالى الانصار بقوله تعالى:

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..﴾ (١).

وعلي (ع) تلميذ القرآن يسير على نهجه ويستضيء بنوره.

ولعل صدقة بسيطة ينفقها الانسان تجعل رحمة الله تغمرهُ وفضله يحيط به، اضافة الى تطهيرروحه وصفاء نفسه..

وهذا ما كانت تؤكده السيدة الزهراء (ع) في خطبتها:

(وجعل الله الزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق) (٢).

---

(١) ٩ سورة الحشر

(٢) الاحتجاج ـ للطبرسي ـ ص٢٥٨ ـ ط ايران

خفي مطلوب

٤١

للإسلام أساليب رائعة في تربية الانسان المسلم، ورفع مستوى كفاءته الايمانية، ورقي سلوكه، وأساليب عمله. ومن ذلك أننا نلاحظ، أن هناك جملة أمور ضمن مفاهيم الاسلام وتشريعاته، تكون مطلوبة ومرغوب فيها ومؤكد عليها، ولكنها لم تحدّد تحديداً بيّناً. ولم تُفصل عن نظائرها! والمؤمن انطلاقاً من شدة حرصه على نيل رضا الله تعالى، والفوز بثوابه، كان لابد له ان لا يترك أي احتمال من احتمالات موضع ذلك الرضا، ومحل ذلكَ الثواب. فنراه يبادر إليها جميعاً ولا يحاول أضاعة فرصة منها ما استطاع الى ذلك. فهذه ليلة القدر مثلاً والتي هي (خير من الف شهر) وورد فيها ما ورد من الأعمال والثواب والمنزلة، ومع ذلك لم تحدّد بصورة قطعية. فنجد الروايات تشير إليها وأنها في العشر الأواخر من شهر رمضان، وفي ليالي الأفراد منها. وروايات أخرى انها احدى ثلاث ليال: ١٩، ٢١، ٢٣، أو رواية انها ليلة ٢٧ وهكذا. ولذا نجد إن المؤمن ومن شدة حرصه على رضا خالقه الكريم يعيش هذه الليالي جميعها وكأن كل ليلة منها هي الليلة المطلوبة المرغوبة، فلا يفّرط ولا يضع أيّ ليلة محتملة!.

كما وتأتي أخبار وروايات أهل البيت (ع)، لتقول ان الله تعالى أخفى رضاه في القربات من الأعمال الصالحة فلا نترك قربة أو عملاً صالحاً إذ لعله يكون موضعاً لرضا الرب، سواء كان ذلك صلاة أو صلة رحم أو كلمة طيبة، وهكذا بقية الاعمال الصالحة. وتؤكد الروايات كذلك أن الله أخفى سخطه في المعاصي ولكننا لا نعلم في أي معصية يكون غضبه وسخطه، فلا تقترف أي معصية جهد الامكان لأحتمال أن تكون هي محلاً لسخط الجبار.. وهكذا يكون المؤمن حريصاً على عمل كل قربة وتجنب كل معصية حسب اجتهاده وتقواه.

ونجد كذلك في مثال آخر أن الروايات تؤكد أن هناك ساعة في يوم الجمعة، لا يردّ

الله فيها دعوة داع. ولكن أين موضعها، هل هي بين الطلوعين، أم عند الضحى، أم عند صلاة الجمعة أم هي في آخر ساعة منه؟ حيث تستحب قراءة ادعية العشرات والسمات وادعية مأثورة أخرى. ان المؤمن في يوم الجمعة يكون منشداً إلى ربه عاملاً للخيرات، داعياً له تعالى لأنه لا يريد أن تفوته تلك الساعة، دون أن يكون فيها عاملاً داعياً ذاكراً لله.

ان هذا الخفي المطلوب هو اسلوب تربوي من أساليب هذه الشريعة في رفع مستوى التزام الانسان، وعدم السماح لحالات الانتكاسة والهبوط في المستوى الايماني بالظهور والبروز.

انه اسلوب رائع وذو تأثير واضح في استمرارية الخير والعطاء. وتجنب الانحراف والذنب.

وان العمل وفق هذا المنظار كفيل بأن يبقي الانسان منشداً دائماً نحو الافضل في حياته وآخرته.

فالمؤمن يسعى جاهداً لتربية نفسه على المبادرة، وعدم تضييّع فرص الخير والطاعة. وهي ولا شك تعكس مقدار حب الله في قلب هذا المؤمن. والذي يتجسد في شدة حرصه على كل احتمال يتوقع فيه طاعة لربه تعالى. ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (١). ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾(٢).

---

(١) ٢٦ سورة المطففين

(٢) ٢١ سورة الحديد

الشَيْبة في الإسَلاْم

٤٢

في الرواية عن الباقر (ع): أصبح ابراهيم (ع) فرأى في لحيته شيباً شعرة بيضاء، فقال الحمد لله الذي بلّغني هذا المبلغ ولم أعصى الله طرفة عين!!(١).

إن الشيب أمر طبيعي يلاقي الانسان في محطات مختلفة من حياته وعمره. قد يفاجأهُ في محطة قريبة، وقد يتأخر عنه إلى محطة أخرى بعيدة.. وجاءت الروايات لتؤكد على أن في الشيب تحذيراً للإنسان وتنبيهاً له من اغتراره بالدنيا وزخارفها ونسيانه لربه.. لأنه يوحي للانسان بقرب نهاية عمره وآماله..

فعن علي (ع): (كفى بالشيب نذيراً)، (المشيب رسول الموت) (٢).

وجميل قول الشاعرالسيد رضا الهندي رحمه الله،

أرى عمري مؤذنا بالذهاب ... تمرّ لياليه مـرّ السحـاب

وتفجأنـي بيـضُ أيامّـه ... فتسلخ مني سواد الشباب

والبعض يتبرّم من رؤية الشيب في فوده، والبعض الآخر يسارع إلى الخضاب، فيما يتأقلم طرف ثالث مع هذه الظاهرة الجديَدة. والمسألة إختيارية كما ورد عن أمير المؤمنين (ع) حينما سأل عن قول رسول الله (ص): غيرّوا الشيب ولا تتشبهوا باليهود). فقال (ع): إنما قال صلى الله عليه وآله ذلك والدين قُلّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار!!(٣).

وجميلٌ ان يرىَ الانسان المؤمن الشيب عليه، وهو لا يزال على سلوكه وطريقه، في طاعة الله والجهاد في سبيله.. ذلك المؤمن الذي نشأ على طاعة الله منذ شبابه، ووفّق ليكون ممن يرتبطون بهذا الدين العظيم ويدافعون من أفكاره وأحكامه. وامضى حياته حتى ظهر شيبهُ وهو لا يزال في طاعة الله، وعبادته. فان هذا الشيب شهادة له بأنه قد اجتاز مرحلة الشباب في طاعة الله فليتوكل على الله، وليكمل مسيرة حياته في

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ٥٨ ص٢٢٧

(٢) غرر الحكم للامام أمير المؤمنين (ع)

(٣) نهج البلاغة ـ الحكمة ١٧ ص٤٧١ ـ اعداد صبحي الصالح.

هذا السلوك. وهذه ظاهرة الاحظها هذه الأيام في تلك النخبة الطيبة من الشباب المؤمن المهاجر، الذي خرج مهاجراً أوائل الثمانينات في عنفوان شبابه. والآن قد وجد الشيب أوسع السبل إلى رؤوسهم ولحاهم..

وابراهيم (ع) أبو الموحدين. والذي يكون أولى الناس بالاقتداء به هم من ساروا على خطه قال تعالى ﴿إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوهُ وهذا النبي والذين امنوا واللَّهُ وليُّ المؤمنين﴾(١).

وفي الرواية المتقدمة عن الباقر (ع)، أن الشيب الذي رآه ابراهيم (ع) لم يكن نذير شؤم أو خوف أو يأسٍ من الحياة ومتعها، بل أنه حمد الله وشكره على أنه شابَ وهو لم يعص الله!

فهنيئاً لكل الشباب المؤمن الذي عبدَ الله شاباً وأطاعه فتىً، وشابَ شعرهُ وهو لا يزال في مرضاة الله، فكأن الشيب هنا وسام ناصع البياض، بانكم اجتزتم مرحلة الشبيبة وأنتم في طاعة الله والدفاع عن دينه!!

وينقل التاريخ ان العلويين الذين كانوا قد اختفوا في المدن والاصقاع البعيدة، هرباً من جور الأمويين وبطشهم ـ لا سيما بعد إستشهاد زيد وابنه يحيى (رض) ـ قد ظهروا فجأة في أول موسم حج بعد إنهيار الدولة الاموية، وإذا بالبعض لم يعرف الآخر من أبناء عمومتهم، إذ قد علاهم الشيب، وذهبت نظرة الشباب. ولكنهُ ذهاب مبارك لأنه في عين الله وعين طاعته. ونسأله ان يجعلنا منهم.

وإذا كان الشيب واسراعه الى الناس على أساس ما يحملوا من هموم فان المؤمنين أولى بهذا الأمر ولهذا جاء: عن الصادق (ع): (ما رأيت شيئاً أسرع الى شيء من الشيب إلى المؤمن، وانه وقار للمؤمن في الدنيا ونور ساطع يوم القيامة). (٢)

لأن الانسان العادي إذا كان يحمل هموم حياته اليومية ومشاكلها وآلامها، فان الانسان المؤمن يحمل فوق ذلك هموم رسالته ودينه، ومسؤولية دعوة الناس إلى شريعة الله..

وبعد هذا فلا نعجب لما روي عن رسول الله (ص) حينما قال:

(لقد شيبتني سورة هود)!! وهو صلى الله عليه وآله وسلم يعني الآية الكريمة ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك..﴾(٢).

---

(١) ٦٨ سورة آل عمران

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٥ ص٢٢٧

(٣) ١١٢ سورة هود

أحسن اليهم قبل أن يولدوا

٤٣

كان أبو الاسود الدؤلي من أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وعرف بصحبته له، وهو الذي وسع من علم النحو. وقد بدأه على ضوء اشارة من أمير المؤمنين (ع) حينما سمع إلحاناً في الكلام، فقال له: الكلام من فعل واسم وحرف.. ثم قال: انح هذا النحو.. فكان علم النحو.

هذا الرجل كان ساكناً في البصرة. في حي لا يدين بالولاء والحب لأمير المؤمنين (ع). فكانوا يرمونه بالحجارة لكي يؤذوه. ولما كان يعترض عليهم ويشكيهم، يقولون له: نحن لا نرميك، ولكن الله هو الذي رماك!! فقال كذبتم لو أن الله يرميني لما أخطأني، وأنتم ترمون الحجر وتخطئوني!!

على كل حال ان هذا الرجل المؤمن الأديب الحصيف، نظر إلى أولاده ذات يوم، فقال لهم: لقد أحسنت اليكم كباراً وصغاراً بل وقبل أن تولدوا!!. فسأله كبير أولاده مستفسراً منه: يا أبانا لقد عرفنا احسانك الينا واهتمامك بنا ورعايتك لنا منذ أن كنا صغاراً وحينما صرنا كباراً.. وجزاك الله عنا خير جزاء المحسنين. ونحن لا ننكر من ذلك شيئاً، ولكن ما معنى احسانك الينا قبل أن نولد!؟

فقال لهم: لقد اخترت لكم الأم التي لا تسبون بها!! فحينما فتحتم أعينكم، وجدتم أمامكم أماً طيبة صالحة. ولم تفتحوا اعينكم على أم تتمنون أن لا تكون لكم أماً!!

فأول احساني اليكم تخيرّي لماجدة الاحساب باد عفافها

إنها حكمة، وانها مسؤولية في آن واحد! هي حكمة رائعة ودرس بليغ، وهي مسؤولية تحتم في أن يكون اهتمام الرجل، حينما يريد الزواج بالمرأة، ليس على أساس كونها زوجة اليوم فقط وانما عليه ان يختارها أيضاً لتكون أماً في غد لأولاده.. ولهذا جاءت تأكيدات وتوجيهات الشريعة المقدسة في اختيار الزوجة ذات الخَلق والدين

والايمان . .

(. . فاظفر بذات الدين تربت يداك . .)

ومما يؤكد هذا المعنى ما روي عن الصادق (ع) . (تجب للولد على والده ثلاث خصال :

اختيار لوالدته ، وتحسين اسمه ، والمبالغة في تأديبه) (١) .

يقال ان أباً شكى ولده لأحد القضاة . فقال القاضي للأبن : ان أباك يقول انك تعقه ، فقال : أصلح الله القاضي ، لقد عقني أبي قبل أن أعقه ! ! فقال له : القاضي وكيف؟ قال : سمّاني جعلاً (نوع من الحشرات) ولم يعلمني القرآن واختار لي أماً بذيئة اللسان ! !

انها ليست مجرد عملية استحسان لهذه القصص والروايات . بل هي نذير لكل رجل يقدم على الزواج في أن يختار من تكون في غد أماً صالحة لاولاده تأخذ بأيديهم إلى الخير والصلاح والتقى .

---

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص ٢٣٥

حسنه نار سيئة وجنة

٤٤

ورد في الأثر: (رب حسنة قادت صاحبها إلى النار. ورب سيئة قادت صاحبها إلى الجنة).

قد يجد المرء لذلك غرابة وعجباً.. فكيف تقود حسنةٌ صاحبها إلى النار والهاوية؟ وكذلك كيف تقودُ سيئةً مرتكبها إلى الخير والاستقامة؟!

الذي يمكن استفادته من الحديث الشريف، أنه قد يصاب بعض من يوفقون للأعمال الصالحة والحسنات، قد يصاب بعض هؤلاء بحالة من الشعور بالغرور، بحيث تجعله يستهين بالسيئات بحجة ان له رصيداً طيباً من الحسنات.. وإذا بتلك الحالة من الغرور تؤدي به إلى النار.. مثله كمثل الطالب الذي وفق للحصول على درجة ممتازة في إحدى الامتحانات، وإذا بتلك الدرجة الرائعة تؤدي فعلاً عكسياً فتؤثر سلبياً على ذلك الطالب فلا يعد مهتماً بدروسه ومسؤوليته بعدها حتى يفشل.

والمفروض هنا، أن هذا النجاح يدفعه إلى نجاحات أبهر، كما أن تلك الطاعة تحثه على طاعات أكثر، ولكن هناك من لا يحسن التعامل مع الايجابيات في حياته!!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فان سيئة قد تنبّه بعض الذين يرتكبون السيئات والاخطاء، فتكون سبباً في انتباههم وارتداعهم ورجوعهم إلى طريق الخير والاستقامة.

قال علي (ع): (سيئة تسؤوك خير عند الله من حسنة تعجبك) (١).

فتكون تلك السيئة كالناقوس الذي ينبّه صاحبه على الخطأ فينتبه، ويعود إلى رحاب الهدى وأجواء الاستقامة.

مثله بالضبط كمثل الطالب الذي يخفق في الحصول على نتيجة مرضية في امتحان ما. وإذا بذلك الاخفاق وتلك النتيجة السيئة تكون حافزاً له، ومنهاً يعود إلى شد عزمه

(١) نهج البلاغة- الحكمة ٤٦ ص٤٤٧ -اعداد صبحي الصالح.

ومحاولة التعويض عما فات من نجاح ورقي. فهنا نجد تعاملاً إيجابياً مع الحالة السلبية، التي تواجه هذا الانسان في حين وجدنا هناك تعاملاً سلبياً مع حالة ايجابية!

إذن فالرواية فيما توحيه لنا، بان لا يغتّر صاحب الحسنة بحسنة بل عليه ان يستزيد منها، وان لا ييأس مرتكب المعصية بفعل معصية منها قد تذكرّه بالله فيعود إليه تائباً.

وكان فضيل بن عياض، ممن عُرفوا بالانحراف وقطع الطرق، والاعتداء على الناس..

وفي ذات ليلة، وهو يتسور حائطاً ليسرق، أو يعتدي على أهل بيت، وإذا به يسمع تالياً للقرآن في جوف الليل: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾(١). فكأنه كان نائماً فانتبه.. وتحول بعد ذلك إلى رجل من أكابر زهاد بغداد..

وصدق رسول الله (ص) وصدق تلميذه الأول أمير المؤمنين (ع). حيث يؤكد هذا المعنى بقوله (ع): (سيئة تسؤوك خير عند الله من حسنة تعجبك).

ولاحظ بدقة وصف السيئة بأنها التي تسؤوك، أي التي تتألم منها. لا السيئة التي ترتاح إليها وتستهين بها. وكذلك لاحظ الحسنة التي تعجبك، حيث تجعلك تشعر بزهو وكبر وإنتفاخ. أما الحسنة التي تشعر منها انك لازلت مقصراً وبحاجة إلى أعمال أخرى فهي خطوة في الطريق الصحيح.

لأن السيئة التي تسؤوك، تساهم في تربيتك واستقامتك، بينما الحسنة التي تعجبك تساهم في تخلفك وقلة رصيد حسناتك.

اللهم نبهنا من نومة الغافلين.

---

(١) ١٦ سورة الحديد

شخصية متكاملة

٤٥

عندما يحل الايمان في قلب انسان، تنشط الجوارح في الطاعات وتنعكس صور هذا الايمان، على سلوكه المختلف.. فلا يصح أن نجد المؤمن مؤمناً في عباداته وهو غير ذلك في علاقاته وسلوكه مع الآخرين﴿افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾؟؟(١)

ولقد تجسد الايمان في نفوس طيبة مستعدة لتلقي الفيض الإلهي والمدد السماوي..

ومن تلك الشخصيات الايمانية المتكاملة يبرز حجر بن عدي الكندي.. هذا الرجل العظيم والنموذج الايماني المميز.

ولقد شدني اليه ما قرأته عنه من شدة ارتباط متواصل بالله عبر وضوئه الذي لا يفارقه قط كما ذكرنا ذلك في حديث سابق، وشدة تنمره في ذات الله وجهادَه لاعداء الله. وقوله كلمة الحق في زمن يعزّ فيه القائلون بها، حتى أدّى ضريبة مواقفه الايمانية شهيداً في مرج عذراء عند اطراف دمشق، وكان هو أول مسلم وصلها أيام الفَتح وأول مجاهد نبحّ كلابها.. وقال قولته (لا تمسحوا عني دماً ولا تفكوا عني قيداً فإني ملاق معاوية على الجادة)(٢). شدتني كل تلك المواقف وغيرها الى المجاهد الكبير حجرٍ رضوان الله عليه..

ولكن الذي أوقفني كثيراً عند شخصية هذا الرجل.. شدة عنايته بأم له كبيرة السن! كان يوليها اهتماماً ورعاية وبراً... بشكل مذهل! فقد كان حجر رحمه الله، يقوم بخدمتها بنفسه، وكان يتولى فراشها كل ليلة.. إنه قائد كبير ورئيس مهيب وفاتح قسور، ولكن كل ذلك ما كان ليمنعه عن خدمة أمه.. نعم كان يتولى فراشها بنفسه..

---

(١) ٨٥ سورة البقرة

(٢) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الامين ـ ج٤ ص٥٧١ ـ دار التعارف ـ بيروت

ثم يعمد إلى تحسسه بيديه خشية أن يكون في الفراش ما يقلق راحتها إذا اضطجعت امه على فراشها!! وانظر إلى هذه الصورة الرائعة.. وربماكان حجر يتهم خشونة يديه، فقد يكون هناك شيء يقلق راحة امه، ويعكّر صفوة نومها، فما السبيل للاطمئنان إذن! نعم.. إنه كان يعمد إلى نزع قميصه ويقوم بتحسس فراش أمه بظهره.. يمر ظهره على الفراش، فإذا لم يوجد ثمة مزعج ومقلق.. إطمأن باله وترك أمّه في فراشها، وهو قرير العين، هادي الضمير مرتاح البال.

سلام عليك يا حجر، سلام على المؤمن الذي إمتد الايمان إلى كل سلوكه ونشاطه وخلقه. سلام عليك في جهادك وسلام عليك، انت تعتني بأمّك!!

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾(١).

وما أحوجنا إلى هذه الدروس الاخلاقية الرائعة كي نربيّ عليها أنفسنا أولاً، ثم نقدّمها زاداً طيباً وهدية زكية مباركة لأجيالنا وأبنائنا، في هذه الأيام التي استحكمت فيها المادة والمنافع الدنيوية الزائلة على كثير من سلوك الناس حتى مع أقرب الناس اليه وأولى الناس به، والداه.. جاءني احدهم وانا في احدى سفراتي التبليغيّه، ليشكو امه!! نعم يشكو امه، وأنها غدت مزعجة له ولراحته ولبرامجه اليومية وسفراته الترفيهية!!. ثم قال لي: وأمي على رغم كبر سنها فهي لا تشكو من أي مرض ولا تعاني من أية علة!!. انه يستكثر عليها أن تكون بصحة جيدة.. نعم هو يتمنى موتها.. يتمنى موت من كانت ولا تزال تتمنى حياته!!

---

(١) ١١١ سورة يوسف

رجل بخيل !!

٤٦

ينقل في الأخبار، أن عابداً من عبّاد بني اسرائيل، جاء الى نبي الله موسى (ع) وشكى اليه أمره، إذ أنه يبالغ في الدعاء ولكن لا يستجاب له! وهو لم يترك ما أوجبه الله تعالى عليه من واجبات كما ولم انه يقترب من المحارم والآثام فلماذا إذن لا يُستجاب دعاؤه؟

جاء هذا الرجل وهو يحمل هذا الهم إلى نبي من أنبياء الله عليهم السلام، علّهُ يجد إجابة عن هذا التساؤل الذي يشغل باله. . لماذا لا يستجاب لي؟ . . واستجابة لتلك الرغبة، فان موسى (ع) دعا ربه في شأن عبده ذاك، وسأله عزّ اسمه أن يبيّن السبب وراء عدم استجابة دعائه. . فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبيه (ع) بأن عدم استجابة الدعاء سببهُ نفس الداعي. . ذلك لأنه رجل بخيل!! فقال موسى: كيف يا رب هو بخيل؟ هل بمعنى أنه لا ينفق أمواله؟ والرجل لم يؤخّر حقاً من الحقوق الواجبة أو المستحبة في أمواله.

فجاءت الاجابة: ان ذلك العابد رجل بخيل لا بمعنى البخل المادي، بل لأنه رجل لا يدعو الا لنفسه!! انه مؤمن لا يدعو لاخوانه المؤمنين!!

هكذا اذن فقد كان توقف دعاء ذلك العابد عن الاستجابة، كون نفسه نفس غيرُ مقبلة على حب الآخرين، وحب الخير لهم. عبر انعكاس ذلك على الدعاء لهم. لأن الدعاء للأخ المؤمن يكون ترجمة حيّة وصادقةً عن نفسٍ تحبُ الخير للآخرين. نفس بعيدةٌ عن الانانية والبعد الفردي في التفكير.

والمسألة التَي دائماً ما حذّر الاسلام منها ومن أثارها السلبية هي روح النزعة الفردية والتوجهّات الانانية التي قد نجد طريقها الى نفس الانسان المؤمن. والتي تحول دون اهتمامه بإخوانه وحب الخير لهم وتمني ما يتمناه لنفسه لهم. .

ومن الموارد التي استثمرها التشريع المبارك لمحاربة حالة الشح النفسي ـ ان صح

التعبير ـ مورد الدعاء؛ الذي جعل من ضمن آدابه وسننه، ان تدعو لأخيك المؤمن قبل أن تدعو لنفسك. . وما أروعه من سلوك وما أطيبها من عَلاقة، حينما نتصور أن المؤمن يرفع يديه بالدعاء لأخيه وهو في بيته لا يعلم به، وبنفس الوقت نجد ذلك الأخ يدعو للأول وهو لا يعلم به أيضاً! إنها لوحة إيمانية راقية المضامين يرسمها السلوك الايماني القويم، وصورة نابضة بالعطاء توجدهامفاهيم السماء الكريمة.

عن الباقر (ع): (أوشك دعوة وأسرع اجابة دعاء المرء لأخيه في ظهر الغيب) (١).

عن الصادق (ع): (من قدّم اربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له)(٢).

وكذلك ورد عن الصادق (ع) (أربعة لا تُرد لهم دعوة. . . والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب) (٣).

وقد أورد السيد الشهيد الصدر (رض) رواية تأخذ بمجامع القلب، ذكرها في مناسك الحج:

عن ابراهيم بن هاشم، قال: رأيت في الموقف ـ أي يوم عرفة ـ عن عبدالله ابن جندب، أحد ثقات الامامين الكاظم والرضا (ع). ماداً يده الى السماء ودموعه تسيل على خديه، حتى تبلغ الأرض. فلما انصرف الناس قلت: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك! قال: والله ما دعوت إلاّ لأخواني!! وذلك لأن أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) أخبرني: أنه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مائة الف ضعف مثله. فكرهت ان أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا)!! (٤).

فسلام على تلك النفوس الطيبة الكبيرة التي تحب الآخرين وتتمنى لهم الخير وتدعو لهم في ظهر الغيب.

أنها تعاليم الاسلام العظيم فما احرانا بالعمل بها والاخذ بعطاءاتها. .

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٣ ص٢٨١

(٢) المصدر السابق ـ ج٣ ص٢٦٥

(٣) المصدر السابق ـ ج٣ ص٢٧٣

(٤) موجز أحكام الحج ـ السيد محمد باقر الصدر ـ ص١٤٠ ـ دار التعارف

مفاجأة في القيامة

٤٧

نحن لا نعرف عن عالم القيامة من معلومات الا التي تأتينا عبر النوافذ التي فتحها لنا كتاب الله العزيز حينما ذكرت مشاهد ذلك اليوم . . وما نطق به النبي الكريم (ص) الذي (لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى) (١)

وما رواه أهل بيت العصمة (ع) عن جدهم المصطفى (ص).

ولهذا سوف يفاجأ الانسان هناك بأمور وأمور. وهذا أمر طبيعي لأنه عالم غريب عنا وعن عقولنا وحواسنا المادية. ومن جملة ما يفاجأ به الانسان هناك، ما ذكرته بعض الأخبار، بأنه يفاجأ بوجود حسنات في سجل حسناته، يعلم علم اليقين انه لم يوفق للعمل بها في دار الدنيا! كما يفاجأ هذا الانسان أو غيره بوجود سيئات في سجل سيئاته يعلم كذلك أنه لم يقترفها في عالم الدنيا . .

فيسأل هذا الانسان شاكراً فرحاً في حالته الاولى ـ الحسنات ـ ومحتجاً صارخاً في الحالة الثانية ـ السيئات ـ. يا رب أنت المفضل والجواد الذي تبتدأ الفضل كيف جائتني هذه الحسنات؟ . وانت الحكم العدل ولا ظلم في حكمك فكيف سجلت تلك السيئات في سجل سيئاتي، وأنا لم أوفق للأولى ولم ابتلى بالثانية؟!

ويأتي النداء بأن كل تلك الحسنات التي اضيفت الى سجل الحسنات وتفاجأت بها فرحاً، كانت نتائجاً وآثاراً لكلمة طيبة صدرت منك . . كلمة طيبة صادقة . . تكلمت بها فألفّت بين متخاصمين، وشجّعت مُحسناً على احسانه، وردعت آخر عَن معصيته. كلمة ترتبت عليها موارد للخير والصلاح والهداية، كلمة فتحت أبواب المحبة والتعاون وسبل الخير.

أما السيئات التي تفاجأت بها فزعاً خائفاً . . فهي سيئات، كانت أيضاً آثاراً ونتائج لكلمة خبيثة، كلمة سيئة، كلمة ما أريد بها وجه الله. كلمة صدرت منك ولا تعلم إلى

(١) ٣ سورة النجم

مدىً وصلت آثارها . . فكان من آثارها تمزيق الصف المؤمن، أو صدٌّ عن سبيل خير ومشروع خير، أو تشجيع على منكر، أو ربما ادت كلمتك إلى استعار حرب وانتهاك عرض وقتل نفس وهدم مروءة!!

ما أعظم وأجل آثار الكلمة الطيبة التي نتفوه بها، وما أخطر وأشدّ الكلمة الخبيثة الخاطئة وآثارها، انها درس لنا جميعاً أن نتقي الله في كلامنا﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾(١) . .

هكذا اذن تبلغ آثار كلماتنا فقد نتحدث ونطلق الكلام جزافاً بلا روية ولا تمعن ولا نعلم إلى أين وصلت نتائج تلك الكلمة . .

كما هي دعوة لنا ان لا نأسف على كلمة حق ومقالة صدق، بل ونحاول جاهدين ان نربيّ انفسنا على قول الحق، على الكلمة الطيبة، والكلام السديد، الذي فيه مرضاة الله وارتياح للنفس ونتائج طيبة يوم الوفود على الله . .

لنتأمل الحديث الشريف الثاني ونتوقف عنده . . فهو يتمم ذلك المعنى الكبير . .

نعم فقد روي عن رسول الله (ص) انه قال:

(ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن ان تبلغ مابلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه . .)(٢)

وليس بعد حديث رسول الله (ص) حديث!!

---

(١) ٧ سورة الاحزاب

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٨ ص٤٣٥

سوق العرج!

٤٨

زرت صنعاء للمرة الأولى في شهر رمضان ١٤١٣ هـ. ثم تبعت تلك الزيارة زيارتان في وقتين آخرين. . وكنت أحن كثيراً إلى التجوال في شوارع وأزقة صنعاء القديمة.

وصنعاء كبقية المدن الشرقية القديمة، لا تزال تعتمد أحياناً على الحيوانات في نقل البضائع والاشخاص. . وكنت أشاهد ساحة بين أزقة تلك المدينة العريقة، وأنا في طريقي من الجامع الكبير إلى مسجد الشهيدين [٢] وقد ربطت في تلك الساحة مجموعة من الخيول الضعيفة والحمير المتعبة، بعد أن هُيّأ لها علفها وماؤها. . وكنت أعتقد أن هذه الحيوانات تعود لأشخاص معينين. كما لاحظت وجود أحواض مياه على قارعة بعض الطرق ذات حافات واطئة والماء فيها غير صالح للشرب فكنت أراها ولا أعلم الغاية منها. .

وفي ليلة من ليالي الشهر الكريم، صادف ان مررتُ بذلك السوق، وفي ساعة متأخرة، فوجدت تلك الحيوانات على حالها مع غلق الاسواق والدكاكين. . فقلت في نفسي ما علة وجود هذه الحيوانات وأين أصحابها، ولماذا تركوها في السوق؟

وفي اليوم التالي، سألت أحد الأخوة الصنعانيين عن هذه المسألة، فقال: يا شيخ هذه الساحة تسمى سوق العرج. . قلت: وما سوق العرج؟ فقال: هي ساحة وقف! قلت له: وقف، وقف ماذا؟ قال: الساحة وقف لكل الحيوانات التي لا تقوى على العمل، ويتركها أصحابها، أو تكسر أرجلها، فلا تستطيع الحركة فضلاً عن العمل. فان هذه الساحة تقوم بدور إيواء هذه الحيوانات وتوفير العلف والماء لها، حتى تموت!!

---

(١) المسجد الكبير مسجد اسس من اول ايام الاسلام وفيه اثار للامكنة التي صلّى فيها أمير المؤمنين (ع) حينما بعثه رسول الله (ص) الى اليمن. اما مسجد الشهيدين، فهو مسجد قديم ايضاً فيه قبرا ولدي عبيد الله بن العباس اللذين قتلهما بسر بن أرطاة أحد قواد معاوية.

وهناك أوقاف خاصة تصرف على هذه الموارد!! ثم بادر ذلك الأخ وقال لي: أرأيت تلك الأحواض الضحلة الماء الموجودة على قارعة بعض الطرق في هذه الأزقة؟ قلت: نعم، فقال: وهي كذلك، وقف لكل الحيوانات التي تطرق الشوارع والأزقة!

وتمالكني العجب فقلت في نفسي: ما أعظم الاسلام الذي فجرّ ينابيع الخير والعطاء في نفوس المسلمين، عبر أساليبه الرائعة الكثيرة، ومنها أسلوب الوقف.. ولقد وصل المسلمون إلى ابتكار أمور غريبة وعجيبة، أوقفوها في سبيل الله ومن أجل طلب مرضاته.

حيث يذكر ابن بطوطة في رحلاته، انه لمّا وصل دمشق، وجد وقفاً فيها لكل طفل أو غلام يبعثهُ أهلهُ في حاجة إلى السوق فيفقد المال لو تكسر الآنية التي معه (ويسمى صاحب أوقاف الأواني).

كما ان هناك أوقافاً أخرى تزوّد الامهات الفقيرات بالحليب والسكر!

هذا اضافة إلى أوقاف تصرف على المستشفيات ودور الأيتام. ناهيك عن أوقاف المساجد والمدارس.. وأوقافٌ على الجهاد وتوفير السلاح..

ويذكر ابن بطوطة أن الأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها. ومصارفها لكثرتها. فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج.. ومنها أوقاف على تجهيزات البنات لأزواجهن وهنّ اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن، ومنها أوقاف لابناء السبيل. وأوقاف تبديل الطريق والارصفة، إضافة الى اوقات على مرافق أخرى ومتنوعة لحاجات الانسان والمجتمع.

انها جوانب مشرقة من تاريخ هذه الأمة، حين تفجرت فيها ينابيع الخير والعطاء، في المجالات المختلفة، يوم كانت متمسكة بدينها عاملة بأحكامه، يحدوها في ذلك رضا الله في نفع البلاد والعباد..

فما أحوجنا إلى عودة حميدة لديننا، وأحكام شريعتنا الغراء التي جاءت لأسعاد هذا الانسان في الدنيا قبل الفوز بسعادة الأخرة.

أحسن الظن

٤٩

كم أعتنت الشريعة المقدسة، وتعليمات النبي (ص)، والأئمة الطاهرين (ع)، بهندسة العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن. ومما أكدت عليه تلك النصوص الكريمة، كيفيّة معالجة الحالات التي تبرز فيها انماط من السلوك قد تجعل المرء لا يحسن الظن بالطرف الآخر..

ومن تلك التوجيهات.. (ضع أمر أخيك على أحسنه) (١)(إحمل أخاك على سبعين محملاً) (٢).

(لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً..) (٣).

والواقع أن المشكلة لا تكمن في إطّلاع الانسان المؤمن، ومعرفته بهذه التوصيات والتوجيهات. فقد يكون مطلعاً عليها، وليس هذا فقط فقد يكون مَن كتب في هذه المعاني أو حاضر فيها!! وإذا سألته عن هذه الأحاديث ذكر لك منها الكثير وبما كان يحفظ بعضها عن ظهر قلب!!

إن المشكلة لا تكمن في كل ذلك.. بل هي في استحضار هذه المعاني والسلوكيات الراقية في حالة الابتلاء بذلك والحاجة اليها.. والا فقد تتضحُ الحقائق بعد أمد قليل، فحيّا اللهُ المؤمن الذي يرعى هذه التوجيهات في أوانها!؟. وهي مشكلة عامة وقانون يضطرد في كل حالات معالجة النقاط المتشنجة والحساسة السلبية من السلوك الاجتماعي بما يناسبها من توصيات وتوجيهات وأخلاقيات..

وأود أن أسرد هنا حالتين في مسألة حسن الظن. ذكرها لي سماحة العلامة المحقق المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب (طيب الله ثراه).. فيما كان رحمه الله

---

(١) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٤ ص١٩٢

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة- الحكمة ٣٦٠ ص٥٣٨ -اعداد صبحي الصالح.

يفيض عليّ من دروسه وتوجيهاته وتجاربه . . الأولى : حينما زار وفد من لبنان بيت المرجع الكبير السيد محسن الحكيم (قدس سره) حيث دخلوا على السيد ، فلم ينهض سماحته لاستقبالهم ، ولا تزحزح من مكانه ، ولم يرحب بهم ولو بكلمة واحدة!! فأخذ اعضاء الوفد ينظر بعضهم إلى البعض الآخر متعجبين ، خاصة وان السيد رضوان الله عليه كان ممن عرفوا بالاخلاق السامية الكريمة ، فبقوا وجلين . وكان الى جانب السيد رجل يلبس بدلة وهو ينظر إلى ساعته ، وبعد دقائق التفت ذلك الرجل للسيد وقال له : مولانا يمكن لكم الحديث الآن! فقد انتهت الفترة التي حددتها لكم بعد تناولكم الدواء!! فنهض السيد رحمه الله مسلماً ومرحباً بالوفد وغمرهم بألطافه واخلاقه ـ فعرف الحاضرون ان ذلك الرجل كان طبيباً وان السيد قد تناول دواءً وعليه أنَ لا يتحرك ولا يتكلم بعده بمدة معينة!! . حتى اعتذروا للسيد وقالوا لقد ذهبت بنا الظنون مذاهبها!! .

أما الثانية : فقد كانت مع المرجع العظيم السيد أبي الحسن الاصفهاني (قدس سره) فقد كان هناك أحد طلبة العلم في أزمة مالية حادة ، فالتجأ إلى السيد يشكو أمره ، فاعتذر اليه ، وقد وعده خيراً مع أول حَق شرعي من الأموال يصل إليه . . وفي اليوم التالي أو بعده بأيام قليلة ، ركب طالب ٱلعلم هذا ، سيارة منطلقة من النجف إلى الكوفة ، حيث كان يقيم السيد أبو الحسن الاصفهاني ، وإذا إلى جانبه أحد تجار بغداد ، فسلَّم عليه طالب العلم وسأله عن سبب توجهه إلى الكوفة ، فقال التاجر : إن عليَّ حقوقاً متراكمة ، واني أريد أن أسلمها للسيد أبي اَلحسن!!

فقال الطالب في نفسه : لقد حانت الفرصة فلأتركنّه بعض الوقت ، ريثما يصل إلى دار السيد ، ثم أمضي إليه كي أطمأن إلى قضاء حاجتي . وهكذا صنع ، فبعد مضي مدة تيقن فيها من وصول التاجر إلى السيد ، توجه إلى بيت السيد رضوان الله عليه ودخل عليه وذكرّه بحاجته . فاعتذر اليه السيد وقال اَنه لم يصل أي مبلغ من الحقوق!! .

فخرج ذلك الرجل وقد لعبت برأسه الظنون والهواجس ، أيكذّب السيد أم ماذا؟ وقد التقى هو بنفسه بذلك التاجر البغدادي ، وتركه المدة التي اطمأن معها من وصوله إلى السيد . . وبينما هو هكذا في حيرة . . وإذا بذلك التاجر يدخل بيت السيد المرجع . فبادره طالب العلم : أين كنت؟ قال لقد اعترضني صديقي ودعاني لشرب الشاي في

احدى المقاهي، فتأخرت عن المجيء لخدمة السيد! وها أناأدخل لاسلّم الحق إليه.

يقول الطالب: فاستغفرتُ الله مما اعتراني من حالة التوقف وربما سوء الظن.. ثم دخلت بعدها على السيد فرحب بي وقال: نعم الآن جاء المال فاعطاني ما كفاني وزيادة..

وهكذا فليس المهم أن نعرف التعاليم والتوجيهات الاخلاقية ونحفظها بل المهم هو استحضارها والعمل بها في وقتها..

وان الاساس في المسلم أو المؤمن بشكل خاص، أن يكون أهلاً لحسن الظن به.

إحذر من حسن الظن!!

٥٠

ان التأمل في أحكام الشريعة المقدسة، وتوجيهاتها وانماط الأخلاق التي تدعو اليها.. وتحث الناس على الالتزام بها. ان المتأمل في ذلك يجد بوضوح مدى ما تتسم به هذه التعليمات والاحكام من حالة توازن مرتبط بالنظرة الواقعية للاسلام تجاه الانسان وحياته.. وهي تريد بناء الانسان المسلم ليكون انساناً واعياً بصيراً فكم وردت احاديث وروايات تحث الانسان على أن يكون ذا ظن حسن بالآخرين، ففي الظن الحسن، راحة البال، واطمئنان القلب، ومعاملة الآخرين بالأفضل. وقد تعرضنا إلى شيء من ذلك في موضوع سابق..

ولكن لكي تكتمل الصورة، وتتضح معالم السلوك الاقوم في هذه المفردة من مفردات التعامل الاجتماعي. نجد أن روايات أخرى تأتي مكملة لتلك الروايات محددةً لأبعادها. كي يكون بعدئذ سلوك الانسان المؤمن سلوكاً متزناً واعياً على أساس البصيرة والحكمة.

تأتي الروايات الأخرى، لتحذر المؤمن من الانسياق وراء حسن الظن، دائماً في كل الظروف والملابسات!! نعم روايات تحذره من حسن الظن كما جاءت أخرى تدعوه اليه!!

فعن أمير المؤمنين (ع): (إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظلم. وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله، فأحسن رجل الظن برجل فقد غرَّر) (١).

ويحذرنا الامام الصادق (ع): (وإذا كان الزمان زمان جور، وأهله أهل غدر، فالطمأنية إلى كل احد عجز) (٢).

---

(١) نهج البلاغة- الحكمة ١١٤ ص٤٩٩ -اعداد صبحي الصالح.

(٢) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٥ ص٦٢٩

وفي روايات أن حسن الظن في زمن يغلب فيه الجور يُعتبر من البله أي الغباء!! فهذه الروايات تُدّخل عنصراً مهماً في تقييم تصرفات الآخرين، وحملها على حسن الظن أو سوئه، هذا العامل هو العامل الموضوعي من حيث السلوك الشائع في المجتمع، والاخلاقيات السائدة في الحياة. هذا مع الانسان الذي لم يسبق ان بدرت منه انماط سلوك تدعونا للتأمل فيه.

وكم من مثال ومثال في تاريخنا ومواقعنا يثبت هذه الحقيقة الاجتماعية. فكم جرّ حسن الظن عند المؤمن المجاهد مسلم بن عوسجة الأسدي بالجاسوس معقل الذي بعثه ابن زياد حتى كشف موضع القائد مسلم بن عقيل (ع) ونقض خطته وحركته!!

وهذه الأمر لا يعني أبداً ان عليك ان تحسن الظن دائماً، في زمن يسود فيه الصلاح، أو ان تسيء الظن دائماً، بالناس في زمن يطغى فيه الفساد والانحراف. بل لا بد ان توزن كل حاله بميزانها الخاص بها.

عن الامام الهادي (ع): (إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من الهدى فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه) (١).

فإذا كانت هناك مبررات لسوء الظن حتى في زمن العدل فعليك بسوء الظن وإذا كانت هناك مبررات لحسن الظن ولو في عهود الظلم فعليك بحسن الظن..

ولكي نحيط بهذا الموضوع الاجتماعي الهام فأننا ندرك أهمية السلوك الذي ينبغي على المؤمن انتهاجهُ لكي لا يساء الظن به، لأن بعض انماط السلوك تجعل احتمال الظن الحسن احتمالاً ضعيفاً.

وعلى هذا فقد يكون الانسان معيناً للآخرين - من حيث يشعر أو لا يشعر - على أن يعاملوه بتحفظ وتوجس وريبة. ومن امثلة ذلك مجالسة الاشرار والمنحرفين والانسجام معهم ومماشاتهم مما يجعل الشبهات تحوم حول صاحب هكذا سلوك وتعامل.

عن أمير المؤمنين (ع): (مجالسة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار) (٢)

فقد يُتهم حتى الانسان المعروف بالصلاح إذا ما شوهد مصاحباً للأشرار ومرافقاً

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٥ ص٦٢٩

(٢) المصدر السابق - ص٦٢٧

لهم وموافقاً لأمورهم.

وحالة ثانية قد تسبب سوء الظن بالمرء، وهي حالة الدخول في مشاريع وصفقات وأماكن، تجعل منه معرضاً للاتهام وتثار حوله وحول سلوكه علامات استفهام.

فعلى المؤمن أن يتجنب نفسه الدخول في تصرفات وعلاقات تؤدي إلى هذه النتيجة السلبية.

فعن أمير المؤمنين (ع): (من دخل مداخل السوء اتهم ومن عرض نفسه التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن) (١).

ونختم حديثاً بتوجيهٍ مهم من النبي (ص) أذ يقول: (احترسوا من الناس بسوء الظن) (٢).

حيث يجعل (ص) من سوء الظن مجسساً، تختبر من خلاله الناس. قبل أن نتخذ قرار المدح أو الذم، اللقاء أو الفراق، فكأن سوء الظن حصن نلتجأ إليه من شرار الناس.

نسأله تعالى أن يجنبنا مداخل السوء وأن نحسن الظن بمن هم أهلٌ لذلك. وان نسيئه بمن هم أهل لسوء الظن.. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٥ ص٦٢٧

(٢) تحف العقول - ابن شعبة - ص٤٤

القرّاء في صفين

٥١

لما دارت رحى الحرب بين جبهة الحق والهدى حيث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبين مناوئه طالب حطام الدنيا الزائل معاوية. . أفرزت تلك الحرب عدة مؤشرات ونتائج. . ومن تلك النتائج؛ أن أصحاب المطامع واتباع الدنيا أخذوا يتركون علياً (ع) وجيشه. ويحولّون وجههم تجاه معاوية ودنياه! وهؤلاء كانوا أصنافاً، فمنهم من ضربت مصالحة الذاتية، ومنهم ـ وهم كثير ـ من ركض وراء دنيا معاوية ومُغرياتها، ومنهم من أقيم عليه الحد، فلم يطق البقاء مع الحق وأهله. وكمثل على أولئك كان النجاشي الشاعر. الذي كان يلقّب بشاعر العراق، أيام الحرب (حرب صفين)، حيث شرب الخمر ذات يوم وسكر في نهار شهر رمضان. فلما جيء به لعلي (ع). أمر به فجلد مائة جلدة، فقال له: يا أمير المؤمنين، هذا حدّ الخمر وقد عرفته، فمن أين هذه العلاوة؟ أي العشرون جلدة الزائدة! عن الثمانين حد شرب الخمر. فقال (ع): لجرأتك على الله وافطارك في شهر رمضان. أي كانت هذه الزيادة تعزيزاً لمن تجاهر بالافطار وشرب الخمر في شهره الكريم (١). .

فهذا الرجل كان من الذين تركوا علياً باتجاه معاوية. ويذكر المؤرخون، ومن كتب في واقعة صفين. ومنهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أنه لم يلحق من جبهة معاوية إلى حبهة أمير المؤمنين (ع) من أهل الشام الا فئة واحدة!! نعم فئة واحدة فقط وهي فئة قرّاء أهل الشام. . نعم فقط وفقط أهل القرآن هم الذين اتخذوا الموقف الصواب، وتركوا جبهة الضلال إلى حيث الهدى.

ولهذا فان أصحاب القرآن وحملة القرآن، هم أقرب الناس إلى الاستقامة. وقد كان للقراء واقعة مهمة حينما ثاروا على الامويين أيام الحجاج ومضى الكثير منهم شهداء. .

---

(١) مصادر نهج البلاغة ـ السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب

ان من يعيش القرآن ويعي مفاهيمه ويتنفس أجواءه، يكون دليلَ الامةِ إلى الخير والهدى والصواب..

ولهذا كلما اقتربت الأمة من كتابها وقرآنها إقتربت من مرضاة الخالق وسعادة حياتها ودورها وهي رائدة للأمم.

ويذكر أهل السيرّ؛ أنه بعد إنتهاء واقعة احد، وسقوط العديد من الشهداء، وجاء وقت دفهنم وإذا بالنبي (ص) يوجههم ويبيّن كيفيّة دفن هؤلاء الشهداء. فقال (ص): (انظروا أكثرهم جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام صاحبه) (١).

وكان (ص) يؤكد دائماً ويقول:

(أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل) (٢).

ان الامة حينما تكون مع القرآن ومفاهيمه وأحكامه، تكون امة على الخير وان الردة والمحنة والانتكاسة بدأت، حينما ابتعدت امتنا عن القرآن ونوره. وستبقى أمتنا في معاناتها حتى تعود إلى القرآن، لتعود بعدها كما كانت خير أمة اخرجت الناس.

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٨ ص٧٩

(٢) المصدر السابق - ص٧٨

مسؤولية التقييم

٥٢

سُئلَ أمير المؤمنين (ع): من اشعر الشعراء؟ فقال (ع): (إن القوم لم يجروا في حلبة تعرفُ الغاية عند قصبتها. فإن كان ولا بُدَّ فالملكَ الضّليل)(١)

ان هذه الاجابة من أمير المؤمنين (ع)، يمكن أن نجد فيها عدة جوانب مشرقة منها: عدم تضايقه من سؤاله هذا السؤال، رغم موقعه كحاكم للمسلمين وموقعه الديني في قمة الهرم في زمنه، فكان (ع) أن استجاب لهم وأجابهم عن سؤالهم.

ومنها. انها تستبطن إطلاعه على الشعر والشعراء، وتذوّقه لذلك كيف لا وهو سيد البلغاء والمتكلمين.

ومنها: المقدمة الرائعة قبل الأجابة عن السؤال حينما قيم الوضع الشعري. وان الشعراء لم يتجهوا اتجاهاً معيناً كي يكون التفاضل بينهم واضحاً ودقيقاً في الوقت نفسه.

إلا أن الأهم هنا ـ من كل ما ذكر اعلاه ـ هو التقييم الصادق لهذا الأمر، وعدم الاجحاف ومصادرة الآخرين ومواقعهم، رغم اختلافهم في الفكر أو الدين أو السلوك!!

ان علياً (ع) رغم معرفته بأمريء القيس حتى اطلق عليه مصطلح؛ الملك الضّليل. الا انه (ع) لم يغمطهُ حقه، ولم يزله عن موقعه، لأن التقييم أمانة! ولهذا قال (ع)؛ إن امرىء القيس هو الاشعر بين الشعراء.

لنقف قليلاً عند هذه النقطة. أي نقطة تقييم الآخرين، وأن لا يحول الاختلاف بيننا وبينهم دون اعطائهم ما يستحقون من تقييم ومنزلة. أن علياً (ع) في هذا الموقف إنما يشكل مصداقاً كبيراً للمفهوم القرآني في قوله تعالى ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ (٢).

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ٤٥٥ ص٥٥٥ ـ اعداد صبحي الصالح.

(٢) ٨٥ سورة الأعراف

والذي تكرر ثلاث مرات في ثلاث سور. ان لا يُبخَسُ الناس في مواقعهم وخصائصهم وامكاناتهم.. ولاحظ أن الآية الكريمة قالت ﴿ولا تبخسوا الناس﴾ ولم يقتصر النهي عن البخس بالمسلمين فقط أو المؤمنين فقط! فلم يقل القرآن ولا تبخسوا المسلمين أو لا تبخسوا المؤمنين!!

يا ترى كم ساهمنا في ابتعاد الآخرين عنا!! أو ربما حتى خسارة بعض اخواننا لأننا لم نرعَ الله تعالى والحق في تقييمهم؟.. كم تدخلت العوامل الذاتية والمواقف المسبقة والعقد النفسية، وغيرها وغيرها في صدّنا عن إعطاء الآخرين ما يستحقونه؟، فكنّا من الذين يبخسونهم حقوقهم ومواقعهم (أشياءهم).

انك حينما تقيّم حتى عدوك، وتشير إلى نقاط القوة والايجابية فيه، فأنك بذلك تكون قد قلت الحق وسموت بخلقك وسلوكك. لأن ذلك من اخلاق الله وأخلاق القرآن.

وبنفس الوقت تساهم في جذبه نحو الاسلام والهدى. حينما يرانا بهذا الخلق في تقييم الآخرين واحترامهم..

ألم تهتدي سفانة بنت حاتم الطائي وكل بني طي، وعدي بن حاتم بعد ذلك الى الاسلام. حينما قامت بوجه الرسول (ص) وباشارة من علي (ع) فقالت مخاطبة الرسول الأكرم (ص) وتحدثت عن أبيها وأخلاقه، وانه كان يقري الضيف ويطلق الأسير ويفك العاني. وإذا بها تسمع ثناءً من رسول الله (ص) وتقييماً لوالدها وخلقه وسلوكه. حينما قال: (يا جاريه هذه أخلاق المؤمنين لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه).. فرغم كونه غير مسلم، الا أن ذلك لم يمنع رسول الله (ص) من أن يمتدحه ويقيمه على سلوكه وخلقه.

اذن فلنتذكر دائماً قوله تعالى:

﴿ولا تبخسوا الناس أشيائهم﴾ (١).

لأنها مدرسة القرآن ومفاهيمه التي انتجت محمداً وعلياً صلوات الله عليهما وآلهما.

---

(١) ٨٥ سورة الأعراف

صدّق ظنون الخير

٥٣

عن أمير المؤمنين (ع): (من ظن بك خيراً فصدّق ظنه) (١).

ان عوامل الخير والرشاد موجوده في كل نفس. وأنك لا بد أن تجد بصيصاً من هدىً حتى في أشد القلوب قسوةً وظلاماً. ولتتمّ حجة اللّه تعالى على الانسان. ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة وان الله لسميعَ عليم﴾ (٢).

وبقدر ما استطاع الانسان أن يعود إلى فطرة الله التي أودعها في نفسه، وينسجم مع عوامل الخير والرشاد تلك، فانه يكون قد وضع قدميه على الطريق الصحيح، الموصل إلى خيره في هذه الدنيا، وسعادته وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة..

كما أن مهمة الداعية إلى الله، الساعي إلى هداية الناس، انما تتجسد في تركيزه على نقاط الخير والاستقامة الموجودة في أعماق نفس الانسان (ولكن الله حبّب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم..)(٣). فقد تكون شتلة خضراء صغيرة في غابة من الاخشاب السوداء المتفحمة، فعليه رعايتها حتى تنمو وتقوى، ومن ثم تثمر في تغير اخلاق ذلك الانسان واتجاهه إلى الله ويمكن أن تكون مجرد بذرة للخير في عمق النفس فعلى الداعية اكتشافها، وإعادة زرعها وسقيها، ريثما تعود خيراً وعطاءً.

أشعر المقابل بأنه يقوى على الايمان، وأنه أهل للاستقامة، وان التزامه بالاسلام والأخلاق ليس بالأمر الطارىء عليه، بل هو ما ينسجم تماماً مع أعماق نفسه حيث يعود منسجماً مع فطرته وصفاء روحه. أشعرهُ بأنه أهل لكل خير ومكرمة وصَفات نبيلة.

إنه أسلوب من أساليب التربية، ورفع مستوى تعامل الانسان وسلوكه إلى درجة

---

(١) نهج البلاغة- الحكمة ٢٤٨ ص٥٥١ -اعداد صبحي الصالح.

(٢) ٤٢ سورة الأنفال

(٣) ٧ سورة الحجرات

أفضل ومستوى أجمل ومن هنا يأتي حث الامام أمير المؤمنين (ع) على تشجيع الانسان أن يكون أهلاً لكل خير يتوقع منه ولكل فضيلة تترجى منه (ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه). فقد تكون أيها الانسان ممن لا يرى لنفسه هذا النمط من السلوك وهذا الاسلوب من التعامل. . فماذا تصنع؟ هل تخيب ظنه، وتظهر له أنك لم تصل بعد إلى هذا المستوى؟ وكأنك تقول له: ابحث عن انسان غيري له هذه القدرة على عمل الخير والأمر بالصلاح!! كلا، بل عليك أن تصدّق ظنه فيك اذا ظن بك خيراً. جاءك من يعتقد انك تعينه على قضاء حاجته وطرق بابك ورمقك راجياً ذلك. . فأعنه وحقق ظنه، ولو باهتمامك بحاجته وسعيك لقضائها، قصدك من أمّلك لقول كلمة حق، فلا تخيب أمله وقل كلمة الحق، والموقف الذي يرضاه الله.

نظر إليك أحدهم نظرة رجاء بأنك ممن يعين على مكاره الدهر وصروفه، فكن عند حسن ظنه ـ واعنه بما تقدر عليه ـ. وإن في استجابتك لمن يظنّ بك خيراً وسعيك نحو ما يحقق رجاء الخير والصلاح. . ان في ذلك تربيةً للمقابل أيضاً. إذ في سلوكك هذا ما يشجع نفس صاحب الحاجة، ونفس من أملّ فيك خيراً، يشجعه على أن يسلك هذا السلوك مع أخرين فاذن أنت تقوم بتقوية عوامل الخير في نفسه. بفضل ما قمت به من تقوية عوامل الخير في نفسك وأبرزتها في سلوكك، حينما صَدقّت ظنه، ظن الخير وظن الصلاح وظن الاستقامة. .

ولنا في مواقف الصالحين مصاديقٌ ودروسٌ، وعبرٌ. اذ انهم دائماً ما يحققون ظن الخير فيهم حتى من قبل مناوئهم وأعدائهم. .

ولنقف عند مثل واحد من تلك الامثلة، التي تشعر الانسان بثقة عبر ارتباطه بالله، ومجاهدة نفسه، ففاضت هدى وخيراً وخلقاً كريماً. .

علم المنصور العباسي ان محمد بن هشام بن عبد الملك، موجود في موسم الحج، حينما جاء مكة حاجاً بيتها العتيق. وطلب من حاجبه الربيع القاء القبض على محمد هذا، وفي اليوم التالي اغلقت أبواب المسجد الحرام كافة ووقف الربيع على باب واحد، لا يسمح لأحد بالخروج حتى يعرفه، أو يأتي بمن يعرّفه. فعلم محمد بن هشام انه هو المطلوب فضاقت عليه فرص النجاة وآيس من الحياة. وإذا برجل بهي الطلعة عليه سيماء الهدى والمروءة والصلاح. فنظر إليه. هشام فظن به خيراً، واقبل عليه خائفاً وجلاً فسأله عن اضطرابه وقلقه؛ فبادره: هل أنا آمن إن حدثتك عن أمري؟ فقال

نعم، ولك عهد الله على أن أسعى في خلاصك!! إذن لقد صدّق ظنه فيه، ولما اخبره عن أمره وانه محمد بن هشام بن عبد الملك، فبادره الرجل وقال: وأنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين!! ياالله!! ان هشام بن عبد الملك هو الذي أمر بقتل وصلب الشهيد العظيم زيد بن علي (رض).. ان أب هذا الخائف هو الذي قتل أب هذا المنقذ الصالح.. فقال محمد بن هشام: عند الله احتسب نفسي! بشيء كبير من اليأس والاضطراب!!

ولكن ابن الرسالة، إبن من بعثه الله رحمة للعالمين، طمأنه وقال: سأسعى في خلاصك. هكذا حقق ظن المقابل والذي له ثأر عنده، نسي كل هذا: وسعى في خلاصه وانقاذه.. (١).

وكَان بذلك مصداقاً رائعاً لمقالة جده العظيم أمير المؤمنين (ع) حينما قال: (من ظنّ بك خيراً فصدّقه ظنّه).

---

(١) المجالس السنية ـ السيد محسن الامين ـ ج١ ص٦٣٤ ـ دار التعارف ـ بيروت

السلام تحية الاسلام

٥٤

جاءت الشريعة المقدسة ترسم للانسان المسلم أساليب سلوكه وطرق معاملاته، وحرص الاسلام على أن تكون لهذا الانسان شخصية متميزة، ولم يكن تأكيد التشريع مقتصراً على الأمور الاساسية الكبيرة فقط، بل إهتمت حتى في أمور قد تبدو عادية بسيطة، كمسألة التحية، إذ جعل منها أسلوباً من الأساليب التي تخلق عنده تلك الشخصية المتميزة، ولهذا فإن تحية الانسان المسلم تحية يتميز بها المسلم عن غيره. . فإذا كان أحدنا مسافراً إلى بلاد بعيدة، أو اختلط بقوم لا يعرفهم، فان من أساليب معرفة هؤلاء، هو تبادل السلام كتحية. . فحينما تسمع المقابل يحيّيك بـ السلام عليكم، فانك تعلم انه انسان مسلم.

كنت مع بعض الأخوة المؤمنين في احدى المدن الالمانية. ولما توقفت سيارتنا عند احدى اشارات المرور . . وإذا بصوت من السيارة المجاورة لنا: السلام عليكم. فالتفتنا وإذا به مسلم من افريقيا يدل على ذلك سحنته فقلنا: وعليكم السلام، وكأنه أراد أن يقول انه مسلم.

يقول الامام الصادق (ع) : (السلام تحية لملتنا وأمان لذمتنا) (١)

والسلام هو تحية أهل الجنة قال تعالى: (وتحيتهم فيها سلام. .) (٢)

ولهذا جاءت التأكيدات الكبيرة على أشاعة السلام وحسن الكلام)

حتى أنه ورد عن الامام الصادق (ع): (البخيل من بخل بالسلام)(٣)

وللتأكيد على أهمية تخلق المسلم بتحية السلام فقد جاءت الاداب لتؤكد بان من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه.

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٤ ص٥٢٤

(٢) ٢٣ سورة ابراهيم

(٣) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٤ ص٥٢٥

وحتى يحث المسلم نفسه على أن يكون المبتدأ بالسلام جاءت الروايات لتؤكد (ان السلام سبعون حسنة، تسعة وستون للمبتدأ وواحدة للراد) (١).

مع العلم ان الابتداء بالسلام مستحب في حين ان ردّهُ واجب.

قيل لأبي العيثاء وهو من ادباء العصر العباسي وقد فقد بصره في الاربعين من عمره، فسئل يوماً ما ضرك من العمى؟ قال شيئان: احدهما فاتني السبق بالسلام، والثاني ربما ناظرت الرجل فهو يكفهر وجهه ويظهر الكراهية حتى أراه وأقطع الكلام (٢).

وحتى ندرك بعض اهتمام الشريعة بمسألة التسليم، يذكر الفقهاء أنه يجب على المصلي ان يرد السلام حينما يكون في اثناء صلاته. اذا قصده المسلم أو لم يرد السلام آخرون. على أن يكون ذلك بنفس اللفظ المستخدم بالسلام.

ولكي ينظم الاسلام ظاهرة السلام في المجتمع، فقد اكدت الآداب على أنه ينبغي على الصغير ان يسلم على الكبير، ويسلم الواحد على الاثنين ويسلم القليل على الكثير ويسلم الراكب على الماشي، ويسلم المار على القائم، والقائم على القاعد ومع ذلك فقد كان من اخلاق النبي (ص) انه يسابق أصحابه للسلام عليهم. كما كان من اخلاقه (ص) انه كان يسلم على الصبيان ويؤكد أهمية ذلك بقوله (ص) (لتكون سنة من بعدي).

فلنهتم بتحية الاسلام ولنربي أطفالنا وشبابنا عليها. خاصة ونحن قد نجد في بعض المجتمعات ان هذه التحية المباركة قد غابت، وتم استبدالها بالفاظ أخرى، كصباح الخير، أو إستخدام لكلمات أجنبية، تأثراً وإنجراراً وراء الآخرين.

نعم لنشيع السلام في في مجتمعاتنا ومحافلنا. بل حتى ونحن ندخل إلى بيوتنا لأن القرآن أدبنا بذلك في قوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية مباركة طيبة﴾ (٣).

لنشيع السلام، سلام القلب وسلام الاخلاق حتى يعم السلام والخير.

ان مشكلة الانسان اليوم هي السلام.. فلنبدأ بتحية السلام عسى أن يعم العالم السلام، بتحية الاسلام، ونهج الاسلام وأخلاق الاسلام.

---

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص٥٣٦

(٢) مصادر نهج البلاغة - السيد عبد الزهراء الحسيني - ج١ ص٤٥٢

(٣) ٦١ سورة النور

صفّان في سبيل الله

٥٥

من مظاهر عزة الاسلام وقوة المسلمين ووحدتهم، إقامة صلاة الجماعة والجمعة. حيث يبرز المسلمون كصف واحد في حركة واحدة نحو الله تعالى، وهذه المظاهر شدّت اهتمام المستشرقين والمفكرين الغربيين، فسجلّوا إعجابهم وانبهارهم وتأثرهم بحركة المصلين، وتجمعاتهم الجماهيرية المذهلة..

صلاة بدأت من أول صلاة جماعة إمامها رسول الله (ص) ومأمومها أمير المؤمنين (ع). ورعى الاسلام صفوف الجماعة وجاءت الروايات لتؤكد أهمية رصّ الصف في الصلاة واستواء الصفوف وانتظامها، وقد وصف الله تعالى وامتدح المؤمنين بقوله جل اسمه ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص﴾ (١)، صفوف للجهاد متراصه كالبناء القوي يشد بعضه بعضاً. هذا صف للجهاد في سبيل الله، جهاد أعدائه، وهناك صف آخر وهو صف المصلين في صلواتهم، وهو أيضاً صف للجهاد لأنه صف لجهاد الشيطان ومكائده وجهاد النفس الامارة بالسوء..

ومن الأمور المحزنة ان تجد بعض المصلين لا يهتمون بمسألة الصفوف المتراصة وملأ الفرج بين المصلين. فيقف للصلاة دون أن يساوي موقفه مع المصلين الآخرين. بل ربما يبتدأ بصف جديد وهناك فراغات في الصف السابق.

ولهذا جاءت روايات آداب الصلاة لتؤكد كراهية ذلك، واستحباب المبادرة لملأ الصفوف ابتداءً من الصف الأول صفاً فصفاً.

الصف في الجماعة يمثل خندقاً جماعياً لمحاربة الشيطان ولا بد أن تُسد كل الثغرات التي يمكن للعدو أن يستغلها، فيدخل جيوشه من خلالها ويربك عملية الدفاع.

ويرى المفكر الفرنسي المسلم روجيه غارودي والذي حوكم أخيراً بفعل تأثير الخطوط الصهيونية واتهامها اياه بانه عدو للسامية، على أثر أبحاثه وكتبه التي فند فيها

(١) ٤ سورة الصف

الكثير من ادعاءاتهم. هذا الرجل تأثر بصفوف المصلين في المساجد، خاصة وهو يجد أن معظم المساجد مستطيلة الشكل، والمحراب في جهة الضلع الأطول، مما يعني تشكل صفوف طويلة من المصلين، فهو يرى أن في ذلك درساً من دروس الاسلام في تربية الانسان المسلم على أن يكون من السابقين والمبادرين، ويعطى فرصاً كثيراً للفوز بذلك، عبر المبادرة إلى ملأ الصف الأول، وهو بطوله يفسحُ مجالاً لأكبر عددٍ من المصلين. على كل حال هي فكره لطيفة يراها هذا الرجل.

وإن من دواعي اقبال المصلي على الله تعالى، ان ينتظم في صفوف مستقيمة متراصه مع اخوته المؤمنين، مقبلين على الله تعالى يضم دعاءه إلى دعائهم وحركته متفقة مع حركتهم.

ولهذا ينبغي على الامام ان يدعو المصلين إلى الاهتمام بمساواة الصفوف بأن يقول: إستووا او ساووا صفوفكم واستقيموا. وهذه الألفاظ لا تقدح بمسألة عدم جواز أو كراهة الحديث بين الاقامة وتكبيرة الاحرام، لما لمسألةِ استقامة الصف من أهمية.

ان الاستقامة مسألة مهمة، مسألة لو تأملها الانسان المصلي وهو يحرص على استقامة صفوف الجماعة في الصلاة، لينطلق منها إلى أن يكون مستقيماً في حياته المختلفة، مستقيماً مع نفسه أولاً وعلاقتها مع خالقها، مستقيماً مع أهله وذريته، مستقيماً مع اصدقائه ومعارفه، مستقيماً مع مجتمعه..

الا نقرأ في كل صلاة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (١).

ألم يوصي الله تعالى نبيه (ص): ﴿واستقم كما امرت﴾ (٢).

ثم أوصى جميع المؤمنين بقول تعالى:

﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ (٣)...

---

(١) ٦ سورة الفاتحة

(٢) ١١٢ سورة هود

(٣) ١٥٣ سورة الانعام

لا تقاعد في عمر الجهاد

٥٦

كم تشد الانسان تلك الصور الايمانية الرائعة التي زينت بها صفحات تاريخنا الاسلامي المشرق.. صور لاناس اعاروا الله جماجمهم، واوقفوا حياتهم على دين الله، ايماناً به وجهاداً في سبيله. لَم يعرفوا الدفاع عن دين الله مرتبطاً بفترة معينة من أعمارهم، فإذا تجاوزوها تركوا مهماتهم الرسالية وانصرفوا وراء الدنيا وزخارفها وزبرجها..

وكم يتأسف المرء حين يرى البعض ممن بدأ حياته صلابةً في الحق، وعطاءً في سبيل الله وجهاداً مع رسول الله (ص)، وإذا به ينكفيء نحو الدنيا في آخر أيامه ويتجمع عند هؤلاء من الذهب ما يكسَر بالفؤوس!!

كم هو مؤسف ومؤلم، ان يتنكر المؤمن المجاهد لتأريخه فيجعل منه ميزةً يحصل بها على بعض حظوظ الدنيا الفانية! ولسان حاله يقول: كفىَ جهاداً وحرقة على الدين وحماساً من أجل العقيدة ودعونا نأخذ نصيباً من هذه الدنيا وملذاتها ومتعها!!

نعم فبالقدر التي تشدنا الصور الأولى المشرقة للمؤمنين الصادقين الذين رفعوا لواء العمل من أجل عقيدتهم، نجد الصور الأخرى تجعلنا متألمين متعجبين مما آل اليه حال أولئك.

فهل ان للجهاد عمراً زمنياً يقدّم بعده صاحبه أوراقه طالباً أن يمنح اجازة عن مهمته الايمانية؟ كي يمضي بقية سنين حياته وأيامها في استرخاء وهدوء لا يحفل بما حلّ بدينه ولا يأبه بما آلت اليه أمور المسلمين!

قد يفهم البعض المشكلة هكذا، ولنأخذ مثالين لمؤمنين آلوا إلا اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله. فكلاهما صاحبيان بدريان مجاهدان..

الأول هو الصحابي الجليل عمار بن ياسر الذي ملأ ايماناً من قرن إلى قدم، هذا الذي شهد امام عينه استشهاد أمه سميّة (أول شهيدة في الاسلام) وأبيه ياسر في

ساحات تعذيب المشركين القرشيين ـ لآل ياسر ـ.

عمار بن ياسر هذا أوقف حياته في سبيل الله ودفاعاً عن دين الله ورسوله (ص) وبعد عمر حافل بالجهاد والمواقف الصلبة، نجده رافعاً صوته يوم صفين، يقاتل مع أمير المؤمنين (ع) الفئة الباغية يهتف وهو يرتجز ويقول:

اليوم نلقاكم على تأويله كما لقيناكم على تنزيله

وكان عمره قد تجاوز الثلاثة والتسعين سنة!

واستمر في قتاله حتى أصابه العطش، فطلب ماءً فسقي لبناً، فابتسم قائلاً: صدق حبيبي رسول الله (ص)، حينما قال: آخر رزقك من الدنيا ضَيَاحٌ من لبن. والقى نفسه في لهوات الحرب حتى سقط متخضباً بدم الشهادة.

ومثال آخر من يوم عاشوراء.

وكما قلت فانه صحابي بدري عاش مع النبي (ص) وسمع حديثه، وهو انس بن الحارث الكاهلي، وتصف كتب المقاتل هيئة خروجه للحرب: (وبرز رافعاً حاجبيه بالعصابة شاداً وسطه بالعمامة شاهراً سيفه وهو يندفعَ نحو القوم بكل صلابة وبصيرة وإيمَان.

فلما رآه الحسين (ع) بكى وقال: شكر اللَّه لك يا شيخ!!. وقاتل حتى قتل ثمانية عشر رجلاً ثم قتل).

بالمناسبة، فان مجموعة من الصحابة استشهدوا بين يدي الحسين (ع) يوم عاشوراء أو في ثورته (ع) اضافة إلى انس بن الحارث الكاهلي. منهم: نصر بن أبي نيزر من أولاد النجاشي، حبيب بن مظاهر الأسدي، عبدالله بن عبد ربه الانصاري، هاني بن عروة، عبدالله بن يقطر الحميري، زاهر بن عمرو الكندي، جابر بن عروه الانصاري، شبيب بن عبدالله الكوفي، مسلم بن عوسجة الاسدي.

نعم فلا نفهم أن يكون للجهاد عمر تقاعدي يترك فيه المؤمن مهمته ويشطب على تاريخه..

فسلام على المؤمنين الصادقين مع الله ومع عقيدتهم وأنفسهم..

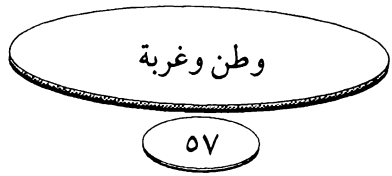

جبل الانسان على حب وطنه، والأرض التي نشأ عليها، وعاش فيها. اذ تشدّهُ اليها ذكريات الطفولة، وملاعب الصبا، وعلاقات حميمة بأهل وأرحام وجيران.

وهذا الانسان يتعلق بأرض قد لا تجد فيها أيّاً من مقومات ومواصفات الحياة الهانئة الطيبة، من ماء عذب أو جوٍ أخّاذ أو خضرة ساحرة.. ومع ذلك نجد ذلك التعلق ونلمس ذلك الشوق...

يقول الشاعر:

بلاد الفناها على كل حالة ... وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

وتُستعذب الأرض التي لا هوى به ... ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ولكن قد يجد الانسان نفسه مضطراً إلى ترك بلاده ووطنه. فيضع عصا الترحال على كتفيه ميمماً شرق الأرض وغربها.. ولعل من الأسباب القديمة الجديدة في ترك الانسان مألفه وداره؛ هو السبب الاقتصادي وحالة قلة ما في اليد.. فلا بأس على الانسان أن يغادر أوطانه، ولو لفترة من الزمن، قد تطول وقد تقصر. ساعياً في ترتيب وضعه من أجل حياة كريمة لا يكون فيها كلاً على غيره ولا ثقلاً على الآخرين. يشعر بنفسه ميتاً وهو في الاحياء. وما أصدق ما وصف علي (ع) به الفقر: (الفقر: الموت الأكبر) (١)

ولهذا قد تبدو بلاد الغربة والمهاجر وطنا اذا وجد فيها المرء ضالته، واغدقت عليه النعم، وتخلص من كابوس الفقر والعوز، حتى إذا تذكر وطنه فانه يتذكر معه حالته المزرية ووضعه المؤلم الذي كان عليه.

ولهذا ورد عن علي (ع) ما يؤكد هذا المعنى: (الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة) (٢).

---

(١) نهج البلاغة- الحكمة ١٦٣ ص٥٠٠ -اعداد صبحي الصالح.

(٢) المصدر السابق-الحكمة ٥٦ ص٤٧٨

قال الشاعر :

بلاد اللّه واسعة فضاهـــا ورزق اللّـه في الدنيـا فسيـحُ
فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

وقد نجد البعض الآخر يفضّل البقاء في وطنه ، يعيش بين أهله وأترابه وأقرانه وان قاسى الفقر وتحمل جشوبة العيش .

ففي مقابل ما ذكرنا من كون الغنى وطن نجد آخرين يفضلون البقاء في أوطانهم رغم كل شيء .

ويقول الشاعرآخر :

ان الغريب ولـو يكـون ببلـدة يجنى اليه خراجُهـا لغريب
وأقل ما يلقى الغريب من الأذى أن يُستذل وان يقال كذوبُ

والأمر يختلف من بيئة لأخرى ومن شعب لآخر . فنجد بعض الشعوب متفاعلة مع مسألة التغرب والتجوال في بلاد الله العريضة . حتى انك قلما تجد بيتاً ليس فيه مهاجر إلى هذه البلاد أو تلك . . في حين تجد شعوباً أخرى ملتصقه بأرضها . لا تكاد تفارقها . وان هي فارقتها لظرف طارىء ، فانها سرعان ما تعود إليها كعودة الحمام إلى أوكاره . .

وما أجمل ما قاله الشريف الرضي وهو يعطي صفة رائعة للغريب :

ليس الغريب الذي تنأى الديار به ان الغريب قريبٌ غير مودود

نعم فوّد الانسان وحب الناس له ، هو الوطن بحد ذاته ، وان كان انساناً غريباً . اما الغريب فهو الذي يعيش مع قوم لا يحبونه ولا ترق قلوبهم عليه . . فهي غربة قد تكون أقسى من غربة الأوطان .

هذا كله اذا كانت الهجرة والتغرب لأمر من أمور الدنيا ؛ من طلب رزق ، أو استزاده رفد . . وأما إذا كان التغرب من أجل الله ، وحفاظاً على الدين ، وفراراً به ، فهي مسألة أخرى لأنها صفقة مع الله تعالى . وتجارةٌ المتعامل فيها على الطرف الآخر جبار السموات والأرض . وهو موضوع غني وكبير يحتاج إلى الكثير من الدراسة والتأمل والحديث عنه ولكننا نكتفي برواية تبين فيها مكانة وموقع المهاجر في سبيل الله .

عن النبي (ص) : (من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وان كان شبراً من الأرض

استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام) (١).

وقد أولى القرآن الكريم في آيات كثيرة، مسألة الهجرة في سبيل الله عناية كبيرة، واعطاها أبعاداً وآفاقاً واسعة. . ونحن بحاجة إلى أن نخرج نظرية قرآنية عن الهجرة.

فهنيئاً لمن يترك وطنه وأرضه مهاجراً في سبيل الله وحفاظاً على دينه!

(١) المحاسبة والاضداد - الجاحظ - ص١٢٥ - ١٢٧ - دار احياء العلوم

اختصاص وتلقيد

٥٨

اقتضت حكمة الله تعالى تنوع حاجات الانسان وتشعبها. وكلما تقدمت المسيرة البشرية في علومها وحياتها، برزت حاجات جديدة. تبرز بدورها الحاجة إلى اختصاصات جديدة تلبي تلك الحاجات وتشبع الرغبة فيها.

وعلى هذا فمسألة ان يرجع الإنسان إلى صاحب الاختصاص، هو أمر طبيعي وعليه تسير الحياة.. فالمرء حينما يشعر بتوعك في صحته واضطراب في وضع بدنه، نراه يلجأ إلى الطبيب المختص. فإذا وجهّه ذلك الطبيب إلى دواء معين وطلب منه التزام اسلوب معين في الطعام والشراب، التزم ذلك المريض بهذه التعليمات وعمل على أساسها.

وحينما يجد الانسان عطلاً في سيارته او يحس بحركة أو صوت غريب في محركها، فانه يبادر إلى من يعتمده من مصلحين. فإذا طلب منه توفير بعض القطع أو تهيأة بعض الادوات، بادر لاحضارها او يوكل إليه امر ذلك ويتقيد بما ينصحه به ذلك الميكانيكي.

وإذا حدث لرجل ان استدعي لمحكمة أو أراد اقامة دعوى على شخص او جهة معينة، فان هذا الرجل يجد من المنطقي والمعقول جداً ان يلجأ إلى محامٍ متضلعٍ بالأمور القانونية. يستشيره فيما يريد ان يقدم عليه من دفاع او ادعاء. ونراه يلتزم بما ينصحه به ذلك المحامي. وكلما كانت القضية ذات اهمية كبيرة، نجد التزامة بالتعليمات والتوجيهات أشد...

وهكذا هي الحياة في صورها المختلفة، أن يرجع الانسان إلى صاحب الاختصاص في مختلف شؤون حياته وانماطها.

وحاجة الانسان إلى معرفة أحكام دينه وتعليمات الشريعة المقدسة، في عباداته ومعاملاته هي حاجة اساسية وكبرى من حاجاته.. فكيف يمكن لهذا الانسان المسلم ان

يعرف هذه الأحكام ويصل إليها اولاً، وليتمكن من تأديتها ثانياً؟ وبالرجوع إلى ما ذكر من أمثلة في رجوع الانسان في شؤون حياته المختلفة إلى أصحاب الاختصاص، فاننا ندرك بسهولة انه لا بد لهذا المكلف الذي يبحث عن الحكم الشرعي وتكليفه على أساسه، ندرك انه لا بد أن يرجع إلى فقيه له القدرة والقابلية على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها. . وهنا يبرز دور المجتهد ويتضح معنى مصطلح التقليد. . فالتقليد هنا ان يرجع غير المختص في معرفة الأحكام الشرعية إلى المختص بها. . كما رجع المريض إلى الطبيب وصاحب السيارة إلى الميكانيكي وصاحب القضية القانونية إلى رجل القانون. .

فالتقليد اذن موجود في كل انماط الحياة، وليس فقط في المسائل الدينية إلا ان التقليد في المسائل الدينية، لا يقتصر فقط على توفر جانب العلم والقابلية العلمية لاستنباط الحكم الشرعي. وإنما تأتي شروط أخرى، من احراز العدالة والتقوى والخوف من الله تعالى. وفي لسان العرب ورد ـ قلّده الأمر ـ تأتي بمعنى ألزمه إياه وتقلّد الأمر اي احتمله(١).

ولهذا نجد ان من الغرابة؛ ما ارتفع من اصوات في منتصف هذا القرن وبعده انه لا حاجة بنا إلى تقليد العلماء الفقهاء. بل يمكن للمرء ان يفتح كتاب الله وكتب الحديث المروية عن المعصوم (ع)، وبذلك يهتدي إلى الحكم الشرعي بسهولة ويسر!!

وهذا قول غريب ولا يستند إلى أساس علمي. لأن لكل علم مقدماته وأصوله ولا بد من الاحاطة بهذه المقدمات، وكثرة الممارسة، ودراسة ظروف كل فقرة وجزء من فقرات وأجزاء ذلك العلم وكيف الربط بينها، لكي يمكن بعد ذلك ان يعرف الحكم في أي مسألة. فهل يكفي وضع كتب الطب أمام كل انسان لم يدرس الطب، ولم يقف على أسراره وقوانينه، لكي يتمكن من وصف الدواء الناجح للمريض!؟

وهل يكفي مجرد الاطلاع على قوانين الاقسام الهندسية المختلفة، وكيفية اشتقاق قوانينها لكي توضع الخطة الملائمة والأسلوب الصحيح في ذلك القسم الهندسي؟.

أم انه بمجرد قراءة في كتب القانون تمكّن الانسان معرفة الاستشارة القانون المطلوبة؟.

ان هذه أمور لا يقرّ بها انسان ولا يعتمد عليها عاقل.

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج٣ ص٣٦٧ ـ دار الفكر

فكيف لا تجوز هذه الأمور في الاختصاصات الدنيوية، وتجوز في الاختصاصات الفقهية؟

ان المجتهد يبذل جهوداً كبيرة في استنباط الاحكام الشرعية ودراسة كل حيثيات المسألة، ودراسة الروايات وظروفها ومقارنتها مع الروايات المعارضة لها، اوالتي تقيدّها. او الأخرى التي تخصصها. وحالات كثيرة اخرى حتى يمكن له ان يصل إلى الحكم الشرعي المطلوب.

اذن فالتقليد حاجة انسانية اقتضتها طبيعة الانسان في رجوعه إلى أصحاب الاختصاص. فالتقليد مسألة عقلية قبل ان تكون مسألة شرعية، وقد أكد القرآن على أهمية الرجوع إلى أهل الاختصاص ﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون. . .﴾(١) في آيتين كريمتين من الكتاب العزيز.

(١) ٤٣ سورة النحل، ٧ سورة الانبياء

المظلوم لا يظلم غيره

٥٩

ورد عن الامام الصادق (ع): (اعدلوا فانكم تعيبون على قوم انهم لا يعدلون)!!

ان من السهل على الانسان الادعاء انه مظلوم، وان الآخرين قد ظلموه.. وقد يكون هذا الانسان صادقاً في دعواه.

ولكن لو رجع هذا المظلوم إلى نفسه وحاسبها مسائلاً؛ يا ترى هل أنا ظالمٌ لغيري أم لا؟

نعم أنا مظلوم لا شك في ذلك. ظلمني ظالم فاغتصب أموالي، ظلمني ظالم فاستولى على أرضي، ظلمني ظالم فشهد ضدي شهادة زور، ظلمني ظالم فاغرى بي حاكماً جائراً فآذاني وعذبني... الخ.

أنا مظلوم لا شك في ذلك، ولكن أجد أني بحاجة إلى أن أسأل هذه النفس، هل اني أكره الظلم كل الظلم؟ أم أكره الظلم الموجه إليّ خاصة؟ إذا كرهت الظلم كل الظلم. كان ليّ أو عليّ فهو الأمر المطلوب وهو السلوك المرغوب.

ولكن ماذا أقول لو وجدت نفسي ظالماً للآخرين. شعرت بذلك أم لم أشعر؟ ظالم لمن هم تحت يدي وسيطرتي.. ظالم لزوجتي في تعاملي معها لا احترم مشاعرها، أعاملها معاملة المالك للمملوك، اضطهدها اسمعها الكلام القاسي واذكر أهلها، أمامها بسوء وهذا ظلم!

وقد أكون ظالماً لأولادي؛ إما بعدم العدالة بينهم فأوثر بعضهم على آخر، أؤسس لوجود العقد والحقد بينهم، وأما بعدم احترامهم وبرهم واحتقارهم ومعاملتهم معاملة كلها قسوة واجحاف وبخل. وهذا ظلم!

وقد أكون ظالماً لهذا العامل الذي يعمل تحت إمرتي اجحفُهُ حقه ولا أفي له باجره، وأُسمعه غليظ الالفاظ ونابيها.. وهذا ظلم! وقد أكون ظالماً وأنا في متجري أظلم المشترين بغشهم وادعاء مواصفات في البضائع غير موجودة. ولا ارعى خلقاً في التعامل ولا أقبل اقالة نادم؛ وهذا ظلم!. وقد أكون ظالماً وأنا في مكتبي ومحل وظيفتي

مهما كان اختصاصي وعملي؛ نعم كم نشجب من أعمال الآخرين، بدعوى انها غير عادلة، فهل نحن ممن يأخذ بالعدالة؟ أجل من السهل على الانسان، وسهل جداً ان يرى عيوب الآخرين. ولكن أين هذا الذي يرى عيوبه ويعترف بذنوبه!؟. وكم جاءتنا روايات واحاديث تنبهنا إلى ضرورة ان نبدأ بعيوبنا وأخطائنا.

قرأت في بعض الكتب مقارنة طريفة تحدث معنا دائماً.. وهي؛ لو أن أحد أفراد العائلة سقط من يده صحن فانكسر، فانك سوف تبادر قائلاً: لقد كسر فلان الصحن: ولكن اذا سقط الصحن من يديك، وسألت ماذا حدث؟ فانك تقول لقد انكسر الصحن!! لا تقول لقد كسرت ـ أنا ـ الصحن!! وإمامنا الصادق (ع) في هذه الرواية يقول لنا انكم تعانون من ظلم الآخرين وتنتقدونهم بانهم ظالمون وهذا قد يكون صحيحاً، ولكن لماذا تمارسون انتم الظلم فيما تعيبونه على غيركم؟

هل يمكن المقارنة بين علي(ع) الذي يمثل الاسلام في كل سلوكه وابعاده، الذي عاش مظلوماً خمساً وعشرين سنة، ولكنه ابى ان يكون ظالماً لغيره حينما جاءته الخلافة والحكم حتى كان ولا يزال أفضل تجسيد للعدالة والاستقامة. فرق كبير بينه (ع) وبين العباسيين، الذين كان يصل إليهم شيء من ظلم الامويين لكنهم انقلبوا إلى ظلمة قساة، ولم يقتصر الأمر على ظلمهم لمن ظلمهم بل وظلموا وبقساوة أشد وبحقد انكى ابناء عمومتهم وساداتهم من أهل البيت (ع). والذّين لولا رفع شعار الانتصار لهم ولمظلوميتهم لما تعاطف معهم المسلمون ولما وصلوا إلى ما وصلوا إليه.

وفي واقعنا كم هناك ممن يرفع عقيرته بالصياح والشكوى انه مظلوم مقهور، فاذا آلت الأمور إليه ملأ السجون وعذب الناس واشاع الخوف والرعب في القلوب.

ثم هناك ممن يظلم إخوانه وأقرب الناس إليه، لأنه قد تبوأ مقعداً فيه بعض المسؤولية فكيف اذا كانت بيده مقاليد الأمور. وملك زمام السلطة وخيلائها؟!

قرأت تحليلاً لا يخلو من عمق وان كان البعض يجد فيه بعض التوقف.. هذا التحليل يقول إن من نعم الله وحكمته أنه لم يستلم الحسنيون زمام الحكم أيام ثوراتهم على العباسيين!! لأننا لا نعلم كيف سيعاملون أئمة أهل البيت المعصومين(ع) وابناء عمومتهم، هل يسلمونهم الأمر أم يظلمونهم!!

انه درس كبير، وموعظة بالغه لكل مظلوم ان لا يكون مخالفاً للعدالة وهو يعيب اناساً وينتقدهم لأنهم لا يعملون بها ولا يرجعون إليها.. ﴿ولا يجرّمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾...(١).

(١) ٨ سورة المائدة

مطارد يخيف الظالمين!

٦٠

كم هناك من صور تنبض بالإيمان والصدق، وتتدفق منها عطاءات الثبات وحسن الاقتداء. نطق بها تاريخ وسيرة رجال صادقين. ترجموا إيمانهم مواقف حق وشمم وإباء. وكم نحن بحاجة إلى تذكر تلك الصور المشرقة واستلهام دروسها وعطاءاتها.. وكم هي حاجة أجيالنا وشبابنا إليها..

ومن تلكم الصور؛ موقف لمجاهد صادق من أهل بيت رسول الله (ص)، وهو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين(ع)، وكان لزيد الشهيد أبناء أربعة هم: يحيى الذي اختفى بعد استشهاد أبيه حتى وصل إلى خراسان ثم قتل في ارض الجوزجان والذي أشار إليه دعبل في تائيته:

وقبر بارض الجوزجان محله وقبر بباخمرا لدى الغربات

والثاني: هو عيسى بن زيد الملقب بمؤتم الأشبال وهو من نتحدث عنه هنا. والثالث: هو محمد بن زيد وهو الذي سأله ولده عن عمه عيسى فوصفه له وانه سقاء في الكوفة. والرابع: الحسين بن زيد الملقب بذي الدمعة.

وعيسى ابن زيد بطل مجاهد كان مع محمد ذي النفس الزكية وأخيه ابراهيم رحمهما الله. كان مع هذين الثائرين على ميمنة جيشيهما، فلما آل أمرهما إلى الشهادة، اختفى عيسى بن زيد في الكوفة متستراً في زي جمال يعمل سقاءً. وراح العباسيون يبذلون قصارى جهودهم في التقصي عنه ومحاولة الوصول إلى مكمنه.. وكان يتحرك في المواسم يلتقي بالثقات من أهل بيته وأصحابه وعلماء الأمة. وله لقاء مؤثر مع سفيان الثوري في أحد مواسم الحج، اجهش فيه الثوري بالبكاء لما اصاب اهل البيت(ع).

وقد بذل المنصور وبعده المهدي، الأمان مع الصلة مراراً، ونادوا في الامصار بان الأمان له، ولكنه لم يبارح حالة الاختفاء والتستر. فالعباسيون كانوا خائفين منه لأنهم عرفوه صاحب الوصية بعد ذي النفس الزكية وأخيه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن. أي انه مشروع ثورة كامن!! نعم ان هذا المجاهد الكبير قد ادرك أن كل ما يبذلونه له مكيدة

ومصيدة، يريدون من ورائها الامساك به والراحة من كابوسه المزعج لهم. نعم إنّ نفاذ بصيرته قد شخصّ موقف العباسيين المحرج هذا فكان يقول لاحد ثقاته: (قد بذل لي من المال ما بذل ووالله ما اردت حين أتيت الكوفة الخروج عليه ولأن يبيت خائفاً ليلة واحدة أحب إليّ من جميع ما بذل لي، ومن الدنيا بأسرها)(١).

كم يمتلك هذا الثائر العلوي من وعي وعمق ادراك، لما يمثله في اذهان ومخاوف الظالمين له. انه يملك رصيداً من الدماء وصرخات الجهاد ومواقف العز والاباء. انه يملك تعاطف الأمة معه باعتباره من الأدلاء على طريق الهدى ومن الورثة لركب المجاهدين والشهداء...

كم هو صادق مع الله ومع نفسه ومع قضيته.. كم هو مستعد لتضحيات تستمر معه طوال حياته مختفياً شريداً طريداً. نعم موقف ليس بالغريب وهو يمتلك ذلك الارث الكبير، ارث المؤمنين المجاهدين الشهداء.

وفعلاً بقي هذا الثائر مختفياً طوال حكم المنصور والمهدي والهادي العباسيين. وقيل بل مات في عهد المهدي. ولما علم المهدي بوفاته سجد شكراً لله على ما تجلّى عنه من هم عيسى بن يحيى ومدى ما كان يشغل فكره فيه.!!

ويمكن ان يكون عيسى بن يحيى هو أول معارض استخدم الجدران لكتابة شعاراته، وشرح ظلامته للامة. حيث تنسب إليه أبيات وجدت في بعض الخانات...

والله ما اطعم طعم الرقاد خوفاً إذا نامت عيون العبادْ
شردني أهل اعتداء وما اذنبت ذنباً غير ذكر المعادْ
آمنت بالله ولم يومنوا فكان زادي عندهم شر زادْ (٢)

فسلام على عيسى بن زيد في سجل المجاهدين المعذبين في الله، والوافدين عليه بسجل حافل من الجهاد والتضحية والعذاب في ذاته.

وقبرهُ الان شاخص قرب مدينة الشنافية في منطقة الفرات الأوسط في العراق. وله تهفو قلوب المؤمنين وإليه تسكن افئدة المخلصين(٣).

وكم نجد أنفسنا بحاجة كبيرة إلى هذه النماذج الايمانية الصادقة، في زمن كثر فيه المنهزمون والتاركون لمسؤولياتهم، والمنكبّون على الدنيا وحطامها الزائل.

(١) مقاتل الطالبيين - ابو الفرج الاصفهاني - ص ٢٧٢
(٢) المصدر السابق
(٣) مراقد المعارف - الشيخ محمد حرز الدين - ج٢ ص١٤٥ - مطبعة النجف ١٩٧١

لا تذموا الدنيا

٦١

اشرف امير المؤمنين (ع)، على بعض اصحابه فقال: ما أنتم فيه؟ فقالوا: نذمّ الدنيا. فقال (ع) بعد ان حمد الله واثنى عليه:

أما بعد: فما بال أقوام يذمّون الدنيا، انتحلوا الزهد فيها؟ الدنيا منزلُ صدق لمن صَدَقَها ومسكن عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، مسجد انبياء الله، ومهبط وحيّه، ومصلّى ملائكته، ومسكن احبائه، ومتجر اوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا منها الجنة(١).

لأول وهلة قد يُظن أن هناك تناقضاً بين قول أمير المؤمنين(ع) اعلاه، وما توارد من الآيات القرآنية والاحاديث الكثيرة عن النبي(ص) وعن أهل بيته العصمة في ذم الدنيا!! بل وحتى احاديث أخرى عنه(ع) في ذم الدنيا. فيقول القائل لا ندري ما نفعل، هل نذم الدنيا ام لا نذمها؟ ولكن في الحقيقة أن لا تناقض بين ما قاله أمير المؤمنين(ع) وبين ما اجمعت عليه ايات وروايات في ذم الدنيا.

إذ أن تلك الآيات والروايات تذم الدنيا حينما يجعلها الانسان هدفاً له في حياته لا يرى غيرها.. هي أملهُ الأول والأخير.. مواقفه على أساس الدنيا علاقاته على أساس الدنيا.. نسي الله ونسي الآخرة.. ان حب الدنيا الذي ورد انه (رأس كل خطيئة) يعني أن تكون الدنيا ومباهجها هي غاية المرء ومقياس سلوكه..

أما إذا جعلت الدنيا كما وصفها رسول الله(ص) في حديثه: (الدنيا مزرعة الآخرة).

أي أن لك الخيار في هذه الدنيا، أن تزرع ما تشاء من رياحين وفواكه وأشجار مثمرة نافعة. ولك ان تزرع الأشواك والادغال. لك الحرية التامة ولكن لتعلم ان ما تزرعه اليوم تحصده غداً!!

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٣ ص٢٩٢

ولهذا فأمير المؤمنين(ع) في مقالته تلك، يؤكد أن الزهد لا يعني ترك الدنيا كما في حديث عنه: (ليس الزهد ان لا تملك شيئاً بل الزهد ان لا يملكك شيء).

قال رجل للامام الصادق(ع): إني أحب الدنيا، فقال له الامام: (تصنع بها ماذا؟) قال: اتزوج منها واحج وانفق على عيالي، وأنيل اخواني. فقال(ع): (ليس هذا من الدنيا بل هو من الآخرة)(١). والامام(ع) انما يؤكد مقالة جده المصطفى(ص): (نعم العون على تقوى الله الغنى)(٢).

فالدنيا يمكن ان تكون منزل صدق لما كان صادقاً مع الله ومع نفسه في تعامله في هذه الدنيا، حيث تشهد عليه مواقفه فيها على صدقه واستقامته. والذي يعتبر بما في الدنيا من عبر ومواعظ ودروس، تكون له دار سلامة وداراً بعيدةً عن الاسقام والأوجاع لأنه اعتبر بعبرها وحصن نفسه من أمراضها.

وبها يستغني الانسان المؤمن حينما يستزيد من الأعمال الصالحة والمواقف الحسنة والتعامل الصادق والخلق المستقيم، فيرفع بذلك مستوى أجره ومقدار حسناته ورصيدها.. فيخرج منها غنياً قد امتلأ بأغلى أنواع الجزاء والأعمال الصالحة يوم القيامة. ثم يذكرهم أمير المؤمنين(ع): أليست الدنيا؛

مسجد أنبياء الله:.. فيها سجدوا وعبدوا، ودعوا إلى ربهم وجاهدوا. ومهبط وحي الله: أين هبط الوحي؟. أليس في الدنيا.. الم تكن الدنيا موضع اهتمام السماء حينما جاء الوحي إلى الأنبياء والمرسلين لينقذوا الناس من الظلماء إلى النور؟ ومصلى ملائكته: وفيها مصلى عباده الصالحين وعلى رأسهم الملائكة المقربون. ومسكن احبائه: أين كان يسكن أحباء اللهَ من أنبياء وائمة وصالحين وعلماء ومجاهدين وشهداء وابرار؟ ألم يكونوا يسكنون في هذه الدنيا؟

ومتجر اوليائه: الدنيا هي المتجر الذي عمل فيه المؤمن ففاز وربح، وربحت تجارته.. بهذه الدنيا وبما يطلب من المؤمن من مواقف وسلوك، استطاع ان يبلغ الدرجات العلى ويغتنم الغنائم الكبيرة، التي رفعت منزلته يوم القيامة. فعن الامام الهادي(ع): الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون(٣).

---

(١) سيرة الأئمة الاثنى عشر- هاشم معروف الحسيني- ص٢٨٨

(٢) تحف العقول- ابن شعبة- ص٤١

(٣) المصدر السابق- ص٣٥٨

وجميل ما قال الشاعر:

لا تُتبع الدنيا وايامها ذماً وان دارت بك الدائرة

من شرف الدنيا ومن فضلها ان بها تستدرك الآخرة

نعم، فبالدنيا ربح المؤمنون الجنة.. فلولا الدنيا لما بلغ اولئك المقربون الدرجات الرفيعة.

إن مقالة أمير المؤمنين(ع)، مقالة يدعونا فيها سلام الله عليه ان نستثمر وجودنا في هذه الدنيا، بأعلى وأفضل درجات الاستثمار. لا نضيع منها أي ساعة بل واية لحظة دون ان نحاول ونفكر في ان تكون طاعة لله تعالى.

وكم هي واسعة رحمة الله تعالى، والتي هيأت لنا ان تجعل من التصرفات والأعمال المباحة الأمور الضرورية لحياة الانسان من؛ أكل وشرب وعلاقات مع زوجة، التي جعلت من كل هذه الأمور مشاريع للعبادة اذا نوى بها المؤمن التقرب إلى الله.

الدنيا متجر أولياء الله. المتجر الرابح هو متجرٌ متنوع البضاعة كثيرها، يبحث دائماً عن كل جديد ومفيد وذا ربح أكثر ليضعه في رفوفه..

يسافر التاجر من أجل تجارته ويتغرب، يسهر الليالي من أجل كثرة الربح. يترك عياله واطفاله اياماً وليالي طويلة، وهو يأمل توسيع التجارة ووفرة الارباح المنتظرة. هل فكرنا بان نملأ متجر حسناتنا من كل ما نقدر عليه من أنواع الأعمال الصالحة؟ هل فكرنا بالأمور ذات الاجر الأكثر والثواب الأوفر، فيما اذا احتاجت إلى سفرة قصيرة لقول كلمة حق أو تأييد مؤمن أو اصلاح ذات البين أو قضاء حاجة ذي حاجة؟

اللهم اجعل الدنيا متجرنا المربح ليوم الوفود عليك يا أرحم الراحمين.

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾(١).

---

(١) ٨٩ سورة الشعراء

لا صلة للرحم المنحرف

٦٢

قال تعالى:

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه﴾(١).

حينما يؤكد الاسلام على سلوك معين ونمط اخلاقي ما، فانه يهدف من ذلك بناء مجتمع متماسك تشيع في اجوائه معادلات التعامل الأفضل بين بني الانسان. وهناك حدود معينة وضوابط خاصة لا تجعل المؤمن متمادياً في نمط معين من السلوك بحيث يتجاوز الخطوط الحمراء الموضوعة لذلك.

فحينما يأمر القرآن بطاعة الوالدين فانه يجعل لذلك حداً، فاذا ما أمرا بالاشراك بالله فهنا لا بد من عدم اطاعتهما. ﴿وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما..﴾(٢).

وحينما يؤكد الاسلام على حسن معاملة الزوجة والأولاد والاحسان اليهم وإغداق المحبة والعطف عليهم، وتأتي في ذلك عشرات الروايات، فان القرآن يشير إلى ضرورة انتباه المؤمنين لئلا تغلب عواطفهم مواقفهم ومبادئهم..

﴿يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾(٣).

وفي آية أخرى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون﴾(٤).

وهناك أمثلة أخرى توضح مدى الحدود والاهداف الكبيرة التي تسعى الشريعة المقدسة إليها وإلى تربية الانسان عليها.

---

(١) ٢٢ سورة المجادلة

(٢) ١٥ سورة لقمان

(٣) ١٤ سورة التغابن

(٤) ٩ سررة المنافقون

ومسألة صلة الرحم، مسألة مهمة في العلاقات الاجتماعية، جاءت آيات عديدة تؤكد ضرورة اتصاف المؤمن بها، وتحليه بهذه المفردة الاخلاقية المهمة. إضافة إلى الروايات الكثيرة والممارسات المتعددة للنَبي(ص) ولأهل بيت العصمة(ع) في تأكيد هذا الجانب.

ولكن أن يصل الانسان إلى مستوى بحيث انه يحتج بصلة الرحم في إعانة ارحامه الظالمين، او تبرير ظلمهم للامة. أو انه يبذّر أموال المسلمين على ارحامه بحجة صلة الرحم، فهذا أمر يخالف الاسس الاخلاقية التي بنيت عليها مسألة صلة الرحم ويتجاوز الحدود التي وضعت لذلك.

ولهذا جاءت الاية التي افتتحنا بها موضوعنا هذا لنقول أنه لا يمكن للمؤمنين ان يبدوا المحبة والتعاطف مع من حارب الله وحارب رسوله (ص). وأفسد في الأرض وظلم الناس، بحجة أنه من الأرحام. . ولهذا نقمَ المسلمون على الخليفة عثمان بن عفان حينما وضع أقرباءه وأرحامه من أصحاب السوابق السيئة في محاربة الاسلام، وضعهم على رؤوس المسلمين. فهذا الوليد بن عقبة الفاسق، جعله والياً على الكوفة ثم خرج بملابس السهرة يصلي بالمصلين فجراً أربعاً بدل الركعتين! وهو مخمور حتى تقيأ في المحراب، وهو ينشد:

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا!!

وهذا مروان وأبوه الحكم بن العاص اللذان طردهما رسول الله(ص) من المدينة، ولم يجرؤ الخليفتان أبو بكر وعمر على مخالفة أمر رسول الله(ص) والسماح لهما بالعودة إلى المدينة، ولكن ما ان آل الأمر إلى عثمان حتى ادخلهما المدينة، وخالف أمر رسول الله(ص). وحينما كان يحتج عليه بعض الصحابة كان يتدرع بانه انما يصل بذلك رحمه. .

ومما أدهشني حادثة أخرى جرت مع إنسان صاحب تاريخ مشرق في دفاعه عن خط الاستقامة ومواجهة المنحرفين، من الطلقاء وابنائهم، والذين ما زالوا يكيدون للاسلام وأهله. وقف مع امامه أمير المؤمنين(ع) مكافحاً، حتى ذهبت إحدى عينيه في حرب الجمل، وضحى باولاده الثلاثة في واقعة صفين، ذلك هو المجاهد الكبير لصحابي عدي بن حاتم طي. هذا الرجل ذو المواقف المشرفة كان هو رئيس قومه وعشيرته بني طي.

وبعد استشهاد الامام الحسين(ع) في كربلاء. خرج المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه الله طالباً بثأر الامام الحسين(ع) ومن قتل معه.. وسيطر على الكوفة وأمصار أخرى، وأخذ يطلب قتلة الحسين(ع)، ومن شارك في قتاله. فذكر له حكيم بن الطفيل السنبسي وهو طائي، فبعث المختار إليه قائده، عبد الله بن كامل لاحضاره، كي ينال جزائه بما كسبت يداه. فهو الذي كمن للعباس(ع) من وراء نخلة وضرب يديه وبراهما، ثم أصاب العباس وأخذ سلبه. كما انه رمي الحسين(ع) بسهم حينما سقط على رمضاء كربلاء..

ولهذا ذهب اتباع المختار فالقوا القبض على ابن الطفيل فذهب أهله إلى عدي بن حاتم الطائي واستغاثوا به وطلبوا منه التوسط لانقاذ هذا المجرم. فكلم عدي بشأنه عبد الله بن كامل كي يطلقه فقال ان امره إلى الأمير المختار. فقال أصحاب عبد الله بن كامل: أنا نخاف ان يشفّع الأميرُ عدّياً في هذا، فدعنا نقتله!! فقال شأنكم به. فنصبوه غرضاً ورموه بالسهام رشقاً واحداً فخرّ ميتاً وكأنه قنفذ من كثرة النبل!

مضى عدي نحو المختار وبينما هو جالس إذ دخل عبد الله على المختار، فسأله المختار عن حكيم بن الطفيل، فقال: قتلتهُ الشيعة وقد غلبتني عليه!! فقال له عدي: كذبت يا عدو الله! ولكنك علمت ان من هو خير منك سيشفعني فيه فبادرت بقتله. فغضب عبد الله وأستوفز(١) لعدي يريد ان يرّد عليه، فوضع المختار اصبعه على فيه آمراً له بالسكوت فسكت... (٢).

هكذا ينقل لنا التاريخ، هذا الموقف الغريب جداً. والبعيد عن تاريخ عدي ومواقفه وسجله الحافل بالاستقامة. فهل ان ذلك ممكن؟ وهل يمكن للمؤمن ان تكون عنده علاقات مع أرحامه أو ابناء عشيرته اعظم من علاقته الايمانية وأهم من موقفه المؤمل منه؟

حتى قال له المختار معاتباً له: يا أبا طريف هل تطلب مني قتلة الحسين(ع)؟!

وفعلاً انه موقف غريب منك أيها المجاهد العتيد، يا صاحب التاريخ الناصع في الدفاع عن الحق وأهله. لعل لك عذراً في عدم نصرة الحسين(ع) في كربلاء! ولكن

---

(١) استوفز في قعدته اذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن. لسان العرب. ابن منظور. ج٥ ص٤٣٠ والمعنى انه تهيأ للرّد عليه

(٢) تاريخ الامم والملوك. الطبري. ج٤ ص٥٣٤. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة

كيف يمكن أن تجد تبريراً لموقفك هذا . . بحيث استغرب منه المختار وسالك سؤال مستنكر كيف تحل لنفسك ان تقف موقف الدفاع والتشفع لاحد المجرمين الذين ساهموا بقسوة وجرأة على سفك دماء كريمة عند الله وعند رسوله (ص)!؟ . .

وأقول: هل من الممكن أن نتخذ نحن أيضاً مثل هذه المواقف غير المؤملة؟ إذا ما دعتنا ذات يوم دواعي القرابة والرحم والعلاقات الأسرية والعشائرية، الى أن نقف مدافعين عن أشخاص مجرمين ومنحرفين . . .

انه درس عميق من دورس التاريخ . . ومن دروس الواقع كذلك!!

وقور عند الهزاهز

٦٣

ورد عن النبي(ص)؛ من خصال المؤمنين: (وقوراً صبوراً رضياً شكوراً . . .).

وعن أمير المؤمنين(ع) في وصف المتقين: (فهو في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرضاء شكور).

وعن الصادق(ع). (ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز صبور عند البلاء شكور عند الرخاء. . .)(١).

أراد الاسلام ان يتحلى الانسان المؤمن بما يمكنه من الصفات التي تساهم في تكامل شخصيته. ولا شك ان في اوليات هذه الشخصية تأتي مسألة الثبات على المبدأ بعزم وإيمان ويقين، في الظروف القاسية والمواقف العصيبة.

فالمفروض في الانسان المرتبط بالله، بالعزيز القوي المتعال، المفروض به؛ أن تكون شخصيتهُ شخصية ثابتة غير مهزوزة، وقدمهُ راسخة غير متزعزعة. ولهذا نجد الله تعالى قد أثنى على تلك الصفوة المؤمنة في الآية الكريمة. . ﴿الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم، فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾(٢).

وهي آية تحتاج إلى وقفة بل وأكثر من ذلك. اذ كيف يمكن صياغة هكذا معادلة اجتماعية!؟ هناك من يخوّف الفئة المؤمنة، خاصة وان هذا التحذير والتخويف والارجاف، جاء بعد تجربة قاسية مؤلمة، وهي واقعة أحد بما خسر المسلمون فيها من شهداء وجرحى، ومستوىً نفسيّ كانوا يعيشونه قبل المعركة. في تلك الأجواء الخانقة سرت مقولة؛ بأن المشركين عادوا لتشكيل قوة جديدة ليُغيروا على المسلمين ويُنهوا وجودهم، ويكسروا شوكتهم ويبيدوا جمعهم. . المتوقع على أفضل حال ان تقول

---

(١) كتاب التمحيص- الحراني - ص٤٣٤

(٢) ١٧٣ سورة آل عمران

الآية ان تلك الاشاعة لم تؤثر على اولئك المؤمنين وبقوا على مستوى ايمانهم وثباتهم لم ينتكسوا ولم يتراجعوا. أما ان تقول الآية ان ذلك الأمر زادهم ايماناً، زادهم يقيناً، وإذا بنفوسهم تمتلأ صدقاً، وإذا بأقدامهم تزداد ثباتاً، وقلوبهم تعمرُ ايماناً... انه لمعنى عميق ومستوى راق من صدق الإيمان وثبات اليقين!

والمؤمن حريٌ بهذه الصفة الرائعة، هذه الصورة المشرقة، الثبات وعدم الارتباك والقلق والتردد في مواطن اللقاء. وحين تزداد الظروف قساوة، والأحوال مرارة.. حينما يحاصر المؤمنون وتدور حولهم دوائر الظلم والاضطهاد فتدلهم عليهم الخطوب والرزايا..

ولهذا أكدّ النبي(ص) وأهل بيته(ع) على هذه الصفة الأساسية في شخصية الانسان المؤمن. ومن الصور الكريمة ما كان عليه انصار الحسين(ع) من ثبات وثقة، بل كانوا يتضاحكون مع اشتداد الأزمة واحتدام المعركة... فقد كان برير يضاحك عبد الرحمن الانصاري وكان حبيب يضحك مبتهجاً.. (١).

وفي مقابل ذلك، كم هو مستهجن وغريب، حالة الانهيار والخور والانتكاسة التي تعتري بعض المؤمنين في ظروف الابتلاء وأيام المحنة. وقد تظلم الدنيا في عين احدهم لمجرد خبر يسمعه أو تصور يتصوره أو فكرة تخطر في باله!!

والقرآن الكريم يتعرض لصفة من صفات المنافقين والمثبطين حينما تذكر الآية القرآنية: ﴿فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور اعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت﴾(٢).

وتُشير آية أخرى إلى هؤلاء المهزومين: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذُكر فيها القتالُ رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾(٣).

ولا زلت أذكر، ان أحد شيبة المسجد الذي كنت أصلي فيه في أوائل شبابي حينما انتهت صلاة العشاء فافتقد مسبحته وكانت من النوع الجيد ولما لم يجدها في جيبه، صرخ مولولاً (انهجم بيتي!). فهو لم يتحمل مجرد فكرة ان تضيع مسبحته فاعتبر أن

---

(١) مقتل الحسين (ع). السيد عبد الرزاق المقرم. ص٢١٦. دار الكتاب الاسلامي

(٢) ١٩ سورة الأحزاب

(٣) ٢٠ سورة محمد

ذلك بمثابة ما يؤدي إلى هدم داره على رأسه!

وحادثة أخرى أيام كنا نمشي على أقدامنا إلى زيارة الامام الحسين(ع) وفي ذات مرة ونظراً للظروف القاسية، فقد اضطررنا ان نفترق على ان نلتقي في احدى حسينيات كربلاء، ووصل الجميع عدا شخص واحد.. وبحثنا عنه وسألنا الكثير فلم نجده، ورآنا أبوه في اليوم التالي وكان أحد أئمة المساجد، وسأل عن ولده فاخبرناه انه تأخر ولعّل السبب يكون خيراً ان شاء الله.. واذا ببصره يشخص وينادي بصوت كئيب: الان قامت قيامتي!

ولم يحدث شيء اذ جاء ولده بعد وقت قليل وهو بخير.. فالتفت لي أحد الأخوة وقال: إذا كان مجرد تأخر ابن هذا جعله يقول ان قيامته قد قامت، فماذا يكون موقف هذا الرجل وأمثاله اذا اشتدت الظروف وعظمت المحنة؟

ان الجبال توازن حركة الأرض وتجعلها مستقرة متزنة، وإن هناك رجالاً في الأمة بمثابة الجبال للأرض. يلجأ اليهم الناس ويستمدون من عزيمتهم وثباتهم قوة على الثبات وحافزاً على الاستقامة..

وعلى المؤمن ان يكون رابط الجأش، ثابت القدم، وقوراً عند الهزاهز.

السفر الهادف

٦٤

من وصية النبي(ص) لامير المؤمنين(ع):

(ليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرمّة لمعاش أو خطوة لمعاد أو لذة في غير محرم)(١).

كم يحاول الاسلام العظيم، أن يرفع من مستوى تفكير الانسان المسلم، ويأخذ بيده إلى كل فضيلة ومكرمة، ولينأى به عن كل منقصة وشين. جاهداً في أن يكون هذا الانسان مراعياً لحق الدنيا، وحق الآخرة، انساناً متزناً مؤمناً عملياً.

وفي ذلك أمثلة عديدة ومصاديق كثيرة.. ولنتوقف عند ظاهرة من الظواهر الاجتماعية كانت مع الانسان منذ القدم وهي ظاهرة السفر. اذ قد يحلو للمرء أحياناً أن يغير وضعه المألوف فيسافر من بلده إلى بلد آخر. والذي يحرك الانسان نحو اسفاره اكثر من هدف وغاية ودافع.

نجد انفسنا أمام هذه الوصية الكبيرة التي تأتي إلى ذهن الانسان المسلم لتصيغهُ صياغةً واعية هادفة. فكن أيها المؤمن وأنت تروم السفر والتجوال في أرض الله الواسعة، كن هادفاً لأحد هذه الأمور الثلاثة..

الأول ـ مرمّة لمعاش: تسافر وأنت تروم ما يعنيك على أمور معيشتك في هذه الدنيا. وقد أولت الشريعة المقدسة مسألة العمل، وضرورة ان يكون الانسان منتجا طالباً رزقه، بعمله وكدّه وعرقه اولتها اهتماماً كبيراً ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾(٢).

ورأى رسول الله(ص) رجلاً يلازم المسجد يصلي، فسأل عنه فقيل: ان له عيالاً. فلما سأل(ص) عن كيفية معيشته، ومن يقوم بأمره. فقيل له: ان له أخاً يعيلهُ ويعيلُ

---

(١) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص١٦

(٢) ١٥ سورة الملك

عياله فقال(ص): أخوه أعبدُ منه!!

وغيرها كثير كثير من التأكيدات على ضرورة العمل وحث الشريعة عليه، وعظيم الأجر الذي وضع على ذلك.

إذن فقد يسافر الانسان لأن طلب المعيشة والرزق الحلال يقتضي أحياناً السفر من بلد إلى آخر يكون مضنة لذلك الطلب ومجالاً للرزق. أو ربما يكون السفر مجالاً للعمل بحدّ ذاته كالتجارة. ولهذا فان من الاسفار المستحبة: هو السفر من أجل التجارة والعمل، وربما يكون من الاسفار الواجبة إذا كانت هناك ضرورة مهمة للامة لا تتوفر إلا عبر التجارة والسفر. وهذا أمر انعكس على الكتب الفقهية حينما تعرضت لموضوع التجارة واقسامهما.

إذن فالمصداق الأول من مصاديق السفر الهادف الذي يهتم به كل عاقل، كل انسان واع، كل انسان بصير، ومن أولى من المؤمن بهذه الصفات؟ المصداق الأول: هو السفر من أجل المعيشة والحياة الكريمة. والمصداق الثاني أو خطوة لمعاد: وهو مفهوم كبير يضم تحت جناحيه مصاديق عديدة، من يسافر لإصلاح ذات البين، أو يسافر لأجل الجهاد في سبيل الله، أو يسافر لأجل دعم الحق وأهله، والسفر من أجل صلة الأرحام، أو السفر من أجل برّ الوالدين، أو السفر أجل الحج أو العمرة أو زيارة المعصومين(ع)، أو من أجل طلب العلم. الذي يدعو الناس إلى الله من خلاله، أو من أجل زيارة أخ مؤمن وإنزال السرور عليه.. وهكذا كل سفر يقصد به وجه الله والنظر إلى يوم الوفود على الخالق الكريم.

ومن الجدير بالإشارة إليه هنا، أنه يمكن أن يكون المصداق الأول - أي الذي هو مرمةٌ لمعاش - يمكن أن يكون كذلك بالمفهوم العام للعبادة، يمكن أن يكون خطوة لمعاد!! إذا نوى الإنسان بالسفر وعمله وجه الله والعمل برضاه.. كذلك يمكن أن يكون المصداق الثالث والاخير كذلك.. والمصداق الثالث وهو أن يكون السفر (لذة في غير محرّم).

انظر إلى عظمة الشريعة، وعمق معرفتها بنفس الانسان. وكيف لا تكون كذلك وهي من الله الذي خلق الانسان وهو يعلم ما توسوس به نفسه. ﴿وهو أقرب إليه من حبل الوريد﴾(١).

(١) ١٦ سورة ق

هل تجد ذلك في دين آخر غير دين الاسلام؟ حينما يراعي كل جوانب الانسان وحاجاته ومنها جانب اللذة في حياته. . حيث لم يكبت الاسلام رغبات الانسان ولذاته وشهواته. كيف وقد وضع لها الطرق الشرعية والصحيحة لتصريفها من دون اثم، ودون اعتداء على الآخرين. وهنا يأتي دليل آخر على عظم الشريعة وسعتها وواقعيتها، حينما يجعل من أنواع السفر الهادف الواعي الذي يهتم به ذوو العقول والمؤمنون، وهو أن يكون السفر في لذة من غير محرم.

سفر من أجل الترويح عن النفس، سفر من أجل طلب النزهة، سفر من أجل تغيير الأجواء الروتينية التي يحياها المرء. سفر من أجل بداية حياة زوجية هانئة حيث يعيش مع زوجته أياماً جميلة بما يصطلح عليه (شهر العسل)، أو سفر تخرج فيه مع أهلك وعائلتك تجدد فيه نشاطك وتوثق علاقتك بهم وتجعلهم ينشدون إليك، سفر من أجل التلذذ بجمال الطبيعة والأجواء الجميلة التي قد يفقدها الانسان في وطنه. وكان المعصومون(ع) يسافرون أحياناً طلباً للنزهة، فقد ورد عن عمر بن حريث قال: دخلت على أبي عبد الله(ع) وهو في منزل أخيه عبد الله بن محمد فقلت: ما حوّلك إلى هذا المنزل؟ فقال(ع): طلب النزهة(١)!!

ما أروع أن نكون هادفين حتى في اسفارنا! هذا الدين يعطي للبدن حقه للروح حقها وللنفس حقها. يعطي للدنيا حقها وللآخرة حقها. اللهم فقهنا في ديننا واجعلنا من الدعاة إليه.

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٤ ص٤٧٦

إذا مدحك مادح

٦٥

إن ارتفاع مستوى الانسان وموقفه الاجتماعي أو الوظيفي، او نمو قدراته المالية او اي مسرب من مسارب شعور الانسان بانه قد وصل منزلة رفيعة، وموقعاً بارزاً متميزاً في مجتمعه وبيئته، ان هذا الأمر ينذر بفقدان التوازن في الشخصية. مما يؤدي إلى جملة تصرفات وسلوكيات غير محبذة.

فلا بد اذن للانسان ان يحافظ على المستوى المتزن في شخصية، ومن ثم علاقاته واساليب تعامله على الآخرين. فما هوالسبيل الى ان يبقى الانسان على الحالة الصحيحة مع ازدياد موقعه في المجتمع ارتفاعاً، وازدياد شخصيته تنويهاً بها، واطراء عليها واشارة مدح باتجاهها؟ هل يعمد إلى أن يذل نفسه اذلالاً لا يرضاه دينه له، كما كان يصنع بعض المتصوفة من تحملهم للاهانات وارتدائهم للثياب الممزقة واستأناسهم بكل من يستهزء بهم او يذلهم؟!

تعالى االى تراجمة الوحي ومعي لنعيش لحظات رائعة مع دعاء مكارم الاخلاق للامام زين العابدين(ع) وهو يرسم بقلم الاسلام الاصيل ملامح ومواصفات شخصية الانسان المسلم الملتزم باحكام الاسلام وقيمه وخلقه!!

(. . واعزني ولا تبتلني بالكبر. وعبدّني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب. . . وهيء لي معالي الاخلاق واعصمني من الفخر. . .

اللهم صل على محمد وآله ولا ترفعني في نفسي درجة الا حططتني عند نفسي مثلها ولا تُحدث لي عزاً ظاهراً الا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها. .)[1].

ما أدق هذه المعادلة الاجتماعية في السلوك الانساني. . لأنه قد يرافق حصول الانسان المؤمن على منزلة رفيعة في المجتمع شيء من الشعور بالرفعة والعلو والتميز على الاخرين، وهذه حالة تكون مقدمة للعديد من أنواع السلوك الخاطىء والتصرفات

(١) الصحيفة السجادية ـ ص٨٦ ـ دار الأضواء

السلبية في التعامل.. لهذا تأتي ضرورة بقاء حالة التوازن والاستقرار فالارتفاع في الانسان يقابله انخفاض في داخل النفس بنفس المستوى. فاذا فرضنا ان الارتفاع كان + ٩٠٪ فينبغي ان يكون الانخفاض كذلك - ٩٠٪ لتبقى الشخصية متزنة، ومع العز الظاهر تأتي ضرورة الذلة الداخلية في النفس نفس المقدار. لاحظ معي ان الامام زين العابدين(ع) في دعائه لم يدع لكي تكون درجة الانخفاض والشعور بالذلة الباطنة أكثر من مستوى الارتفاع والسمو، لأنه قد يتحول إلى انسان يشعر بالذلة في مجتمعه وهو محذور آخر لا ينبغي لشخصية المؤمن الاتصاف به لانه ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾(١).

ثم ان حالة الثناء والمدح من الحالات اليومية التي يتعامل معها الناس فيما بينهم، والمؤمن انسان يعيش هذا المجتمع، فماذا يكون موقف المؤمن اذا مدحه مادح؟ لا ننسى أننا لا زلنا نبحث عن ظاهرة التوازن في شخصية الانسان المؤمن، ماذا يقول المؤمن اذا مدحه مادح؟ ان تعليمات ديننا العظيم تربي المؤمن ان لا يكون ممن يرتاحون للمدح، ويقرّبون المادحين. فموقفه سلبي عموماً تجاه عملية المدح والثناء لان ذلك يشكل مسرباً من مسارب الشيطان في تضخيم الشخصية، وشعور المرء بالاستعلاء على الآخرين. فقد قال(ص): (احثوا في وجه المداحين التراب)(٢) ولهذا نجد ان من ضمن ما اوصى به امير المؤمنين(ع) مالك الاشتر(رض) في عهده الرائع (والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم - اي عوّدهم - على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله. فان كثرة الاطراء يُحدث الزهو وتدني من العزة)(٣). فهو يدعوه إلى أن يربي من حوله ويعلمهم على ان لا يمدحونه وينسبون إليه أعمالاً لم يعملها لان ذلك يؤدي إلى العجب والكبر، وتصاب الشخصية بظاهرة التورم الاخلاقي السيء.. ومن قبل ذلك كانت وصية رسول الله(ص) لأمير المؤمنين(ع): (ياعلي.. اذا اثني عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون)(٤). نعم فهنا تأتي وصية النبي(ص) وهي وصية لجميع المؤمنين، وان كانت موجهة إلى علي(ع) الذي تشرّب

(١) ٨ سورة المنافقون

(٢) المجالس السنية - السيد محسن الأمين - ج٢ ص١٦

(٣) نهج البلاغة - الحكمة ص٤٣١ - اعداد صبحي الصالح

(٤) تحف العقول - ابن شعبة - ص١٧

الاسلام وعاشه منذ صغره لحظة فلحظة مع معلمه الاول خير البشر محمد(ص). في الوصية قول يقال في صفة المدح بان يدعو الله تعالى راجياً منه ومؤملاً بأن يكون أفضل من كل ما يظنه الاخرون بي ويعتقدونه، يظنون بي خيراً فاجعلني افضل منه وحتى لو ظنوا بين غير ذلك، فاجعلني كذلك افضل من ظنهم هذا، اي ليعتقد المسلم انه اهل لكل خير. وفي ذلك دفع الانسان المؤمن ان يكون الافضل فالأفضل في مجتمعه.

ثم قد حذر(ص) من ان يكون هذا الشعور دافعاً للبعض لتقمص حالة الغرور او الفخر، يأتي المقطع الثاني (واغفر لي ما لا يعلمون) اي ان تصرّح امامهم وتسمعهم؛ بأني أعرف نفسي فمع طموحي لأن أكون أفضل حال ومستوى فانا أعلم بنفسي ومطلع على ذنوبي التي لا يعلمها الا الله، ومنه تعالى أدعو بالمغفرة والرحمة.

ثم قد يكون في كلام المادحين، أمر خارج الحقيقة وفيه مبالغة ـ وما أكثرها ـ وزيادة في الثناء فعلّق بقوله(ص): (ولا تؤاخذني بما يقولون).

وكأنه يقول للمادحين: أنا كمؤمن حريّ بكل خير ولي ذنوب لا يعلمها الا الله وأنا لا اغترّ بكل صفة انا لست اهلاً بها مدحتموني بها.

وما أحلى ما روي عن الامام الصادق في هذا الباب حيث يقول(ع): (وما عليك اذا لم يثن الناس عليك. وما عليك ان تكون مذموماً عند الناس اذا كنت عند الله محموداً)(١).

فالمهم عندك ـ أيها المؤمن ـ ان تثق برضا الله عنك، ومحبته لك، ورضاه عن سلوكك.

فيا ليت ما بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب.

وفي أثناء مسير أمير المؤمنين(ع) إلى صفين، مرّ بالانبار، فتلقاه دهاقين الانبار وترجلوا له واشتدوا بين يديه... فقال(ع): ما هذا الذي صنعتموه؟

فقالوا: خلقاً منا نعظّم به امراءنا!!

فقال(ع): والله ما ينتفع بذلك امراؤكم. وانكم لتشقون على انفسكم في دنياكم، وتشقون به في اخرتكم. وما أخسر المشقة وراءها العقاب وأربح الدعة معها الامان من النار)(١).

صدقت كما صدق اخوك رسول الله(ص).

---

(١) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٢٥٩

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ( ) ص..

مجاهدون مخضرمون

٦٦

كم تأخذ بمجامع قلوبنا سيرُ رجال مخلصين مجاهدين. عاشوا حياتهم مواقف جريئة، واستقامة على الهدى. وختمت ايامهم بالشهادة في سبيل الله. . ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[١]. عاشوا ظروفاً مختلفة، وأزماناً متباينة، وعاشوا مع رجال متنوعين، وكان خطهم خطاً واضحاً يقولون بالحق، امرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

وكم نحن بحاجة إلى أن نعيش تلك الشخصيات ونتفاعل معها لأن مواقفها جعلتها حيةً تمنح عطاء وتمنح دروساً. كم نحن بحاجة إلى هذه النماذج الفريدة في زمن الاحباط والخنوع وخلق التبريرات.

ومن تلك الصور الرائعة لأفذاذ مجاهدين - لا زلت أُقف عند ذكرهم بكل اجلال وتقدير - صورة التقطت من ملف يّوم عاشوراء الخالد. . والذي هو يوم من أوضح مصاديق ايام الله تبارك وتعالى في التاريخ.

صورة لرجل من الصحابة المخلصين الصحابي المجاهد زاهر بن عمرو الكندي وهو ممن بايع رسول الله(ص) تحت الشجرة في بيعة الرضوان، والتي كانت بيعة على الموت واستمر هذا الرجل على مواقف الاباء والشمم دافعاً لضريبة الاستقامة على طريق الله. فكان مشاركاً لأمير المؤمنين(ع) في حروبه الثلاث؟ الجمل، صفين والنهروان. وبعد ان اضطر الامام الحسن(ع) لعقد معاهدة الصلح مع معاوية، بقي هذا الرجل مع الخط الأصيل الرافض للتطبيع مع حملة راية الشرك بالامس والمتلبسين بلباس الاسلام ظلماً وعدواناً اليوم. ولهذا كان مع الصحابي الجليل الثاني، الشهيد حجر بن عدي الكندي في انتفاضة على زياد بن أبيه لما بعثه معاوية والياً على الكوفة، معقل التشيع وموضع تلامذة أمير المؤمنين(ع). فلما القي القبض على حجر واصحابه

---

(١) ٢٣ سورة الاحزاب

حتى سيّروهم إلى معاوية فامر بقتلهم في مرج عذراء قرب دمشق، اختفى مجموعة من هؤلاء الثوار، ومنهم ثائرنا وهو زاهر بن عمرو الكندي. ثم شنّت حملة مداهمات في الكوفة بحثاً عن بعض الثائرين، ممن ربّاهم أمير المؤمنين(ع). فاضطر لترك الكوفة رجلان من الصحابة المجاهدين، أولهما: عمرو بن الحمق الخزاعي والثاني - وهو من نريد الحديث عنه - زاهر بن عمرو الكندي. واتجها حتى وصلا أطراف الموصل حيث نزلا قرب جبل هناك، واختفيا في كهف، حتى علم بهما والي الامويين على الموصل فسار اليهما في مجموعة من الرجال. وجرت معركة غير متكافئة حتى شقت بطن عمرو بن الحمق الخزاعي فلم يستطع الهرب. ولما همّ زاهر بالدفاع عنه، قال له: وما ينفعني قتالك عني؟ أنج بنفسك!! وهكذا نجا بنفسه، بعدما أخذ عمرو بن الحمق الخزاعي حتى قتل، وأمر معاوية بحمل رأسه إليه فحُمل من الموصل إلى دمشق وهو أول رأس يُحمل في الاسلام!!!

وبقي زاهر بن عمرو الكندي مختفياً متوارياً لما يقارب العشر سنين من سنة خمسين حتى نهاية عام ستين للهجرة، حينما توجه للحج فالتقى بالحسين(ع) في مكة، وكأنه وجد ما كان ينتظره لإكمال مسيرة الجهاد والصدق. التي بدأها مع رسول الله(ص) واستمرت مع أمير المؤمنين(ع) ثم الحسن(ع) وهذا الحسين(ع) وريث الانبياء والاوصياء يخرج ثائراً ورافضاً بيعة يزيد الفاسق...

نعم وجد في الحسين(ع) ضالته المنشودة فأسرع للالتحاق بركب الشهادة الخالد وكان من شهداء الحملة الأولى يوم عاشوراء والتي سقط فيها خمسون شهيداً من أصحاب الحسين(ع)(١).

ولهذا الشهيد الكبير أمثال في واقعة كربلاء، ممن كانوا مع رسول الله(ص) أو مع أمير المؤمنين(ع) أو معهما(ص) ثم كانوا بلهفة وانتظار ليوم عاشوراء، اليوم الذي كان مسك الختام لحياة الايمان والصدق لحياة الاباء والمجد.

والذي اريد ان اتوقف عنده عندما نّمر على أمثال هذه القدوات المباركة، أنه قد تمر ظروف قاسية على المؤمنين يضطرون فيها للاختفاء والابتعاد عن عيون السلطات الجائرة، يلقون بانفسهم في خضّم هذه الحياة وزحامها، وربما يضطرون إلى امتهان مهن لا تليق بهم كي لا يُعرف امرهم فلا يكتشف توجههم. فاذا ما كانت فرصة لترجمة

(١) وسيلة الدارين في أنصار الحسين - السيد الزنجاني - ص١٣٧

ما يكنون من لهفة للجهاد وما يختزنونه من رغبة في نصرة دين الله، تراهم هم المبادرين يخرجون من هنا وهناك منادين لبيك داعي الله . .

وكم من شواهد على ذلك في تأريخنا وفي واقعنا . .

واذا بوقائع اليوم تُعيد تاريخ الأمس!

نعم ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾[1].

(١) ٢٣ سورة الاحزاب

كن الأفضل

٦٧

ان من يرجع إلى تعليمات النبي(ص) وأهل بيته(ع) في بيان الصفات التي ينبغي للانسان المؤمن ان يتحلى بها ويعيشها، والى النهج الذي داب الاسلام يدعو اليه، نجد انها تؤكد بشكل واضح على أن الانسان المؤمن يعني هو الانسان الأفضل. الافضل في كل مكرمة، الأحسن في كل احدوثة، الأسرع إلى كل فضيلة، الأولى بكل صفة حميدة.

ان من يرتبط بالله ويؤمن بكتابه ويتبع هدى نبيه(ص) وأهل بيته الطاهرين(ع)، ويعرف بذلك بين الناس، ان عليه ان يعطي حق هذه الصفة وهذه المعرفة، ومنها ان يكون المفضل في المكارم، من الأوائل في كل مدحه جليله، من المسارعين السباقين إلى كل ايجابية..

عش معي بعض عطاءات الحديث النبوي الشريف وهو يفاضل بين المؤمنين...

(المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

المؤمن القوي في العلم هو أولى وخير من المؤمن الأضعف علماً. المؤمن القوي في الخلق والتعامل الاجتماعي هو أولى وخير من المؤمن الضعيف فيهما. المؤمن القوي في تخصصه ومجال عمله هو أولى من المؤمن الضعيف فيهما. انها دعوة نبوية بان لا تكتفي بان تكون مؤمناً بل المؤمن الافضل.

لقد كنا نعيش في بلاد علي والحسين(ع) وكان المؤمنون يتميزون على اقرانهم واترابهم بأنهم الأفضل، الأفضل في دراستهم وتعليمهم، الأفضل في تخصصاتهم، الأفضل في اخلاقهم، الأفضل في اطلاعهم على المدارس الفكرية المختلفة، الأفضل في التأثير على المجتمع...

ولم يكن شيئاً غريباً على العلماء الواعين رعايتهم لأصحاب المواهب، والأوائل في دراستهم كما كان يفعل ذلك سنوياً العالم الجليل الشيخ عارف البصري رحمه الله

حيث كان يرعى كل سنة حفلة يُدعى إليها الخريجون الأوائل في الدراسات المختلفة، حيث كان يغلب عليهم الشباب المؤمنون. ومن لم يكن مهتدياً فان تلك الاحتفالات تشكل بداية تحول مبارك في حياته نحو الايمان لأنه قرين العلم. ﴿وقل رب زدني علماً﴾(١).

وهكذا كانت حصيلة خريجي الجامعات. ان خيارهم واوائلهم كانوا من المؤمنين وفي ذلك دعوة صامتة نحو الالتزام بالدين.

وفي رواية عن الامام الصادق(ع)، قال: إنّ أبي (أي الامام الباقر(ع)) حدثني: ان شيعتنا أهل البيت(ع)؛ كانوا خيار من كانوا فيهم. ان كان فقيه كان منهم وان كان مؤذن فهو منهم. وان كان امام كان منهم، وان كان صاحب أمانة كان منهم..)(٢).

وعن الباقر(ع) في وصف شيعته (وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء)(٣).

وكان المفروض في الهجرة أنها تهيأ أجواءً كبيرة وفرصاً مهمة لتوجيه طاقات الانسان المهاجر، وتوسيع مداركه وتجاربه وعلومه وتخصصاته. قال تعالى.

﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة﴾(٤).

فيما هي سعة الطاقة والعلم والامكانات والتجارب.

ولكن يا ترى هل استفاد المؤمنون المهاجرون من الفرص الرائعة التي توفرها لهم أجواء الهجرة وقوانين البلدان التي هاجروا إليها؟ وهل ما زال المؤمنون هم الأوائل والمفضلون والمبرزون في مجالات دراستهم، وتخصصهم، وأعمالهم؟ وفي علاقاتهم ومعاملاتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها؟

إن على المؤمن ان لا يرضى بأن يكون قد بلغ مرحلة ما. بل عليه أن يكون القمة فيها والافضل وليس له أن يهدأ حينما يكون بصفة علمية، بل عليه ان يكون المقدم فيها. وما دام الانسان يفكر في ان يكون الافضل، فهو في تقدم ورقي. وبداية نهايته تبدأ حينما يرضى عن المستوى الذي بلغه، فيقف عنده ولا يسعى لتطوير وضعه وتقوية نهجه، وزيادة تقدمه، في مجال اختصاصه وعمله. وكمصداق حي نجد أن فقهاءنا

---

(١) ١١٤ سورة الكهف

(٢) ميزان الحكمة. الري شهري. ج٥ ص٢٣٤

(٣) تحف العقول. ابن شعبة. ص٢١٢

(٤) ١٠٠ سورة النساء

العظام علماءنا الابرار لا يتركون ابحاثهم العلمية ودروسهم العالية مهما امتد بهم العمر.

ونعيش مرة أخرى مع الامام الصادق(ع) وهو يعطينا تحذيراً عجيباً بان لا يمكن لنا ان نحسب عليهم(ع) وعلى خطهم، وهناك من هو أفضل منا وأكثر تقدماً!!

(ليس مناولا كرامة!! من كان في بلد فيه مائة الف او يزيدون وهناك من هو خير منه...)[1].

نعم ليس من أهل البيت(ع) من كان يسكن في مدينة تعداد نفوسها مائة الف نسمة او اكثر... نعم أكثر وهناك من هو خير منه وأفضل منه وأحسن منه!!

أرأيت ـ أخي المؤمن ـ كيف يربينا أئمتنا(ع) وإلى أي مدى يريدون منا أن نبلغه.. فاين نحن من تعليماتهم(ع)؟ والتي هي تعليمات جدهم المصطفى(ع)، وهي ترجمة صادقة للنهج القرآني العظيم.

﴿سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة...﴾[2]

﴿وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة...﴾[3]

﴿ولكل وجهةٌ هو موليها فاستبقوا الخيرات...﴾[4].

---

(١) سيرة الأئمة الاثنى عشر ـ هاشم معروف الحسيني ـ ص

(٢) ٢١ سورة الحديد

(٣) ١٣٣ سورة آل عمران

(٤) ١٤٨ سورة البقرة

زر أخاك في بيته . .

٦٨

لم تأت تأكيدات على رعاية حق في علاقات الانسان خارج اسرته، كما جاءت على رعاية حَق المؤمن على أخيه المؤمن . . حتى جعلت المؤمن أحياناً كثيرة أقرب إلى المرء من ارحامه بل من امه وأبيه كما روي عن أمير المؤمنين(ع):

(الأخ المكتسب في الله أقرب الأقرباء وارحم من الأمهات والآباء)(١).

وكان بعض المؤمنين يسأل أئمة أهل البيت(ع) عن حقوق المؤمن على أخيه، فيحجم الامام(ع) عن اجابتهم، شفقة على السائل خشية أن يعرف حق أخيه المؤمن عليه، ثم يقصّر فلا يقوى أن يكون بالمستوى الذي يريده الإسلام منه، وهو يرسم سلوكه وعلاقته مع أخيه المؤمن.

ولم تكتف التعليمات المباركة للمؤمن بأن تكون علاقته مع أخيه ضمن دائرة العلاقات العامة ـ إن صح التعبير ـ أي يكتفي بلقائه معهُ في الشارع أو المسجد أو السوق أو محل العمل وغيرها من الاماكن العامة. بل جاءت توجيهات النبي(ص) والأئمة الطاهرين(ع) لتدعوا المؤمن أن يكون إلى أخيه أقرب، وعلاقته به أوكد ومحبته له اشدّ قرباً وصدقاً. وذلك بأن يسعى ليزور أخاه في بيته، لأن زيارتك أخاك في بيته، تجعل علاقتك به تسمو إلى درجة من الصفاء والمودّة والمحبة، لا تقوى علاقتك العامة به في ذلك الشارع أو المكان العام أن ترقى بها وتسمو إليها.

زيارتك لأخيك، تعني أنك قصدته بعلاقتك، ولم تجعل ذلك أمراً عابراً تلتقي به كما تلتقي غيره من الناس. . زيارتك لأخيك في بيته، ترجمة صادقة لمدى تغلغل محبته في قلبك، وعن عمق ما تآلفت عليه قلوبكم وانسجمت عليه أرواحكم.

ولهذا فقد روي عن النبي(ص): (الزيارة تنبت المودة)(٢).

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج١ ص٤٧

(٢) المصدر السابق ـ ج٤ ص٢٨٩

من وصية النبي(ص) لأمير المؤمنين(ع):

ثلاثة من حلل الله: (رجل زاره أخاه المؤمن في الله، فهو زور الله وحق على الله ان يكرم زوره ويعطيه ما سأل...)(١).

وحديث آخر عنه(ص):

(من زار أخاه في بيته: قال الله عز وجل له: أنت ضيفي وزائري عليّ قراك وقد أوجبت لك الجنة بحبك أياه)(٢).

عن الإمام الصادق(ع):

(من زار أخاه في الله، قال الله عز وجل: أياي زرت وثوابك عليّ ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة)(٣).

لاحظ - أخي المؤمن - أن هذا هو ثواب الزيارة التي تكون لله تعالى خالصة لوجهه. لا أن أزور أخي لأني بحاجة إليه، راجياً منه أن يسعى في أمر من أموري - وان كان هو يحصل بذلك على الأجر - ولكن الحديث معي وعن الدافع الذي دفعني لزيارة أخي المؤمن.

وهناك بُعد للزيارة أكبر من مجرد توثيق علاقتك مع أخيك المؤمن - وأنعم بها من خصلة مهمة بحد ذاتها - وهو ان لقاء الأخ مع أخيه، يعني أنه لا بد من حديث يجري بينهما، وأمور تطرح للبحث.. فماذا تكون يا ترى طبيعة حديث المؤمنين.. انه حديث لاحياء أمر الله - بما فيه تقوية عرى الايمان، والتفكير بأمور المسلمين، واشاعة الخير والصلاح في المجتمع. لنتأمل حديثاً عن الامام الباقر(ع):

(تزاوروا في بيوتكم فان ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا)(٤).

وفي حديث آخر عنه(ع): إنما شيعة علي(ع): المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون لأحياء أمرنا)(٥).

وفي رواية عن الإمام الصادق(ع) (تزاوروا فان زيارتكم إحياءٌ لقلوبكم، وذكرٌ

---

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص١٤

(٢) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٤ ص٢٩٧

(٣) المصدر السابق

(٤) كتاب التمحيص - إبن شعبة - ص٤٣٨

(٥) تحف العقول - ابن شعبة - ص٢١٦

لاحاديثنا واحاديثنا تعطّف بعضكم على بعض فان أخذتم بها رشدتم ونجوتم. وإن تركتموها ضللتم وهلكتم فخذوا بها وانا بنجاتكم زعيم)[١].

وهي الزيارات التي يكون فيها احياءاً لأمر الاسلام وتقوية الاوامر الايمانية ودحراً للشيطان وحبائله، وارباكاً للمنحرفين والظالمين، من أعوان ابليس وجنوده. يشير إلى ذلك ويؤكده حديث الامام الكاظم(ع) فتأمله معي:

(ليس شيء أنكى لابليس وجنوده من زيارة الاخوان في الله بعضهم لبعض)[٢].

ولأن الاسلام أدبنا ان نكون مبادرين إلى أعمال الخير والصلاح، فقد جاءت تعليماته المباركة لتؤكد على لسان الرسول(ص): (الزائر أخاه أعظم اجراً من المزور)[٣].

في تأكيد واضح على ضرورة ان يرعى المؤمن حق أخيه وان يفكر بزيارة أخيه في بيته. وجاءت روايات أخرى تحث المؤمن على اكرام أخيه المؤمن حينما يجيء لزيارته ويقصده في بيته.

روي عن الرسول(ص) والأئمة الاطهار(ع) انهم كانوا يبادرون فيزورون المؤمنين في بيوتهم ويتفقدونهم كما كانوا يكرمون من يأتي لزيارتهم في بيوتهم. انها خصلة حميدة وصفة رائعة حينما يقصد المؤمن أخاه ليزوره في بيته، وليس له من هدف إلا رضا الله والعمل بطاعته..

اللهم وفقنا لذلك واجعلنا أهلاً لكل خير ومكرمة..

---

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص٢١٦

(٢) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٤ ص٢٩٧

(٣) المصدر السابق

إياك والكسل

٦٩

كثيرة هي جوانب العظمة، في توجيهات ديننا العظيم، بل كل جوانبه عظيمة ورائعة وكبيرة. انه دين للحياة، دين للرقي والتقدم، دين الازدهار والنمو والعطاء.. انه الدين الذي لما اخذ به الناس أكلوا من بين ايديهم ومن خلفهم، وملؤوا الدنيا علماً وخيراً وبركة.

انه الدين الذي مشى بالمسيرة الانسانية خطوات نوعية كبيرة في كل مجالات الحياة. فكل ما تجده اليوم في عالم التطور والعلوم والافكار كان نتاجاً حقيقياً وأساسياً لمدى ما صنعه الإسلام في نفوس الناس وعقولهم وأرواحهم...

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم..﴾(١).

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾(٢).

والدين الذي يدعوا إلى الحياة واعمارها واستثمار خيراتها هو دين يحارب الكسل والخور ويكره تضييع فرص الخير والعطاء والتقدم. وعلى هذا يمكن لنا ان نؤسس لمعادلة وهي: ان الانسان المسلم كلما ازداد ايماناً بدينه، وفهماً لحقيقة مبدئه، واستيعاباً لأبعاد شريعته كان أكثر نشاطاً، وأعظم حركةً، وأشد حماساً. فهذا أمير المؤمنين(ع) حينما يصف المتقين يذكر من صفاتهم: (تراه بعيداً كسلُه دائماً نشاطه متيناً صبره محكماً أمره..)(٣).

ولهذا أيضاً جاءت روايات عديدة تحذر من الكسل والضجر. ومن هذه

---

(١) ٢٤ سورة الانفال

(٢) ١٥ سورة الملك

(٣) كتاب التمحيص- إبن شعبة - ص٤٤٢

الروايات: من وصية رسول الله(ص) لأمير المؤمنين(ع): (إياك وخصلتين الضجر والكسل فانك إن ضجرت لم تصبر على حق وان كسلت لم تؤد حقاً)(١).

ومن الامام الباقر(ع): (إياك والكسل والضجر فانها مفتاح كل شر..)(٢).

وكذلك عن الامام الكاظم(ع): (إياك والضجر والكسل فانهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة)(٣).

ولو رجعنا إلى الاسلام، وكيف خطط لبرنامج الانسان اليومي، حين يستيقظ عند الفجر فيذكر الله ويبدأ يومه من الصباح الباكر بايمان وانفتاح وتصميم على التفاعل الايجابي مع الحياة. كما ورد عن الرسول(ص).

(بورك لأمتي في بكورها).

نعم بورك لهذه الأمة في بكورها لأعمار الأرض، واستخراج خيراتها، وتربية الانسان، والعمل من أجل سعادة الدنيا والآخرة. كم أثرّت المدينة الحديثة على برامج نوم الانسان، بحيث أخذ يتفنن في أن يكون ساهراً في ليله، تعباناً كسولاً في نهاره، واثناء ساعات عمله، ووردت تحذيرات أهل البيت(ع) من ذلك الانسان الذي يطيل النوم والكسل. فعن الامام الكاظم(ع) (ان الله يبغض العبد النوّام)(٤). أي كثير النوم، دائم الكسل.

إن الإنسان الكسول انسان فاشل في أمر دينه ودنياه. فالاسلام يؤكد ان الانسان الذي يكون فاشلاً بسبب كسله في حياته الدنيوية، فلا يتصور انه سيفوز في الآخرة. كما يحلو للبعض ان يصف الانسان العابد، أو الانسان المؤمن، انه انسان كسول، بعيد عن الحياة ومشاغلها، متوجهٌ بكسله وفشله باتجاه الآخرة كأنه يعوّض عن فشلهِ في الدنيا!!

إن هذا المفهوم خاطىء. وجاءت تعليمات الاسلام لتشجبهُ وتؤكد في نفس الوقت على ان الإنسان الكسول في الدنيا، يكون كسولاً في الآخرة كذلك..

عن علي(ع) في غرر الحكم: (من دام كسله خاب أمله) سواء أمل الدنيا أو الآخرة.

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٨ ص٣٩٣

(٢) المصدر السابق - ج٨ ص٢٩٤

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق - ج١٠ ص٢٦٠

عن الباقر (ع): (الكسل يضر بالدين والدنيا..)[١].

وعنه عايه السلام: (انني لأبغض الرجل يكون كسلاناً عن أمر دنياه ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل)[٢].

نعم هي معادلة هامة في سلوك الانسان.

واضافة إلى هذه التحذيرات ـ وغيرها كثير ـ فاننا نجد في أدعية النبي(ص) وأهل بيته (ع) ـ وهي أدعية أريد بها اصلاح الدنيا كسبيل لحسن ثواب الآخرة ـ ولا سيما في ادعية الامام زين العابدين(ع) والتي تعتبر مدرسة متكاملة، في كل شؤون الحياة ـ نعيش مع الامام زين العابدين (ع) في صحيفته المباركة، وفي دعاء مكارم الأخلاق...

(اللهم صل على محمد وآله.. ولا تبتلني بالكسل عن عبادتك. ولا العمى عن سبيلك، ولا بالتعرض لخلاف محبتك...)[٣].

العبادة بمفهومها الذي يشمل الحياة بكل فعالياتها لأن الاسلام هو دين الحياة وعبادته تشمل الحياة كل الحياة.

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٨ ص٣٩٢

(٢) المصدر السابق

(٣) الصحيفة السجادية ـ ص١١٢ ـ دار الصفوة

بين أصفهان والبحرين!

٧٠

سكنت مدينة الأهواز ما يقارب السنتين، حيث كنت ادرس في حوزتها العلمية، والتزم إمامة الصلاة في مسجد من مساجدها؛ وهو مسجد علي بن مهزيار الاهوازي (رض)، أحد أصحاب الامامين الجواد والهادي(ع). وأثناء تلك المدة عشت مع الكثير من أنماط السلوك وكرم المجاورة كما وسمعت الكثير من الأمثال المتداولة والحكم والقصص.

ولفت انتباهي ما سمعته ذات يوم أحد الشيبة الطيبين وهو يقول: اللهم عمّر اصفهان وخرّب البحرين!! ولا أذكر ما هي مناسبة الحديث بحيث جيء بهذا المثال أو المقولة التي صيغت على شكل دعاء...

فتعجبت ووقفت مستغرباً لهذا الحديث أو الدعاء المتداول، وبادرت بسؤاله: لماذا تدعو على البحرين بالخراب!؟ وهم أهل اسلام وايمان ومعروفون منذ أيام الاسلام الأولى بالتزامهم، وصدق ولائهم. ومنهم العديد من العلماء والفقهاء وعرف أهلها بالورع حتى قيل أن رجلاً عرض عبداً له للبيع، وحينما كان يُسأل عن السبب في بيعه، فانهُ كان يقول: ان فيه عيباً واحداً. هو أنه لا يصلي صلاة الليل!! وأخشى ان يتأثر به أبنائي!! فلم يشتريه أحد!! حتى اضطر لنقله خارج البحرين، حيث تم شراؤه منه. فبعد كل هذا تقول وتدعو: اللهم خرّب البحرين!! فلماذا؟ واذا بذلك الشيخ الوقور يضحك بانشراح ويقول: ولأن البحرين وأهلها ملتزمون فانه يُدعى عليهم بخراب بلدهم!! ثم اردف الشيخ: وأزيدك معلومات بان اصفهان في وقت هذا الدعاء كانت معروفة بفسادها، وكونها بؤرة للنواصب الذين يبغضون أهل البيت(ع) وذلك قبل قرون!!

فازداد تعجبي واستغرابي فرحتُ أقول محتجاً: اذن فعلى قولك كانت مدينة اصفهان مركز فساد في حين كانت البحرين مركز التزام وتقوى، فلماذا تدعو بان تُعمّر

المدينة الأولى وتخرّب الثانية؟!

فعاد إلى ابتسامته وأوضح ذلك لي قائلاً:

ان مدينة الفساد والانحراف اذا عمّرت وازدهرت، فان أهلها لا يتركوها ولا يهاجروا إلى غيرها اذ ليس من مبرر لذلك، فاذا ما بقوا في مدينتهم، فان فسادهم لن ينتقل بانتقالهم إلى بلاد أخرى! وأما بلد الالتزام والاستقامة والولاء، فان بلادهم اذا خربّت، فان هذا سوف يضطرهم للهجرة إلى بلدان أخرى. فإذا ما هاجروا، هاجروا باخلاقهم ودينهم والتزامهم وولائهم... فينتشر بسبب هذه الهجرة الدين والالتزام والولاء!!

فارتحت كثيراً إلى هذا التفسير، والذي يدل على خلاف الظاهر منه. لأنه يختزن وعياً وحكمة من أن الانسان المؤمن، صاحب الهم الرسالي، والالتزام الصادق، ينقل معه التزامه وخطهُ الأصيل أين ما حل وانتهى في بلاد الله العريضة.

وان ما حل ببلاد المسلمين اليوم من مآسي وظروف صعبة، لا سيما ما يجري في بلد محبّي اهل البيت عليهم السلام - والذي كان من نتائج الظروف الظاهرة والظلم الذي بلغ حداً لا يطاق - كان من نتائج ذلك، موجات من الهجرة إلى بلاد مختلفة ومنها البلدان الغربية، حيث التحدي المباشر لأخلاق الانسان المسلم وقيمه فيَ ساحاتَ نفسه واسرته وتربية أولاده وفي مجالات علاقته بإخوانه..

وإذا بالمساجد والمدارس والمؤسسات الاسلامية ترافق موجات هذه الهجرة.. حيث يلتقي فيها المؤمنون لذكر الله واحياء الذكريات والمناسبات وتربية ابنائهم.. حتى عادت مدن أوروبية كبرى مثل لندن، وكأنها مدينة اسلامية، من حيث كثرة المجالس ووفرة الحضور ولا سيما ايام عاشوراء. ولكن هل ان ما يصنعهُ المهاجرون من المؤمنين قادر على المحافظة على وجودهم والتزامهم واستمراره بأبنائهم؟ ان الاجابة على هذا السؤال تختلف من موقع لآخر ومن ظرف لثان.

واذكر ان احد الأخوة من أيام الجامعة والذي استقر به المقام في مدينة ليدز في بريطانيا قال لي ذات مرة، انه ذهب مع مجموعة من الآباء المسلمين إلى ادارة مدرسة، فيها ابناؤهم كي يعفوهم من دروس السباحة والرقص المختلط. واذا بمديرة المدرسة تواجههم بقولها: أنتم لا فائدة منكم!! لأنكم قد نشأتم في بلاد الشرق. واستقمتم على أفكارها. فأنتم ١٠٠٪ لستم لنا.

أما أبناؤكم فانهم ٥٠٪ لنا و٥٠٪ لكم!!

ولكن أبناؤهم - أي أبناء أبناءكم - فانهم ١٠٠٪ لنا!!

إنه تحد كبير أمام كل الجاليات المسلمة المهاجرة إلى الغرب فهل ان الجاليات هناك على قدر هذا التحدي!!

على كل حال.. ان من نتائج هجرة المسلمين عموماً وحملة الهم الرسالي خاصة، توفّر أجواء ايمانية رائعة في بلاد المهاجر والاغتراب للدعوة إلى الله وإقامة الشعائر، ونشر تعاليم الدين الحنيف... ونسأل الله تعالى أن يمكن اخواننا المهاجرين من استثمار ذلك، والعمل بمقتضى مسؤوليتهم الكبيرة التي رافقت هجرتهم إلى شرق الأرض وغربها.

حضارتان

٧١

كنت اتنقل بين قاعات متحف اللوفر في باريس، حيث يخيّل إليك أنك تخترق القرون وتجتاز القارات وأنت تنقل أقدامك من قاعة لأخرى، حيث كانت تعرض آثار الحضارات والمدنيات الماضية.

ولفت نظري شيء رحت اتابعه في تلك الآثار.. إذ أني وجدت أن الحضارات التي تنتمي إلى العالم الغربي؛ كالحضارة الرومانية والاغريقية... وجدت ان التماثيل التي خلفتها تلك الحضارات كان يغلب عليها طابع العري وكشف جسم الانسان، بدون حياء أو تردد..

بينما وجدت أن التماثيل التي تعود إلى الشرق، من حضارة الفراعنة إلى بلاد الرافدين كالبابليين والاشوريين إلى اثار فارس فالهند، وجدت أن هذه التماثيل تماثيل لم تتجرأ كما فعلت آثار الغرب في نحت جسم الانسان عارياً سواء كان ذكراً أو أنثى!

وكأنّ العالم الغربي منذ القدم يحمل لواء المادية، عكس العالم الشرقي الذي فيه أكبر خزين روحي واخلاقي في العالم. والى الآن ورغم كل ما حصل عليه العالم الغربي من تسلط وتقدم وشهرة، فان عالمنا الشرقي هو ملهم الجانب الروحي والأخلاقي.. وهذا ما يشدّ الغربيين وهم يفدون سائحين إلى بلداننا الشرقية حيث يعجبهم ذلك العطر الروحاني المتميز الذي لا يزال يعبق في عالمنا. رغم كل الانحرافات والتجاوزات التي جاءتنا من خلال تأثرنا بتربية وثقافة واخلاق الغرب أنفسهم. واعانهم على ذلك ابتعادنا نحن عن ديننا، وتركنا لحصوننا خالية ولمواقعنا خاوية.

هل لذلك ثمة علاقة بين هذه الظاهرة وبعثة جميع الانبياء (ع) من الشرق.. هل ان أرضية الشرق بذاتها مهيأة لبعث الانبياء من ابنائها؟ أم ان ما في الحضارة الشرقية من اخلاق هو ونتيجة لعمل الانبياء (ع) ورسالات السماء التي ركزت عملها في الشرق؟!

نعم شتان بين قيم الغرب ومفاهيمه وسلوكه وبين عطاء الشرق إلى الغرب من قيم

واخلاق وآداب. بل وحتى لما انتشر العلم من حواضر الاسلام إلى الغرب، فقد كان علماً ممزوجاً بالاخلاق والقيم والاداب والإيمان بالخالق الكريم. ويستحضرني بيتان رائعان للشاعر الباكستاني المسلم إقبال اللاهوري في هذا الاتجاه

أهدت الشام إلى الغرب نبياً هوعف ومواس وصبور
ومن الغرب إلى الشام هدايا من قمار ونساءٍ وخمور

إن القرآن حدثنا عن الأنبياء(ع) وكل من حدثنا عنهم همّ من أبناء الشرق هذا صحيح ان هناك أنبياء لم يقصصهم علينا القران هل ان اولئك الانبياء من الشرق أو الغرب؟

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾[1].

ولكن لم ـ يحدثنا عن نبي بعث في الغرب ـ ان كان هناك نبي قد بُعث من هناك؟.

لماذا كان العفاف والخلق يرافق المسلمين في فتوحاتهم، حينما عمت الحضارة الاسلامية الأرض؟

ولماذا كان الفساد والتحلل الأخلاقي ملازماً للاستعمار الغربي ومصاحباً لامتداده؟

وكم يتفنن هذا الانسان الغربي والذي اصطلح عليه الشهيد الصدر رضوان الله عليه مصطلح (الشيطان الغربي). كم يتفننون في تصدير الانهيار الاخلاقي ويكسبونه عناوين دعائية برّاقة مغرية خدّاعة. مثل حفلات اختيار ملكات الجمال والشركات المختصة بالافلام الجنسية المثيرة، والمدمرة لكل نبض اخلاقي عفيف، وجعل الفن مركزاً على البرنامج التي تنافي الاخلاق وتقتل الفضيلة.

ويلاحظ في بلداننا الشرقية أو الاسلامية، أن أكثر البلدان التصاقاً وتأثراً بالعالم الغربي، لم يكتسبوا ـ من ذلك ـ ويستفيدوا علماً أوصناعة أو تقدماً، بل نجد أن مظاهر الفساد الأخلاقي والانهيار الاجتماعي فيها أكثر من بقية البلدان الأقل التصاقاً بالغرب.

وهذا على عكس ما كانت عليه بلاد الاسلام الملاصقة لأوروبا. إذ ان منها انطلقت العلوم والقيم ومظاهر التقدم كما نجد ذلك في مدن الاندلس، وصقلية والقسطنطينية، فكم سعدت تلك المدن بجوارها لنا وكم شقيت مدننا بجوارها والتصاقها بالغرب

(١) ٧٨ سورة غافر

وحضارته المادية؟

أين انت أيها المسلم الغيور لتحمل لواء العفة والاخلاق والقيم الانسانية الرفيعة إلى كل العالم.

وجميل ما قاله اقبال اللاهوري رحمه الله:

ان هـذا العصر ليـل فأنـر أيها المسلم ليل الحائريـن
وسفين الحق في لج الهوى لا يرى غيرك ربّان السفين

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[1].

(١) ١٤٣ سورة البقرة

قساوة القلب

٧٢

كنت اطالع في كتاب موسوعة العذاب، للأديب المرحوم عبوّد الشالجي، وإن من دواعي الاسى والألم ان نجد بعض ظلم الانسان لأخيه الانسان في أساليب وطرق التعذيب التي يمارسها ضده، وقد جمعتها موسوعة ضخمة في سبعة مجلدات.. لعل ذلك قليل مما استطاع التاريخ تسجيله وسمحت الظروف بابرازه والمؤلف المرحوم الشالجي لم يتعرض لأساليب التعذيب الجديدة التي ابتكرتها المدنية الحديثة.

كنت أطالع هذه الموسوعة، حتى بلغت المجلد الرابع والفصل الأول فيه، تحت عنوان: التعذيب باطعام ما ليس بطعام.. حتى اقشعر جلدي لمدى ما بلغه الانسان من قساوة قلب، وغلظة فؤاد، ونسيان القيم الانسانية والاخلاقية التي أودعها الله تعالى في فطرته..

نعم اقشعر جلدي وأنا أقرأ هذا النص..

(وحارب الأمير زنكي بن خليفة الشيباني، صاحب طخارستان الأمير قماج صاحب بلخ، فانكسر زنكي، واخذه الأمير قماج هو وابنه اسيرين. فقتل قماج ابن زنكي، وجعل يطعم أباه لحمه!! ثم قتل الأب أيضاً...)[1].

يا للفظاعة كيف يصل الأمر بحيث يؤمر الأب بأن يأكل من لحم ولده الذي يقتل أمام عينه!

أهكذا تصل قساوة القلب بالانسان حيث يتجرد عن كل خلق وعاطفة انسانية؟ ويبدو بهيئة تخجل منها الوحوش الكواسر وتصرّف تشمأز منه الحيوانات الضارية..

وغريب أمر هذا الانسان، الذي ما فتأت شرائع السماء تدعوه إلى التخلق بها، يرفع انسانيته ويجذر في نفسه حب الخير وحسن التعامل مع الآخرين. وان يتصف بصفة لين القلب وطهارته وصفائه..

الا نتوقف عند قوله تعالى وهو يخاطب نبيه(ص) اشرف الكائنات وخاتم الأنبياء

(١) موسوعة العذاب- عبود الشالجي- ج٤ ص٨- الدار العربية للموسوعات- بيروت

والمرسلين بقوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[١] يا لهذا الدرس القرآني العظيم، ان المخاطب بالآية هو رسول الله(ص) من عرف بخلقه الرفيع حتى امتدحه الله تعالى ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾[٢]. ومع ذلك فان الله تعالى يريد منا ان نفهم هذا الدرس، ان الانسان اذاً اتصف بغلظة القلب، فان النتيجة الحتمية هي انفضاض الناس عنه، وابتعادهم حتى لو كان رسول الله! نعم حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الحديث عن الباقر(ع): إن للّه عقوبات في القلوب والابدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قساوة القلب)[٣].

فكأن قساوة القلب نتيجة لظلم الانسان وسوء تعامله وخبث سريرته.

وجاءت توجيهات ديننا الكريم لتحبذ للمؤمن أن يكون قلبه رقيقاً طيباً. يتفاعل مع العواطف الانسانية النبيلة. ولهذا نجد ان النبي(ص) تألم من تصرف أحد المسلمين لما مرّ بنساء اليهود والمسبيات على مصارع قتلاهن بعد انتهاء المعركة.. ونادى به ما أقسى قلوبكم!! كما واورد الفقهاء كراهة بعض المهن. وعُلل ذلك بانها تورث قساوة القلب. منها ان يمتهن الانسان مهنة الجزارة، ومهنة بيع الاكفان ومهنة تغسيل الموتى ومهنة دفنهم.

ويحدثنا القرآن أصدق الحديث عن كيفية بلوغ الانسان إلى حالة قساوة القلب بحيث انها تزيد على قساوة الحجارة. يقول القران الكريم وهو يخاطب بني اسرائيل.

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار. وان منها لما يشقّق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾[٤].

أقول.. فهل ان في قساوة قلب الانسان تحقيق لما كانت الملائكة تخشاه وتتوقعه من انزل الانسان إلى الأرض؟

﴿قالوا: اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾[٥].

اللهم انا نعوذ بك ان نكون من القاسية قلوبهم.

---

(١) ١٥٩ سورة آل عمران

(٢) ٤ سورة القلم

(٣) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٨ ص٢٣٨

(٤) ٧٤ سورة البقرة

(٥) ٣٠ سورة البقرة

فقيه . . وفقيه

٧٣

منح الله تعالى العلماء منزلة كريمة حتى قرنهم بنفسه وملائكته :

﴿شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم . .﴾[١]

وأعطوا مرتبة (أمناء الرسل) . .

ومن أهم ما ينبغي للعالم ان يتحلى به، صفة عدم الانخداع بالدنيا والنأي عن الركون إلى الذين ظلموا . فضلاً عن تأييدهم والمشي في ركابهم . .

وكم هي الصورة رائعة، للفقيه وهو يقول كلمة الحق، ولا يخشى في الله لومة لائم . . . يصدع بها لله أمام خلقه . . فيزداد المؤمن ايماناً، وينحدر الظالم واعوانه . . ويحس ذلك العالم بأنه أدّى حق الأمة وحق العلم . وقبل هذا وذلك رضا الله تعالى وحسن ثوابه .

ومن تلك الصور الطيبة موقف أحد الفقهاء، وهو أبو حازم مع طاغية عصره سليمان بن عبد الملك . .

فقد حج سليمان سنة سبع وتسعين للهجرة، فبعث إلى أبي حازم ليحادثه، وكأن الظالم يكتم في نفسه شعوره بأنه قد اعتدى على حرمات الله وظلم عباده . وكان مما سأله به : يا أبا حازم : ماذا تقول فيما نحن فيه؟ فقال : ان آباءك قهروا الناس بالسيف! وأخذوا الملك عنوة . من غير مشورة من المسلمين ولا رضاً! حتى قتلوا عليه مقتلة عظيمة!! .

فانبرى أحد جلساء السوء من أعوان الظلمة وقال لذلك الفقيه : بئس ما قلت يا أبا حازم! فقال أبو حازم : كذبت يا عدو الله!! ان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه . . .[٢] .

---

(١) ١٨ سورة آل عمران

(٢) موسوعة العذاب - عبود الشالجي - ج١ ص٦١ - الدار العربية للموسوعات - بيروت

نعم هكذا فلتكن مواقف العلماء المخلصين يقولون كلمة الحق، تلك الكلمة التي كانت أفضل الجهاد عن الله . .

كما روي عنه(ص): (أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر)[١].

نعم على العالم ان يظهر كلمة الله ورأي الشرع المقدس. ولا تكن الدنيا والخوف على مصالحها أهم من قول الكلمة التي ترفع درجة العالم عند الله وعند خلقه . .

أين هذه المواقف الكريمة التي قد مرت بنا، نستشعر معها الثقة والفخر، ونحس أننا مدينون لها وامثالها في بقاء الدين وديمومة أحكامه.

أين هذه المواقف من مواقف أخرى كانت على النقيض منها. فاذا استشعرنا هناك الثقة، فاننا نستشعر هنا الخيبة. وإذا كان رفيقنا هناك الفخر فالذي ترافقنا هنا المرارة والامتعاظ. والذي يزيد في الاشمئزاز والامتعاظ ان بعض اولئك الذين يسمون بالفقهاء، يخالفون الحق، ويفترون على الله ورسوله. لا لأن هناك خطراً محدقاً يحيط بهم أو أن حرصاً شديداً يأخذ بتلابيبهم - وهم حتى على هذا الاحتمال فان عليهم أن يقولوا كلمة الحق - ولكنهم يتبرعون أحياناً لتزوير الحقائق، ويبادرون بالكذب لا لشيء إلا ليتقربوا إلى هذا الظالم أو ذلك الطاغية . .

كما كان من موقف أبي البختري الذي دخل على الرشيد العباسي وكان عنده طيور. وإذا به يبادر فيروي حديثاً عن رسول الله (ص): (لا سبق الا في خُف أو حافر أو نصل أو جناح) حيث أضيف (جناح) إلى الحديث الذي كان أساسه (خُف أو حافرٍ أو نـصـل)[٢] ليسترضي السلطان عنه. . فماذا صنع الرشيد؟ لقد منحه شيئاً. . وكأنه يشجعه على أن يكذب على رسول الله(ص).

ثم بادر إلى ذبح الطيور!! وقال أنه من أجلها كذب على رسول الله (ص) لا والله يا هذا، لا من أجلها بل من أجلك! من أجل سلطانك ومالك وجائزتك!! وان كنت حريصاً على أحاديث رسول الله (ص) فلم لم تواجه ذلك المفتري الكاذب الذي كذب على رسول الله. بل بادرت إلى مكافئته بجائزتك من الحطام الزائل. .

كم هو قبيح بالمرء أن يقف موقفاً يبيع فيه مبادءه ومنزلته ويتسكع على أبواب أهل الدنيا. .

---

(١) المجالس السنية - السيد محسن الامين - ج٢ ص١٦

(٢) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٤ ص٣٧٢

مر سقّاء بفقيه واقف على باب سلطان ينتظر الاذن في الدخول عليه . فجاء إليه يستفتيه في مسألة . فضجر ذلك الفقيه منه ، ولأنه مشغول الذهن ، لا يزال مفكراً بذلك السلطان ، كيف سيدخل عليه؟ كيف يبيع دينه؟ كيف سيقبض جائزته؟ فردّ عليه بغضب : أهذا موضع السؤال!

ورحم الله ذلك السقاء حينما بادره بسؤال يستهجن به موقفه ، فردّ عليه : وهل هذا موضع فقيه؟ نعم هل هذا مكان يليق بالفقيه ان يقف فيه على باب سلطان طلباً للدنيا وذعافها؟

ما أروع كلمة الحق وما أعظم موقف الصدق .

مجهولون

٧٤

عن الرسـول(ص): (إن الله يحب الأبرار الأخفياء الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يُدعوا، ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى)(١).

عن الصادق (ع): (ان قدرتم الا تعرفوا فافعلوا)(٢).

طلب الشهرة والسعي من أجلها، من الآفات الأخلاقية التي تسيطر على البعض، فتصيّرهم عبيداً لها. فدائماً ما يبحثون عن الأضواء، وكم يرتاحون إذا مدحوا من قبل الآخرين، وكم يأنسوا إذا أشيد بهم أو ذكروا عند الناس باطراء.

وجاء الاسلام ليحذر الانسان المؤمن من ان يكون عمله طلباً للشهرة عند الناس. ولهذا جاءت آيات قرانية واحاديث نبوية وأحاديث لأهل البيت(ع) تحـذر من ظاهرة الرياء والتفاخر.

نعم جاءت تعليمات الاسلام لتربي المؤمن، على أن يحاول جاهداً أن يكون انساناً عادياً، يعمل في صمت، يضحي في صمت، يجاهد في صمت. يعبد الله في صمت. لأن تعامله وتجارته مع الله تعالى، مع من هو أقرب إليه من حبل الوريد. وكم من شخص قد يكون من خيار الناس ومن أورع المؤمنين وأكثرهم عملاً وعبادة، كم من شخص من هؤلاء، وهو مجهول لا يعرفه أحد، لا تسلط عليه الاضواء، لا ينوّه باسمه، ولا يشار اليه. ولهذا جاءت تعليمات أهل البيت (ع) لتحذرنا من ان نحقرّ انساناً، قد يجد فيه البعض مجالاً للاحتقار، لأنه انسان مغمور لا يعرفه اغلبهم، مجهول في مجتمعه، وهو عند الله عظيم، فعن النبي (ص): (ربّ ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه)!(٣)

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٣ ص١٧٠

(٢) تحف العقول ـ ابن شعبة ـ ص٢٥٩

(٣) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٣ ص١٧١

وعنه (ص) أيضاً: (لا يزرين احدكم بأحدٍ من خلق الله، فأنه لا يدرى أيهم ولي الله).

طوبى لاولئك المجهولين.. ذوي العلاقة الوطيدة بالله.. لاولئك العاملين بصمت.. والمضحين بصمت..

ومما ورد في صفات المؤمنين (.. ان شهدوا لم يعرفوا، وان غابوا لم يفتقدوا، وان مرضوا لم يعادوا) [١] وفي الحديث القدسي: (قال الله عز وجل: ان من اغبط اوليائي عندي؛ رجل خفيف الحال ذا خطر، حسن عبادة ربه في الغيب، وكان غامضاً في الناس. جعل رزقهُ كفافاً فصبر عليه، مات فقلّ تراثه وقل بواكيه..)[٢].

وعن النبي (ص) في تأكيد هذا المعنى:

(انّ اغبط أولياء الله عبد مؤمن قليل المال والعيال، ذو حظ من الصلاة. أحسن عبادة ربّه وأطاعه في السرّ وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالاصابع.)[٣].

وكان من سلوك الامام زين العابدين(ع) أنه كان يسافر مع رفقة لا يعرفونه في طريق الحج، يقوم بخدمتهم. فاذا عرفوه انتقل منهم الى آخرين يجهلونه..

فكن فرحاً اخي المؤمن اذا توفقت لعمل وعبادة والناس يجهلونك ولا يعرفونك..

وكان بعض الصالحين يقول ان افضل الايام ايام الاحرام للحج حينما يكون لباسي كلباس الآخرين لا اتميز عنهم فربما كان البعض يهابني لزيي وهندامي. بل وافرح حينما اتلقى جفاءاً من أحد أو استخفافاً من آخرين وانا مجهول الحال عندهم!!

كم من مجهولين من المؤمنين الصادقين، آمنوا برسل الله واوليائه، وجاهدوا معهم. وكم منهم من قتل في سبيل الله ولم يعرفهم انسان ولم يذكرهم ذاكر.. ومهما بلغ الانسان من شهرة فانه الى زوال.. يُنسى اسمهُ يُعفى قبرهُ. وكم هو رائع الدعاء الذي يستحب قراءته عند صلاة الليل حيث اللقاء بالله تعالى والناس نيام:

(صل على محمد وآل محمد وارحمني اذا اشتدّ الأنين وحُظر عليّ العمل وانقطع مني الأمل. وافضيت الى المنون وبكت عليّ العيون. وودعني الأهل والاحباب وحثي

(١) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٦ ص٣٠١
(٢) المصدر السابق- ج٦ ص٣٠٠
(٣) المصدر السابق

عليّ التراب. ونسي اسمي وبلي جسمي، وانطمس ذكري وهجر قبري. فلم يزرني زائر ولم يذكرني ذاكر...)[١].

نعم هكذا مصيرنا جميعاً!!!

ما احلى حياة الانسان العادي البسيط الذي يعيش بلا شهرة يعبد الله بصمت وهدوء.

ذات يوم التفت احد طغاة هذه الامة وهو زياد بن ابيه الى جلسائه موجهاً اليهم سؤاله: من احسن الناس عيشة؟ فاجابه مؤيدوا الظلمة من اصحابه: أحسن الناس عيشة هم الامير واصحابه!!

قال: لا، بل هو رجل، عنده قوت يومه، وبيت يأوي اليه، وزوجة يسكن اليها، لا نعرفه ولا يعرفنا، فاذا عرفناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه!!

انها حكمة خرجت من فم منافق.. والحكمة تؤخذ من اي وعاء خرجت!!

(١) الباقيات الصالحات ـ عباس القمي ـ ص٥٧٩

قريبون منسيّون

٧٥

قيل لابي مسلم الخراساني، والذي يحلو لبعض المصادر التاريخية ان تعطيه صفة الرجل الذي أمات دولة واحيا دولة..

قيل لهذا الرجل: ما سبب خروج السلطان عن بني امية؟ فقال: إنهم أبعدوا اولياءهم ثقة بهم، وأدنوا أعداءهم تألفاً لهم. فلم يصير العدو صديقاً بالدنو، وصار الصديق عدواً بالابعاد!!

ويا لها من كلمة حكيمة!! وهي تحتاج الى دراسة وتأمل.. في علاقاتنا وامتداداتها...

في المسألة جانبان: أصدقاء، واعداء، محبون ومبغضون. وجميل جداً بالانسان ان يفكر في كيفية تحويل الاعداء الى أصدقاء، وتغيير المبغضين الى محبين، وجعل البعيدين قريبين!!

بل ويعتبر ذلك من علامات قوة الشخصية، ومؤشر من مؤشرات النجاح الاجتماعي حينما يفلح الانسان في ان يسعى الى تكثير اصدقائه وتقليل أعدائه..

يقول الشاعر:

تكثّر من الاصحاب ما اسطعت انهم جنود اذا ما استنجدوا وظهور

وليس كثيراً ألف خل وصاحب وان عدواً واحداً لقليلُ

ولكن ان يترك الانسان اخوته واصدقاءه واحباءه، يترك حقوقهم، يهمل مراعاتهم، لايهتم بالمواصلة معهم.. بحجة أنهُ مهتم بتغيير الاعداء الى اصدقاء.. فهذا هو الخطأ الكبير. فما نستفيد ان كسبنا واحداً من الاعداء، ونحن لا نعرف هل سيصل الى مستوى هذا الاخ والصديق الذي فقدناه بسبب إعراضنا عنه، ونسيانه، وترك حقوقه علينا، أم لا يصل الى مستواه من حيث المحبة والانسجام والتاريخ الطيب والمواقف النبيلة؟

عن الامام علي(ع): (لا تضيعن حق اخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فانه ليس لك بأخ من ضيّعت حقه:)[١].

وكذلك ورد عن أمير المؤمنين (ع): (اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.)!![٢].

نعم انه اعجز الناس من يضيع الاخوة والاصدقاء ويفقدهم. ثم هل ان التفرغ لهداية الآخرين ومحاولة كسبهم الى جبهتك؛ تعني أن عليك ان تفرط في اخوتك ومحبتك لهم، وحقوقهم عليك؟

نعم فلا تناقض بين ان تسعى لاصلاح الاخرين وهدايتهم، ومحاولة تحويلهم الى أصدقاء محبين، وبين ان تبقى علاقتنا مع اخوتنا واحبابنا مستمرة بل وتزداد قوة ومتانة.. بل هذه هي المعاملةالصحيحة والناجحة في مستوى التعامل الاجتماعي..

ما احوجنا الى ان نعيد تقييمنا لعلاقاتنا مع اخوتنا واصدقائنا! ما احوجنا الى جلسة محاسبة للنفس كي نعرف كم هو مدى تقصيرنا مع أقرب الناس الينا...

ان الانسان قد يغفل عن اقرب الناس اليه.. يهتم بالاخرين ولا يهتم بالاقربين اليه، يسعى في حوائج الناس، يبادر الى حضور مناسبات العديد من الناس. ويغفل وينسى مناسبات اخوته واعزته واصدقائه.

ولهذا يحذرنا امير المؤمنين(ع): (الجفاء يفسد الاخاء)[٣].

ولو رجعنا الى ما نقل عن ابي مسلم الخراساني، وتعليله سقوط الامويين بذلك النمط من التعامل، فهذا لا يعني ان نغفل عن الاسباب الاساسية الاخرى: التي ادت الى سقوط دولتهم من الظلم والاجحاف وقتل اهل البيت(ع).. واسباب اخرى.

ولكن تبقى تلك المسألة؛ في أن نقرب اعداءنا فلا نكسبهم لجنبنا، ونجفوا وننسى اصدقاءنا واذا بنا نخسرهم.. تبقى تلك حكمة ينبغي التوقف عندها كثيراً. والحكمة ضالة المؤمن...

---

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج١ ص٤٥

(٢) نهج البلاغة ـ الحكمة ١٢ ص٠٠٠ ـ اعداد صبحي الصالح.

(٣) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج١ ص٤٨

التغيير يجدّد النشاط

٧٦

من المشاكل التي يواجهها انسان هذا العصر هي حالة الروتين والرتابه التي عليها حياته وحركته فيشعر الانسان بالسأم والضجر. وقد تتولد من ذلك بعض الاختناقات النفسية المؤدية الى عقد وامراض في عالم الروح والنفس بل وقد ينعكس ذلك حتى على صحته البدنية.

و الاسلام حينما يأتي لمعالجة هذة الظاهرة الاجتماعية، فأنه تارة يعالجها على اساس زرع الامل العميق في النفس البشرية عبر ارتباطها بخالقها الكريم وتوقع ثوابه وحسن رعايته. وان عمله الصالح وافكاره الطيبة محفوظةعند الله ، وان الله تعالى ناصره ومؤيده وبه يستعين واليه يلجأ. ان هذا الشعور المريح الذي ينبغي ان تكون عليه حالة الانسان المؤمن كفيل بامتصاص الكثير من حالات الشعور بالاحباط او الاسى او السأم والضجر.. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فاننا نجد في تشريعات ديننا الحنيف الكثير من الامور التي تهيأ للانسان فرصاً فيها تغيير لنمط حياته واسلوب تعامله، حتى في الامور العبادية. التي نجعلها أمثلة حية في ما يمكن ان نفهمه ونستوحيه من التشريع المقدس..

فالصلاة مثلاً لا نجدها في كيفية واحدة.. فصلاة بركعتين واخرى بثلاث وبعضها باربع ركعات.. ونجد صلاة الجمعة تختلف عن الصلوات اليومية.. فهي ركعتان بدل الاربع وفي الاولى القنوت بعد الركوع وفي الثانية القنوت بعد الركوع ... لتشكل حالة تغير في نمط العبادة الاساس وهي الصلاة.

كما وتخلف صلاة العيد في كيفيتها وكثرة قنوتاتها في ركعتيها وان الخطبة في صلاة العيد تأتي بعد الصلاة بينما الخطبة في صلاة الجمعة قبل الصلاة كما ا ن لصلاة الآيات كيفية اخرى.

وكذلك نجد ان المسافر يقصر من صلاته الرباعية فتكون صلاة بركعتين وهكذا

يشعر المسافر وكأن التغيير قد امتد حتى الى صلاته وعلاقته بربه . . كما نجد في فريضة الصيام برنامجاً سنوياً رائعاً ذا جوانب كبيرة في التربية والسلوك، والتقرّب الى الله، ورفع المستوى الروحي والاخلاقي للمؤمن الصائم . كما أننا نجد؛ ان من الدروس الرائعة التي يمكن استفاداتها من الصيام؛ ان فيه كسر لحالة الروتين التي يعيشها الانسان طوال سنته!! ففي شهر رمضان تتغير مواعيد طعامنا المعتادة، ومواعيد منامنا، ومواعيد حركتنا، وعلاقاتنا الاجتماعية والأسرية . . بما يشعر الانسان فيها بأن تغييراً واضحاً، قد حصل له اثناء الشهر الكريم . كاسراً حالة الروتين والرتابة التي كان يألفها طول سنته . .

ويأتي العيدان . . عيد الفطر وعيد الإضحى ليشكلان حالتين فريدتين من الشعور بالسرور والبهجة والتزاور، وتقوية الاواصر . وأجواء من حالات الارتياح والانفتاح التي تساهم في تغيير حالة الانسان . .

كما لا ننسى مواسم الحج والعمرة والزيارة والتي تشكل نماذج رائعة من السفر المبارك الميمون . فيها تغيير لحالات الانسان وحياته بما يزيد في تقربه الى الله فهو تغيير في نمط الحياة اليومية محفوف بالمزيد من رحمة الله ورضوانه . يعيشه من يوفق لاداء الحج والعمرة، وربما توفر العمرة من اوقات للتأمل، والتجوال في اماكن تاريخ الاسلام الاولى اكثر مما يتوفر في موسم الحج وزحامه ومناسكه المقدسة .

وتأتي زيارة النبي (ص) وزيارة ائمة الهدى (ع) لتشكل مواسم رائعة للتغيير والسفر والانفتاح على الحياة . بما انها فرصة للاستزادة من اعمال الخير والصلاح والمحبة وتوثيق العلاقة مع اخيك المؤمن وانت ترافقه في رحلاتك هذه، او مع اسرتك واهلك .

بل ونجد في يوم الجمعة واعماله وسننه، ما يجعله يوم تغيير اسبوعي تتغير فيه حركة الانسان المسلم . . فيستحب للمؤمن ان يتحف اهله يوم الجمعة بهدية يدخل السرور عليهم بها . . فالروايات تذكر إستحباب إتحافهم بالفاكهة او اللحم ـ وهما مجرد مصداقين يتناسبان وزمن النصّ ـ والا فاتحاف الاهل واهداؤهم له مصاديق مختلفة ومتنوعة مع تنوع الحياة واختلاف انماط اهلها . .

اننا بحاجة الى ان نقضي على امراض حالة الروتين والرتابة في حياتنا اليومية، الزوجية والاسرية، وعلاقتنا مع اصدقائنا واخوتنا . . مستلهمين ذلك من طبيعة التنوع والتغيير في الاحكام الشرعية والعبادات . حاول ان تغير حياتك الزوجية والاسرية

بسفرة عائلية ولوقريبة. او بهدية مفرحة ولو بسيطة.. او بما تستطيع من المباحات التي تجعل علاقتك اوثق وحياتك اكثر املاً واشراقاً.. والمرأة الصالحة تستطيع في منزلها ان تعطي نمطاً جديداً لبيتها حتى مع اثاث المنزل العادية والبسيطة.. تغيير من وضع الاثاث وترتيبها وتنسيقها بما يضفي على البيت نوعاً جديداًونمطاًمحبباً للنفس.. لنكن اناساً مبدعين ومغيرين نحو الاحسن دائماً. وبعض أمثلة الشعوب تقول: التغيير جميل ولو لمجرد التغيير.

ويذهب بعض المختصين بشؤؤن الاسرة والعلاقات الزوجية ان الحياة الزوجية حين تكون دائماً بلا مشاكل لا منغصات، تتحول الى حياة روتينية مملة. ويحتاج الزوجان بين فترة واخرى الى أوقات قصيرة يتخاصمان فيها خصام الأحبة كي تعود علاقتهما بعدها اوثق واشد. هكذا يقول هؤلاء والحكم اليك!!

اعتزال المجتمع

٧٧

ظاهرة اعتزال الناس والعيش مجانباً الاختلاط بهم، والنأي عن المجتمع ومشاكله. من الظواهر الاجتماعية التي برزت على طول التاريخ.. ودائماً ما يفعل ذلك الفلاسفة والمفكرون، او بعض الرجال المرتبطين بالأديان. فيتركون الناس ويعيشون في صومعاتهم ومعابدهم، واماكن خلوتهم. اويلجأون الى أعالي الجبال والكهوف..

وقد تحدث القرآن الكريم، فيما تحدث، عن خبر اولئك الفتية المؤمنين، الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى. ثم هددهم طاغوت عصرهم فقرروا اعتزال المجتمع بعدما يئسوا من استجابة الناس. وتخلصاً من متابعة الظالم لهم وتهديدهُ لهم وهم يعبدون الله..

﴿واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا اللّه فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من امركم مرفقا﴾ (١).

فهل ان العزلة سلوك محبّذ يسلكه المقربون الى الله، والانقياء الورعون من الناس؟ وهل تملك العزلة ـ بحدّ ذاتها ـ قيمة إيمانية وتربوية وقدسية خاصة؟

لو رجعنا الى الروايات فأنا نجد روايات متعددة كثيرة، تحبذ العزلة عن الناس. فقد ورد عن امير المؤمنين (ع) في غرر الحكم:

(العزلةعبادة، العزلة افضل شيم الاكياس، في اعتزال ابناء الدنيا جماع الاصلاح) وغيرها اكثر. وفي روايات اخرى تقرن العزلة بحالة السلامة في الدين والسلامة في النفس..

عن رسول الله (ص) في كنز العمال: (العزلة سلامة)

وعن امير المؤمنين(ع) في غرر الحكم: (السلامة في التفرد، سلامة الدين في

---

(١) ١٦ سورة الكهف

اعتزال الناس. .)

ونعود الى السؤال مرة اخرى. . .

هل ان العزلة ذات قيمة إيمانية سلوكية متميزة؟ فيمكن لنا ان نقول ان افضل المؤمنين هم المعتزلون او في قوة هذه المقالة؟

ان اعتزال الناس ـ بحد ذاته ـ لا يشكل موقفاً إيجابياً. بل يمكن ان نصفه بانه موقف سلبي. لانه ابتعاد عن المجتمع ومشاكله وآثامه ومفاسده. وهو لا يكلف صاحبه ضريبة وان كانت هناك ثمة ضريبة فهي ليست بالمهمة او الكبيرة. .

فاذا فرضنا ان كل مؤمن اعتزل مجتمعة واعتنى بنفسه وصلاحها، فلمن سيترك المجتمع؟ ومن الذي سيتولى توجيهه وتربيته؟

وقد يقول البعض: ان القرآن حينما ذكر اعتزال فتية اهل الكهف، ذكر ذلك كموقف رسالي من قبلهم تجاه مجتمعهم المنحرف وحاكمهم الجائر. نقول هذا صحيح، ولكن بعد ما بذل اولئك المؤمنون غاية جهدهم في هداية الناس ودعوتهم الى الله. فلم يجدوا ملجئاً يهربون اليه من حالة المضايقة والاختناق، الا اللجوء الى الكهف، والاعتزال فيه بعض الوقت حتى يتسنى لهم بعد ذلك التفكير في كيفية معالجة موقفهم تجاه المجتمع. . فلم يكن سلوكاً أساسياً اتبعه اولئك الشبان المؤمنون، بل هو اسلوب لجأوا اليه بعد المضايقة والشعور بالخطر. . .

ولهذا فان القرآن اشار في آية اخرى الى ابي الموحدين ابراهيم(ع). . حيث يذكر القرآن محاججته مع أبيه ومجتمعه، وما اتخذ من أساليب في التصدي لعقيدة الشرك، وكسر الاصنام وابقى كبيرهم. ثم ما جرى عليه من مجتمعه الجاحد، وخاصة القاؤه في النار. وقد ثارت احقادهم على نبيهم. . بعد ذلك يذكر القرآن وهو يتحدث عن لسانه(ع)،

﴿واعتزلهم وما يعبدون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقياً. فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب. .﴾(١).

وقد تكون في ذلك اشارة الى هجرته لوطنه، وكأنها اعتزال بالكامل لذلك المجتمع. فهو اعتزال بعد موقف، بل وقد شكل بنفسه موقفاً. إذ ان هجرة المؤمن بعد عمله وجهاده تعتبر موقفاً.

---

(١) ٤٨ـ٤٩ سورة مريم

ثم اننا لو درسنا حياة الانبياء (ع) في القرآن، لوجدناهم انبياء متحركين في حياتهم ومجتمعهم. بما يواجهونهم ويقيمون عليهم من الحجج، ويدخلون معهم في سجالات ونقاشات وحوارات.

وهذه حياة النبي(ص) امامنا. وحياة ائمتنا(ع) كلها حركة ومواقف تأثير في المجتمع. نعم قد يضطر المؤمن الى تقليص حركته او تحجيمها تبعاً للظروف المحيطة به. ونجد ان امير المؤمنين(ع) شجب موقف اولئك الذين لم ينصروا الحق، ولم يقاتلوا الباطل، واعتزلوا الناس بحجة أن ما وقع فتنة، لا يملكون ازاءها معرفة الموقف المطلوب!!

نعم للاعتزال فوائد في عدة مصاديق فقد يحتاج المؤمن ـ كذلك ـ ان يعتزل مع نفسه ويخلو بها في بعض الاوقات للمحاسبة، وتقييم سلوكه. وهذا شيء مهم ورائع لانه اعتزال من اجل السلوك والعمل كما هو الحال في مسألة الاعتكاف، وسيناقش في موضوع اخر.

ونجد ـ في حالة ثانية ـ أن الاعتزال هو بمثابة توجيه الى الانسان المسلم ان يرعى الله في سلوكه مع مجتمعه. فاذا كان في اختلاطه مع الناس ضياع دينه، ونسيان ما يأمره به ربه فالاعتزال اليه افضل.

فعن الصادق (ع): (اذا قدرت على ان لا تخرج من بيتك فافعل. فان عليك في خروجك ان لا تغتاب، ولا تكذب، ولا تحسد، ولا ترائي، ولا تتصنع، ولا تداهن..)[1].

فان الامام الصادق (ع) يقول لنا. في مفهوم حديثه ـ كن مستقيماً في سلوكك ومعاملاتك وإلا فالاعتزال اليك اسلم.

هذه بعض الامور التي يمكن ان نتصوّر بها تحسين حالة الاعتزال وتحبيذها..

اما ان يكون المؤمن مهتماً باعتزال الحياة تاركاً الناس. لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يقول كلمة الحق، ولا يهدي هذا، ولا يذكر ذاك. فانه ليس السلوك الذي تريده شريعة سيد المرسلين، وليس هو منهج القرآن حينما يعرف لنا صوراً عن جهاد الانبياء والصالحين وسلوكهم.

فعن النبي(ص) انه افتقد رجلاً فسأل عنه فجاءه فقال: يا رسول الله اني اردت ان

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٦ ص٢٩٩ ـ دار الاعلام الاسلامي

آتي هذا الجبل فاخلو فيه فاتعبّد. فقال الرسول (ص): (لصبر أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطن الاسلام خير من عبادته خالياً أربعين سنة)[١].

ولهذا عللت الاحاديث التي فضلت العالم على العابد. بأن العابد همّه انقاذ نفسه، بينما يكون همّ العالم انقاذ الناس.. واين يقف من يفكر بانقاذ نفسه، مع من يفكر بانقاذ الناس؟!

ولهذا يصرح رسول الله(ص) بتفضيل المؤمن الذي يخالط مجتمعه فيكون منارة للهدى ودعوة في سلوكه وتعامله للاسلام على ذلك المؤمن المعتزل لمجتمعه..

(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذا هم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذا هم..)[٢].

الاسلام صاحب النهج لا يجابي في رسم علاقة المؤمن لمجتمعه لا الاسلوب السلبي في التعامل. وان لكل مؤمن موقع في مجتمعه فلا يضيع ذلك الموقع ولا يخليه لغيره..

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٦ ص٣٠٢ - دار الاعلام الاسلامي

(٢) المصدر السابق - ج٦ ص٣٠٠

الاعتكاف . . دعوة للتأمل

٧٨

كم تشغلنا الحياة بصخبها وضوضائها؟ وكم تعركنا الايام في مشاكلها ومصاعبها، وكم تغمرنا الليالي بامواج آلامها وغمومها. كم هي المشاغل وكم هي المشاكل؟!

وكم هي طموحات الانسان . . لا ينتهي من طموح حتى يتقد في نفسه طموح آخر، . . وما اوسع مشاريع الانسان . . . لا يكاد يفرغ من مشروع حتى تبدو له ملامح مشروع آخر . .

الكل في دوامة . . . (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه . .)[١].

وفي خضم هذه الانشغالات التي لا تترك فجوة من فراغ، ولا فسحة من تأمل، ولا راحة للّبال، من تراكم الاعمال والمشاريع واشتباك الطموحات والامنيات.

في كل ذلك، ما أحوج الانسان، اى انسان. الى ساعة تأمل. . الى ساعة مراجعة، الى ساعة محاسبة. . الى وقت يخلو فيه مع نفسه. يقوّم ما سلف من مواقفه، ويفكر فيما يأتي منها. . .

عن أمير المؤمنين (ع): ما احق بالانسان ان تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل، يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها، . .[٢].

ان الانسان الناجح بالمنظار الاخروي، ومن أراد ان تكون له عاقبة حميدة، ولقاء حميد مع الله تعالى فان عليه ان يفرّغ لنفسه اوقاتاً يخلو فيها ونفسه. . والا ستسير به الحياة وهو في غفلة!

وكذلك الانسان الناجح بالمنظار الدنيوي، ان اراد له مستقبلاً مزدهراً وحياة ناجحة فعليه ان يخلو مع نفسه مفكراً مقيماً ومخططاً. . في حاضره وماضيه ومستقبله. ان

---

(١) ٦ سورة الانشقاق

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٢ ص٢٠٧ ـ دار الاعلام الاسلامي

ساعة من التأمل كفيلة بحل العديد من مشاكلنا، وتقليل الكثير من آلامنا. وكم من فكرة رائعة جاءت بعد تأمل. نعم إن (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) كما ورد في الأخبار، نعم كم من نظرية علمية كانت نتيجة للحظة تأمل. . كم من تغير في منهاج الحياة واسلوبها جاء بعد وقفة محاسبة ودراسة!!

ينقل عن إبن سينا، انه اذا ادلهمت عليه المسائل العلمية. وانتهى الى طريق مسدود في وصوله الى حل معضلة في ابواب العلم. . فانه يأوي الى المسجد، يبتعد عن الناس. . يخلو مع نفسه في بيت من بيوت الله. . يعتكف بعيداً عن مشاغله اليومية. نائياً عن برامجه الروتينية. . مفارقاً اهله وعياله. . مغادراً اصدقاءه وتلامذته وأحباءه. يصفو ذهنه، في ساعات الهدوء والوحدة. . تسمو نفسه في اوقات التفرغ والتأمل فلا يلبث الاوقتاً يسيراً حتى يهتدي الى حل لمشكلته ومعضلته. .

ولهذا فان للاعتكاف ابعاداً كثيرة مباركة. وانّ من اروع اثاره وفوائده هو ما يضعه بين يدي المعتكف من فرصة ذهبية، لأن يغادر حياته المعتادة، وارتباطاته اليومية، وعلاقاته التي يألفها وتألفه. . يترك كل ذلك مع فرصة رائعة للتأمل والدراسة والمحاسبة.

هل جرّبت ان تعتكف في بيت من بيوت الله؟ تناجي ربك تعترف بذلك؟ تحاسب نفسك تلتفت الى الوراء لتنظر كيف مضت ايامك؟ ثم تعود الى نفسك معترفاً مقيماً مصمماً على ان تنظر نظرة اخرى الى مدتك الباقية في هذه الحياة. . .

تجربة حرية بأن تخوضها. فرصة مغرية للتأمل والانفراد عن الناس ومشاغلك. عالم آخر تحياه تجعلك تعود الى عالمك المألوف بروح جديدة ونفس جديد ورؤية جديدة.

انه وجه ايجابي لمسألة اعتزال المجتمع. . ولكنه اعتزال ايجابي يعود على نفس المعتزل وعلى مجتمعه بالخير واليمن والاستقامة. .

ان الاعتكاف ليس هروباً من الحياة. . بل هو وقفة قصيرة مع النفس لتعود خيراً ونفعاً للحياة. .

ما اجمل الانصاف

٧٩

كم جاءت من تعليمات الشريعة السمحة، تدعو الانسان المسلم فيها ان ينظر الى عيوبه واخطائه وهفواته، قبل ان ينظر الى عيوب الاخرين واخطائهم وهفواتهم..

بل قد يرى الانسان امراً ما في انسان مقابل عيبا ولا يرى ما فيه هو من تلك العيوب أو شبهها.. ينتقد الاخرين على صفة هو متصفٌ بها، وعلى عمل هو يمارسه!؟

ونفس الانسان، تسعى لان تغضّ طرفك عن اخطائك وعيوبك.. وكم يتعجب احدنا ان جاءه احد اخوانه لينبهه على خطأ ما او يحذرهُ من مغبّة سلوك ما.. يتعجّب ويقول: معقول هل ثمة اخطاء عندي؟ ولسان حاله يقول: إني معصوم عن الخطأ!

وهكذا يعيش الانسان حالة اعتداد خاطئة بنفسه، بأنه مستقيم ولا خطأ عنده. ولو كان عنده خطأ فانه من الاخطاء اليسيرة.. واذا خلا بنفسه ذات يوم، فانه بحمد الله انه ـ حسب مقياسه ـ من خيرة الناس وخيرة المؤمنين. وانه من النماذج الرائعة التي هذبت نفسها وحسّنت اخلاقها، وأنه من المصاديق الايمانية النادرة التي لا تزال موجودة في المجتمع!!

ولهذا كم هو جميل في الانسان ان يكون واقعياً مع نفسه، وهو ينظر الى ممارساتها، وكم هو أجمل منه ان يستقبل تنبيه الاخرين له ونقدهم ـ حتى القاسي احياناً ـ يستقبله بروح ايمانية شاكرة وهو يجسد ما روي عن الامام العسكري (ع): (أحب اخواني من اهدى اليَّ عيوبي!!)[1].

وقد يكون في سلوك احدنا مع الاخر وحديثه معه، ما يجعله يعتقد انه سلوك طبيعي عادي. فاذا ما واجهه الاخر بنفس السلوك تشنج منه وتأثر به سلبياً!

مرّ رجل بحيّ، فصادفهُ رجل يحمل شيئاً على رأسه فناداه قائلاً: اين سيد الحي يا اسود؟! فقال من هنا يا اصلع!! فقال له الرجل: اولست اسوداً لماذا غضبت؟ فردّ عليه: وانت الست اصلعاً فلماذا انزعجت!. فقال له الرجل: لقد اغضبك الحق! فرد عليه: وهو الذي اغضبك انت!

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج١ ص٥٨ ـ دار الاعلام الاسلامي

وهي محاورة طريفة، توضح ان الانسان يتحدث مع آخر بأمر، يعتقده امراً عادياً لا يثير حفيظته. ولكنه ان سمع هذا الآخر يحدثه بمستوى حديثه فان الغضب يعتليه ويغلب عليه.

بل ان البعض الاخر يجعل من سلوك المقابل مانعاً لبعض حقوقه الاجتماعية. ولكنه لا يلتفت الى انه نفسه مبتلى بذلك النمط من السلوك ويحاول - حين يواجه بحقيقته ان يجد لها تبريراً وان كان واهياً. وما اسهل التبرير عند الكثير من الناس!!

وفي هذا الباب تذكر بعض كتب الادب أنه قد مثل رجل للشهادة أمام احد القضاة المسمى سوار. فقال له القاضي: ما عملك؟ فقال: مؤدب - اي معلم - فقال له سوار القاضي: لا نجيز شهادتك، لانك تأخذ على تعليم القرآن أجراً!!.. وهذا يقدح في عدالتك:

فبادرة الرجل مستنكراً: وأنت تأخذ على القضاء أجراً!!. فهل ترد شهادتك؟

فأحرج القاضي وحاول ان يبرر موقفه قائلاً: انهم اكرهوني على تولي منصب القضاء. اي لم يكن الامر باختيار ورغبة.

فبادره الرجل بالحقيقة قائلاً: لقد اكرهوك على القضاء - كما زعمت - ولكن هل اكرهوك على أخذ الاجر؟ فسكت القاضي ولم يجد بداً من قبول شهادته وهكذا كان!!

كم هو حسن ان يرى الانسان الاخرين ويقيمهم على ما يرى عليه نفسه ويقيمها ان انصاف الناس من نفسك صفة من افضل واجمل صفات المؤمنين...

نسأله تعالى التوفيق لذلك:

وما احق ما قاله الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

ولنرجع الى انفسنا ونسأل: كم من انتقادات نوجهها للاخرين على سلوك ونمط حياة، ولعل ذلك موجود فينا. ولكن عين الرضا عن النفس، والنظرة الاستعلائية على الاخرين، تمنعنا من ان نقف موقف صدق مع انفسنا، لنقف بعد ذلك موقف صدق مع الناس...

وورد عن الامام الصادق (ع): ان اشد ما فرض الله على عباده ثلاث...

منها: (انصاف الناس من نفسك) (١).

ولا ننسى ما نبهنا القرآن الكريم عليه (فلا تزكوا انفسكم هو أعلمُ بمن إتقى) (٢).

---

(١) وعي القرآن - الشيخ محمد مهدي الاصفي - ج١ ص٣١

(٢) ٣٢ سورة النجم

إقالة العثرات

٨٠

ورد عن رسول الله (ص): اقيلوا ذوي الهناة عثراتهم[١].

ان روح التسامح والتغاضي عن أخطاء الاخرين وزلاتهم، والتعامل معهم على أساس من الخلق الرفيع والنبل، هي من الصفات الايمانية والانسانية الراقية، التي يتحلى بها النماذج الكريمة من بني الانسان. . . وجاءت وصايا النبي الكريم (ص)، لتؤكد على ان من اقال عثرة مؤمن، أقال الله عثرته يوم القيامة، والعثرة هنا تعني السقطة، أي التصرف غير المرتقب، والتعامل غير المنتظر، من الاخ المؤمن والزلة غير المتوقعة من منحى سلوكه المعتاد. . فهنا ماذا يملك المرء اذا واجههُ اخوهُ بنوع من التصرف الغريب أو الاخلاق غير المألوفة أن تنطلق من انسان مؤمن، كيف يكون تعامله اذا فوجئ بسلوك غير متوقع؟تأتي تعليمات الاسلام لتقول: ان من حق اخيه عليه ان يقيل عثرته، اي يرفعه من سقطته تلك. وكأن المؤمن يسير في مستوى رائع من السلوك والاستقامة، فاذا ما اخطأ ذات مرة، مع إخوانه واحبائه، فارق ذلك المستوى، وهبط عن ذلك الخط فعثر. . اي سقط. . سقط بفعله الغريب، وخلقه عند الموفق، واسلوبه غير المتوقع منه. .

انه مؤمن عرف عنه الخير. . عرفت عنه الاستقامة. . عرف عنه السلوك المستقيم. . ولكنه اخطأ هذه المرة، وتبدل سلوكه ومال عن خطه. . هنا يبادر الاخ المؤمن الى التغاضي عن هذه العثرة وهذه السقطة، وبل ويبادر الى رفعه وهو بذلك يؤدي مهمتين:-

الاولى: مواجهته بالمسامحه والغفران والاغضاء عن خطته.

الثانية: اعادة الثقة الى نفس العاثر. حينما يمدّ اليه يده ليرفعه، اي ليعيده الى مستواه الاصلي ويجعله في موقعه المناسب له. . .

---

(١) تحف العقول- ابن شعبة- ص٤٧

ان من حق الانسان ذي المروءة، وذي الاخلاق العالية، وصاحب الروح السمحة، وصاحب المواقف الطيبة، وذي السابقة الحسنة في المجتمع، من حقه على هذا المجتمع ان يتغاض عن خطأه اذا اخطأ ذات مرة.. بل ويبادر الى رفعه من حالة السقوط هذه، ولهذا ورد عن امير المؤمنين (ع):

(أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه..)[1].

والاقالة لغة: هي الصفح. اذن كيف لا يبادر المؤمن الى أقالة ذي المروءه من عثرته وسقطته، والله تعالى يضع يده بيده كي يرفعه من سقطتة تلك؟..

واذا كان المنتظر من اخلاق المؤمن، والمؤمل من اسلوب تعامله مع الاخرين، هو تغاضيه وصفحه عن عثراتهم وسقطاتهم، ومقابلتهم بروح التعاون، ومحاولة الاعانه ومبادرتها، اقول ان كان هذا هو سلوك المؤمن مع عامة الناس، أو مع عامة المؤمنين بشكل خاص فكيف لا يكون هذا النمط من السلوك الراقي، وهذا النوع من الاخلاق الكريمة، كيف لا تكون هي المطلوبة مع اناس كانت لهم ايادي بيضاء في مجتمعهم وامتهم؟ وكأن علياً (ع) يدعونا ان نتخلق باخلاق الله تعالى الذي يعود على المسئ بالاحسان وعلى المذنب بالتوبة، وعلى من يعثر بالاقاله.. وقد تضافرت الروايات بان نتخلق باخلاق الله تعالى.

ومن جانب اخر، نجد ان الانسان، عادةً ما تمر به الظروف القاهرة والحالات الصعبة فتشكل حالة ضغط كبير على نفسه بما ينعكس على نمط سلوكه... والحياة هذه مملوءة بالألم والمحن..

قال الشاعر:

طبعت على كدر وانت تريدها ... صفواً من الاقذاء والاكدار

ومكلف الايام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وشاعر اخر:

وكذلك الدنيا متى تحسن تسيء ... وبمثل ذلك تنقضي أيامها

واذا بذلك الانسان الذي يمر بظرف عصيبة قاهرة، يتصرف تصرفاً غير متوقع منه، ويسلك سلوكاً غريباً عن خط سلوكه الكريم، الذي يألفه الناس منه. انه سلوك تحركه المصيبة وتعامل مضغوط بالآلام النفسيَة التي خيمت على صاحبها.

---

(١) نهج البلاغة- الحكمة ٢٠ ص٤٧١ -اعداد صبحي الصالح.

ولهذا تأتي توصيات النبي الكريم (ص) لتدعونا الى ان نصفح عن خطأ المبتلى بمحنته، وان نقيل عثرة صاحب المصيبة الذي يمرّ بازمة خانقة وظرف صعب وايام قاهرة. . . وهذا مؤدى حديث النبي(ص): (أقيلوا ذوي الهناة عثراتهم): والهناة جمع هنة، وهي المصيبة او الداهية[1].

وما دمنا في موضوع الاقالة، فان الشريعة المقدسة، وهي التي جاءت لخير هذا الانسان والتي قال عنها امير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الاشز (رض):

(واعلم انه لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها ونكرانها).

هذه الشريعة وضعت آداباً وسنناً حبذت للانسان الرجوع اليها، والعمل بها، في تصرفاته. كي يكون انساناً ملؤه الانسانية والعطف والحب، شملت هذه الآداب شؤون الحياة المختلفة.

فهناك آداب لتصرفات الانسان في ولادة طفله، وتربية اولاده، وسفره، وزواجه، اوصداقاته وعلاقاته، وكذلك هناك آداب للبيع والشراء.

وقد ورد في آداب البيع انه يستحب لكل من البيعين، اي البائع والمشتري، ان يقيل صاحبه اذا ندم على اجراء صفقة البيع. .

فالبيع كما نعلم هو من العقود اللازمة، والتي لا يحق لطرفي العقد فسخه، الا مع وجود بعض الخيارات التي تجوز لاحد البيعين او لكليهما فسخه. اما مجرد الندم فلا يعد من حق أحد سواء البائع او المشتري بعد ما تم البيع وانتهى امره. .

ولكن تتدخل الشريعة هنا لتقول لنا: انه يستحب ان يقيل أحد الطرفين الطرف الاخر اذا ندم، وجاءه يستقيلهُ اي يطلب منه فسخ العقد. . فهنا لا يجب على المقابل قبول طلب اقالته واستجابة دعوته للفسخ. ولكن ذلك من المستحبات ومن آداب البيع حيث يتصرف المؤمن بكل اريحية وأخلاق كريمة، فاذا ما بدر من صاحبه ندم على هذا البيع وجاءه يطلب منه ان يتنازل، فيستجيب له ولرغبته ويقيله من بيعه. .

وهكذا يتدخل العامل الاخلاقي في التعامل الاقتصادي وهي صفة مهمة تميز المذهب الاقتصادي في الاسلام بانه مذهب يراعي السلوك الاخلاقي وان كان التعامل تعاملاً تجارياً بحتاً. .

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج١١ ص٥٨٠ ـ دار الفكر

نداء إلى كل الأعمار

٨١

ورد عن النبي(ص): (ان لله ملكاً ينزل في كل ليلة وينادي:
أبناء العشرين: جدّوا
أبناء الثلاثين: لا تغرنكم الحياة الدنيا.
أبناء الأربعين: ماذا أعددتم للقاء ربكم؟
أبناء الخمسين: أتاكم النذير.
أبناء الستين: زرع آن حصاده.
أبناء السبعين: نودي فيكم فاجيبوا.
أبناء الثمانين: أتتكم الساعة وأنتم غافلون)[1].

ما أشد صدمة الموت على الانسان، انه الموت الذي لا بد منه ولا مفّر!!

مصير ينتظر كل البشرية، ينتظر كل كائن حيّ.. كأس شرب منه الأنبياء والمرسلون والأئمة والصالحون وعباد الله المقربون.

يقف أمير المؤمنين (ع) على جثمان رسول الله(ص) مؤبناً له بهذه الأبيات:

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً ... هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً
للموت فينا سهام غير طائشة ... من فاته اليوم سهم لم يفته غداً
هذا النبي ولم يخلد لأمته ... لو خلّد الله خلقاً غيره خلداً

والموت له خصائص ولعل من أبرزها: أنه لا يعرف عمراً معيناً، ولا ظرفاً معيناً، ولا أي شيء مما أعتاد الناس عليه من مراعاة الآخرين.. يأتي إلى الطفل في أحضان أمه، فيختلسه من بين يديها. يأتي إلى الأب فيسحبه من بين أيدي أولاده الذين يحيطون به..

وصدق رسول الله(ص): (كفى بالموت واعظاً).

---

(١) انيس النفس ـ ص١٥

قد يتصور البعض ان الموت بعيد عنه. لماذا؟ لأنه شاب ما زال ممتلأً حيوية ونشاطاً ونضارة. أو لأنه على وشك سفر ينتظره طويلاً، او يريد ان يوقّع صفقةً سترفع من وضعه الاقتصادي كثيراً، أو سيلتقي بشخصية مرموقة يتأمل فيها خيره ورقي مستواه الاجتماعي، وكل هذا سراب... دخل أبو علي بن الصفراء الواسطي إلى دار للتعزية في طفل صغير قدمات وكان قد بلغ المائة من السنين وبه ارتعاش، فتغامز عليه الحاضرون. فقال ارتجالاً..

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاءً وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله اذ توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن الف وما بين ذلك هذا المصير(١)

التفت أحد الصالحين لرجل حضر جنازة، وبينما هو أثناء التشييع قال له: أتراه - أي الميت - لو رجع إلى الدنيا يعمل صالحاً؟؟ فاجابه الرجل بدون أدنى تردد: نعم وبلا ريب، فقال له: فان لم يكن هو فكن أنت.

نعم تصوّر أنك أنت الذي رجعت إلى هذه الحياة فكيف ستعمل؟..

يروى عن أحد العلماء الأبرار، أنه كان قد حفر قبراً له في داره، ينزله كل يوم ويتصور نفسه وقد مات، ثم يرفع صوتاً منادياً مستغيثاً متوسلاً: (رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت)(٢). ويبقى يردد هذا المقطع القرآني حتى يلتفت إلى نفسه وهو يقول كأنه يخاطبها: قد ارجعناك إلى الدنيا فلننظر كيف تعمل وكيف يكون عملك!!

وهكذا ينشط في طاعة الله وكأنه قد انتقل من عالم إلى عالم.

وهو كذلك! عالم بعيد جداً عنك ان كنت تتصور أنك تبعد عن هذا الميت المسجى في قبره، مجرد بعض الأشبار من التراب.. فالواقع انه في عالم وانت في عالم! انه في عالم انقطع فيه أمله وقرن مع عمله. وانت لا زلت في فرصة من عمرك ومهلة من أجلك.

من كان بينك في التراب وبينه شبران فهو بغاية البعد
لو كشفت للمرء أطباق الثرى ما عُرف المولى من العبد

وكم يخطأ من يعتقد، أو حتى من يتصور مجرد تصور، أن موته يعني نهاية

(١) كتاب الانفس - الشيخاني - ج١ ص٣٥
(٢) ٩٩ سورة المؤمنون

لمشاكله وآلامه ومصاعب حياته. السنا نسمع بعضهم يقول متى أموت كي اتخلص من هذه الآلام والمشاكل والاحباطات؟!..

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حيّ
ولكنّا اذا متنا بعثنا ونُسأل بعدها عن كل شيء

نعم يأتي النداء ويا له من نداء؛ (وقفوهم انهم مسؤولون)[١].

نعم نحن مسؤولون عن أوقاتنا كيف نقضيها. عن طاقاتنا كيف نصرفها، عن أموالنا كيف نجمعها وكيف ننفقها، ونسأل عن أعمارنا كيف قضيناها وكيف كان عواقب حياتنا.

ومن وصية الرسول (ص) لأبي ذر (رض):

(يا أبا ذر: كن في الدنيا كانك غريب أو كعابر سبيل.. عد نفسك في أهل القبور. يا أبا ذر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح. وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فانك لا تدري ما اسمك غداً يا أبا ذر كن على عمرك أشدّ منك على درهمك ودينارك)[٢].

ومما ينسب للشريف الرضي(رض).

قد مررنا على الديار خشوعاً ونظرنا البنا فأين بالباني
وعرفنا الربوع حين مررنا فذكرنا الأوطار بالأوطان
ما أقل اعتبارنا بالزمان وأشد اعتزازنا بالأماني
كل يوم رزية بفلان ووقوع من الردى بفلان

نعم صدق رسول الله(ص) فيما يؤكد: (كفى بالموت واعظاً).

اللهم اجعلنا من المتعظين ولا تجعلنا من الغافلين واغفر لنا يوم الدين اللهم لا تخرجنا من هذه الدنيا حتى ترضى عنا يا كريم...

---

(١) ٢٤ سورة الصافات

(٢) تحف العقول- ابن شعبة

العدوى الاجتماعية

٨٢

يقول علماء الاجتماع:

ان السلوك الاجتماعي هو عدوى، تنتقل من البعض للآخر. مثل الفزع الذي يسيطر على الجماعة لفزع بعض أفرادها..

فالانسان يتأثر بالأجواء الاجتماعية المحيطة به، وهذا التأثير يشمل مجالات الحياة المتباينة والتي يعيشها الانسان مع بني جنسه.

ولهذا نجد الاسلام يبدي حرصاً واضحاً على خلق وايجاد البيئة الصالحة، والمجتمع الملتزم الذي يوفر الأجواء المساعدة والمعينة للانسان على استقامته وهدايته.

ومن هنا تأتي أهمية العمل على ايجاد مجتمعات اسلامية مصغرة، في بلاد المهاجر التي يؤمها المسلمون مع اسرهم واطفالهم، حيث تدعو الضرورة القصوى إلى ايجاد مجتمعات بديلة، تعين اولئك المسلمين، ولا سيما ابناءهم على الالتزام.

وإذا ما فقد الجو النظيف النقي لنمو أشجار التربية والاخلاق الحميدة، فان الانسان لن يبقى في منطقة حيادية بل ستحيطه الأجواء المنحرفة. وتحتوشه عوامل السقوط والامتهان والانحراف.

ولهذا جاء التحذير من مصاحبة المنحرفين والانسجام مع الأجواء المنحرفة...

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فان خلائق السفهاء تعدي

نعم إنها عدوى اخلاقية، يتأثر بها الانسان كما يتأثر هذا الانسان بعدوى مرض من خلال مجاورته ومخالطة المرضى المصابين بالأمراض السارية المُعدية.

وكما أن هناك المجتمع الكبير، الذي يتفاعل معه الانسان في شبكة علاقاته سلباً وايجاباً والذي يترك بصمات تأثيراته المختلفة على هذا الانسان..

فان هناك المجتمع الصغير ـ الذيَ قد يكون أثره أبلغ من المجتمع الكبير ـ انه مجتمع الأصدقاء والذي يكثر لقاؤه معهم واختلاطه بهم.. ولهذا تقع على كل انسان مهمة اساسية جداً تتمثل في ضرورة اختيار الصديق. الذي يكون معيناً له على الاستقامة والالتزام والخلق الرفيع.

لأن المرء قد لا يكون مختاراً في مساحة مجتمعه الكبير. فالانسان لا يملك أن يوجد في مجتمع دون آخر، أو يولد في بيئة دون أخرى.. ولكنهُ يملك - وإلى حد كبير - بيده زمام بناء جسور العلاقة مع الأصدقاء.

وهنا تبرز أهمية اختيار الصديق وانتقائه... وكم جاءت من توصيات وتوجيهات في أهمية وضرورة اختيار الصديق..

قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾.[١].

قال الحسن(ع): (اصحب من إذا صحبتهُ زانك وإذا صنته صانك...)[٢].

قال علي (ع): (الصديق من كان ناهياً عن الظلم والعدوان معيناً على البر والاحسان)[٣].

(من دعاك إلى الدار الباقية واعانك على العمل فهو الصديق الشفيق).

(صديقك من نهاك وعدوّك من اغراك)[٤].

وجميل قوله الشاعر:

صاحب اخا ثقة تحظى بصحبته فالخلق مكتسب من كل مصحوب

كالريح حاملة عمّا تمر به نتناً من النتن او طيباً من الطيب

وعلى أولياء الأمور وارباب الأمر، أن يهتموا بايجَاد علاقات لاسرهم وأهلهم وعوائلهم مع الأسر والعوائل الملتزمة، حيث ستوفر هذه العلاقات الأجواء الاجتماعية المعينة لأسرتك وعائلتك على الالتزام، والتمسك بالدين الحنيف والقيم الاخلاقية الرفيعة.

وحينما نذكر هذا الموضوع - موضوع العدوى الاجتماعية - لا نريد ان نتصور - او نصف - الانسان المؤمن بأنه انسان منفعل دائماً متأثر بالآخرين نخشى عليه من أي اختلاط او أية علاقة مع الآخرين...

بل ان ثقتنا بالفرد المؤمن ثقة كبيرة بحيث نريد منه - وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن - هو المؤثر في مجتمعه، والذي يترك بصمات شخصيته الايمانية القوية على الآخرين بما يمتلك من وعي في الايمان وصدق في الالتزام وتفقه في أحكام دينه العظيم.

---

(١) ٢٨ سورة الكهف

(٢) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٥ ص٣١٠

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق ص٣٠٢

الطاقات ومسؤولية توظيفها

٨٣

﴿قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾(١).

درس من الدروس ذكرها القرآن الكريم، وهو يسير مع موسى(ع) في خط حياته ومواقفه. ويتوقف عند المفاصل التي ينبغي التوقف عندها، والاستفادة من عطاءاتها. واستدلال المفاهيم والرؤى منها.

ومنها الآية الكريمة ـ موضوع حديثنا ـ وهي تحكي عن لسان هذا النبي الكريم(ع)، وعن القرار الذي الزم به نفسه، ليؤسس الموقف المسؤول، تجاه الطاقات والامكانات والكفاءات التي يمتلكها الانسان بما أفاض الله بها عليه.

والآية نداءٌ إلى كل ذوي الكفاءات والطاقات ان يرعى مسؤولية هذه النعم والطاقات، التي منحها الله تعالى لهم...

ان تكون هذه الكفاءات موجهة، في الخط الذي يرتضيه تعالى. وان لا تستغل استغلالاً منحرفاً خاطئاً. كي تدعم ظالماً هنا أو مجرماً هناك، أو طاغية في مكان أو طاغوتاً في مكان آخر.. أو تستغل لاشاعة الفساد والانحراف في الأمة.

إنها مسؤولية الانسان أمام واهب الحياة والعطاء والنعم والخيرات. وكم حرص الاسلام ودستوره الخالد ـ القرآن الكريم ـ على أن يربي الانسان المسلم في ان يكون انساناً مسؤولاً، انساناً متحملاً لهذه المسؤولية، فمن النداءات الكبيرة يوم القيامة (وقفوهم انهم مسؤولون)(٢).

ونقرأ في الأدعية ما يؤيد منهج القرآن هذا كما نقرأ في دعاء الافتتاح. (اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه)(٣).

اذاً فالآية التي تتحدث عن لسان موسى(ع)، ضمن المنهج القرآني، في اعداد الانسان المسلم وتربيته على أساس المسؤولية، وقيامه بأعبائها. ومن مصاديق ذلك ان

(١) ١٧ سورة القصص

(٢) ١٤ سورة الصافات

(٣) مفاتيح الجنان ـ الشيخ عباس القمي

يكون واعياً ومدركاً وملتفتاً لمسؤولية طاقاته وامكاناته وكفاءاته.

فمن كان له طاقة علمية، حيث وهبه الله عقلاً علمياً متميزاً وذهنية مبدعة خلاّقة، فان مسؤوليته تحتم عليه ان لا يسخّر هذه الطاقة العلمية لدعم هذا الانحراف أو ذلك الجور.. بل عليه ان يوظف ذلك في حقول الخير والاستقامة والرشاد وفائدة المجتمع ونمائه.

ومن منح طاقة اجتماعية، فهو أمرؤ مرموق اجتماعياً، يحتل موقعاً بارزاً في مجتمعه من خلال وضعه الأسري، او رتبته العشائرية والقبلية. فعليه ان يوظف ذلك في قول الحق، وتأييد أهله والسعي لقضاء حوائج الناس والاهتمام بأعمال البر في المجتمع.

كذلك من وهبه الله شخصية لها ميزات بارزة تجعله صاحب قوة تاثير في المقابل بحيث يترك في نفوس المحيطين به احتراماً وهيبة واجلالاً. ان على من يمتلك هذه الشخصية ان يذكر نفسه بأن هذه طاقة عليه أن يُحسن توظيفها وتوجيهها.

ومن رزقه الله طاقة مالية واغدق عليه بالرزق والنعم. فان عليه مسؤولية توجيه هذه الطاقة، لتكون مما تعينه على رفع رصيده من الأعمال الصالحة والحسنات ـ فالغنى نعم المعين على طاعة الله ـ والعمل على فائدة الناس وادخال السرور على قلوب بائسة متألمة.

وكما ان الزكاة ضريبة عبادية تربوية تفرض على صاحب الطاقة المالية. فأن لكل طاقة من هذه الطاقات وغيرها زكاة خاصة بها، اذ ان لكل شيء زكاة.

فقد ورد (ان زكاة الجاه الشفاعة). وهكذا بقية الطاقات والامكانات. ليقف كل منا وقفة مسؤولة أمام نفسه، ويسأل ما هي النعم التي انعم بها علي؟ ثم كيف تعاملت مع هذه النعم وكيف كانت وجهتها؟ وهل هي باتجاه ما يرضي الله ويؤيد الحق وأهله أم أنها انحرفت إلى اتجاه سخط الله ومحاربة أهل التقى وتأييد أصحاب الجرائم واولي الفساد في الأرض؟

وفي ختام الحديث عن مسؤولية الطاقة وكيفية توظيفها، يحكي لنا القرآن الكريم، سيرة العبد الصالح ذي القرنين، وكيف انه استثمر طاقاته الخلاقة في الدفاع عن ذلك المجتمع المستضعف، وصنع له سداً ليقيهم من هجمات ياجوج وماجوج. وبعد ان أنجز لهم ذلك السّد، بقوته وروعة صنعه علق بقوله الذي صاغه القرآن الكريم ﴿قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربّي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً﴾[1]. نعم طاقتي هذه هي رحمة وعطاء من ربي..

وهو درس من دروس سيرة ذي القرنين لكل صاحب طاقة في مسؤولية توظيفها..

---

(١) ٩٨ سورة الكهف

علم وتقوى وحكمة

٨٤

لما توفي الشيخ مرتضى الأنصاري رضوان الله عليه، والذي كان يحتل موقع مرجعية المسلمين، في النجف الأشرف. اجتمع علماء الحوزة العلمية والجامعة الدينية، يتداولون في قضية من سيخلف الشيخ الأنصاري في هذا الموقع بالغ الأهمية والحساسية.

وكان من اولئك العلماء الميرزا الشيرازي، نزيل سامراء، وصاحب فتوى التنباك الشهيرة، والتي اغلقت شركة استعمارية كبرى أبوابها في ايران بفعل تأثيرها.

فوجّه الميرزا محمد الشيرازي كلامه إلى العلماء المجتمعين لتحديد واختيار المرجع، الذي يكون اهلاً لتسلم هذه المسؤولية العظمى.. فقال لهم: إذا دار الأمر بين العلم والتقوى، ففضلوا العالم الذي يمتلك جانب التقوى بشكل أجلى من غيره لان التقوى يمكن ان تسد نقص العلم، ولكن العلم لا يسد مسدّ قلّة التقوى !! ثم اذا دار الامر بين عالم يمتلك العلم والتقوى وبين آخر أقلّ منه فيهما ولكنه يمتلك عقلاً راجحاً وحكمة واضحة. ففضلوا صاحب الحكمة، لأنه موقع يحتاج إليها كثيراً. ويمكن للحكمة ان تسد النقص الموجود في العلم والتقوى، ولكنهما لا يستطيعا سد مسد النقص في الحكمة!!. وبالسروعة هذا الكلام وأهميته...

فلما سمع العلماء توجيه الميرزا هذا ودقة تشخيصه لمواصفات المرجع، اجتمعت كلمتهم على ترشيحه، وقالوا: أنت أولى العلماء بهذه المواصفات جميعاً فكان هو المرجع.

إن العلم حياة الانسان فرداً وجماعة. والأمة التي تجعل العلم رفيقها وهدفها، أمه حية تسير في درب الرقي والسمو والرفعة.. وقد اكد الاسلام العظيم على مسألة العلم أي تأكيد، وقد ألّف في هذا الشأن الكثير من المؤلفات والبحوث.. وقد حث القرآن الكريم في آيات عدة على أهمية العلم، ومقام العلماء. ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون﴾[١] ﴿شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة واولوا العلم . .﴾[٢].

ولكن العلم طاقة ـ في حدّ ذاته ـ أما كيفية توجيه هذا العلم، ليكون العلم معيناً على الخلق الكريم، وسعادة الانسان واغاثة المستضعفين، وسد حاجات المجتمع الانساني، واشاعة الخير والعفاف والهدى . أو يكون العلم موجهاً توجيهاً منحرفاً إلى صناعة الأسلحة المدمرة الفتاكة، أو أجهزة التنصت والتجسس الرهيبة، أو نشر الاباحية وهدم صروح الاداب والحياء والعفة. إن كل هذا يجعل من الجلي جداً والواضح أهمية التقوى التي توجّه العلم وتحركه في ذاك الاتجاه الصحيح، ومن هنا تبرز أهمية التقوى باعتبارها الموجه لاعمال الانسان والمبرمجة لتصرفاته وسلوكه. فاذا تفاضل عالمان، أحدهما أكثر من الآخر في درجة العلم ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾[٣]. في حين كان الأقل علماً أكثر تقوى، وأورع وأشد خوفاً من الله. فهنا يكون دور التقوى أولى من دور العلم، ويمكن أن تسد هذا الاختلال في المستوى العلمي. . ولكن العلم مهما زاد وعظم لا يمكن أن يسدّ مسدّ التقوى. العلم طاقة والتقوى توجيه لهذه الطاقة. كما أن الانسان ـ أي انسان. كلما كان في موقع أكثره أهمية وحساسية، وارتباطاً بالناس ومصائرهم وأمورهم الكبيرة والمهمة، كان دور التقوى أوضح وأجلى وأكثر أهمية. . وهل هناك أكثر أهمية من موقع المرجعية؟ الموقع الذي هو استمرار لدور الأنبياء والأئمة عليم أفضل الصلاة والسلام.

وكم جاءت من آيات ووصايا وتوجيهات تدل على أهمية التقوى. تشير إليها وتدعو إلى الأخذ بها والعمل بمقتضاها حتى ان خطبة الجمعة ذلك المؤتمر الأسبوعي الكبير ـ يجب أن تتضمن تذكير المصلين بتقوى الله والدعوة إلى الأخذ بها.

ثم أننا لو كنا بين خيارين: عالم تقي ولكنه قليل الخبرة، هو سليم القلب صافي الروح ولكنه قد يفتقر إلى الحكمة والعمل والخبرة في موازنة القضايا المهمة. وبين عالم آخر وتقي آخر قد يكون أقل من العالم الأول في علمه وتقواه ولكنه يتميز بحكمة كبيرة، ووعي أصيل وبصيرة لاغبار عليها. . . فهنا نجد أن مسألة إدارة شؤون الناس، ورعاية أمورهم الدينية والدنيوية، توجب أن يتقدم من له أهلية الحكمة. ومن حنّكتهُ

(١) ٩ سورة الزمر

(٢) ١٨ سورة آل عمران

(٣) ٧٦ سورة يوسف

التجارب، ومن عركته المواقف، فكان ذا عقل كبير وبصيرة نافذة ووعي عميق..

قد يكون ذلك العالم الأول الذي يتميز بعلم أكثر وتقوى هو الأولى بأن نصلي خلفه، ونقدسه، ونستشيره في الأمور الجليلة. ولكن مسألة إدارة شؤون الأمة، وقيادة دفة المجتمع، تكون ـ بلا شك ـ من نصيب العالم الآخر العالم التقي ولكنه أيضاً الأكثر حكمة، الأقدر على ادارة الأمور وتوجيهها.

وقد شهد واقع المرجعية الدينية، وتاريخها، مراجع قد لم يكونوا بالضرورة هم الأقدر علماً من الآخرين ولكنهم تميزوا بعقل إداري وحكمة متميزة وبصيرة كبيرة، وأصحاب الاطلاع يعرفون المصاديق لهذا القول. ولنا ان نتأمل كم ستخسر الأمة وتتلكأ مسيرتها وكم ستأتي من الرزايا والمحن اذا هيأت الظروف من لا تشك في ورعهم وعلمهم الكبيرين، ولكنهم لم يوهبوا هبة الحكمة، ولم يعطوا ميزات صاحب الموقع المطلوب؟

القبلة وصناعة المسلم الهادف

٨٥

من الأمور الأساسية التي أكدّ عليها القرآن الكريم وتوجيهات النبي(ص) وأهل بيته (ع)، هي الدعوة إلى التأمل والتفكر في أحكام الشريعة وآدابها وسننها، والاستفادة من كل ذلك لفهم نظرة الاسلام إلى مختلف نواحي الحياة وصياغة مفاهيمه المستوعبة لهموم الانسان وطموحاته..

والقبلة؛ أي توجّه الانسان المسلم إلى الكعبة المشرّفة، والتي هي إحدى مقدمات الصلاة، إذ على المصلي أن يحرز جهة القبلة وهو يصف قدميه مصلياً لخالقه الكريم.. وجاءت الرسائل العملية للفقهاء ـ معتمدة على الآيات والروايات ـ لتعطينا أحكام القبلة ومعرفتها وامارات ذلك في تفصيل رائع.

والقبلة تطلب كذلك في آداب احتضار الميت، وتغسيله، وفي مسألة دفنه، بحيث يكون وجه الميت باتجاه القبلة..

كما وتراعى هذه المسألة في ذبح ونحر الذبائح... هذه الأمور تذكرها الرسائل العلمية في القبلة وفروعها. ولو تأملنا في احكام الشريعة، بأن يكون المصلي خمس مرات في اليوم متجهاً إلى القبلة، ونظرنا ـ بعقولنا ـ آلاف ملايين المسلمين في الكرة الأرضية يتجهون إلى اتجاه واحد إلى نقطة واحدة إلى هدف واحد..

لأدركنا من ذلك مدى حرص الاسلام على أن يكون الانسان المسلم مرتبطاً بمنطلق الوحي، وبداية الاسلام وجهاد النبي(ص) بل ويتمد إلى مسيرة الموحدين ـ كما أن الأمر لا يقتصر على ما ذكرنا من أمور تراعى في القبلة، وإنما امتدت اداب الشريعة واساليبها التربوية لتحبذ للانسان المسلم أنْ يراعي القبلة في جوانب متعددة من حياته..

فمثلاً: يستحب للمسلم أن يختار مجلسه بحيث يستقبل جهة القبلة أثناء جلسته في بيته، او مكتبه في دائرة عمله، او كرسيّه في الحديقة، والأماكن العامة ـ مع إمكان ذلك.

فعن النبيَ(ص): «إن لكَل شيء شرفاً وان أشرف المجالس ماستقبل به القبلة»[1].

كما ويستحب ان يكون سرير النوم باتجاه القبلة، بحيث إذا نام المسلم على ظهره،

(١) البحار ـ العلامة المجلسي ـ ج٢ ص٥٤٤ ـ دار احياء التراث

كانت رجله باتجاه القبلة، فاذا جلس استقبل القبلة بوجهه. وفي الاخبار ورد أنهُ يستحب أن يكون اتجاه باب بيت المسلم إلى القبلة، فاذا خرج من بيته استقبل القبلة.

كما ورد استحباب قراءة القرآن، والأدعية، والوضوء باتجاه القبلة وأمور أخرى.

وهنا نريد التوقف قليلاً والتأمل في كل ذلك.

الا تبرز هذه الاداب والسنن اهتمام الشريعة بأن يكون الانسان المسلم مراعياً القبلة في تحركاته وسكناته ان امكنه ذلك؟ ومنها الا نستطيع ان نفهم ونستوحي عطاءات عديدة؟ منها: أن الاسلام يهتم كثيراً بالانسان المسلم الذي يراعي القبلة، الذي يراعي الهدف، الذي يراعي ان يكون انساناً هادفاً في حياته...

ان الإنسان الهادف انسان ناجح في حياته. ومن يحدّد هدفاً ويخطط للوصول إليه والعمل باتجاهه يكون انساناً جديراً بالسداد والتوفيق

وما أروع أن يكون الهدف رضا الله تعالى، والأساليب التي تركز في نفوسنا وأرواحنا، ثم تنعكس بعد ذلك على سلوكنا واخلاقنا تذكرنا بذلك الهدف الكبير..

إن الإنسان الذي يحرص على أن يكون مجلسُه باتجاه القبلة ومنامه باتجاهها، ويراعيها في جوانب أخرى، لا شك أنه مرتبط بالله.

مرتبط بـ ﴿أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين﴾[١].

ما أحلى المؤمن الذي يبحث عن كل امر يكون مضنة لرضاه تعالى!! ما أجمل المؤمن الذي يسعى في ان يكون انساناً هادفاً فيّ حياته وسلوكه ونشاطه... ان الهادفية سمة اساسية من سمات الوعي والبصيرة.

﴿قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومَن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[٢].

وإذا وجد الانسان الهادف، وجدت الامة الهادفة. ولهذا نجد أن القرآن الكريم، بعد ما ذكر مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بعد الهجرة، قال معقباً ومبرزاً الهدف الكبير الذي يهيؤه القرآن لهذه الأمة:

﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٣].

نعم فقد كان تحويل القبلة خطوة نوعية باتجاه ايجاد الأمة المسلمة وصنع شخصيتها المتميزة وهدفها الكبير.

---

(١) ٩٦ سورة آل عمران

(٢) ١٠٨ سورة يوسف

(٣) ١٤٣ سورة البقرة

ظالم يذكر الله!!

٨٦

حينما يذكر الانسان ربه تعالى، فهذا يعني أنه يستحضر مراقبة خالقة له وقربه منه، فينعكس ذلك إيجابياً على أخلاقه وسلوكه وتعامله.

فيكون ـ والحال هذه ـ رقيق القلب، حسن السيرة، طيب الأخلاق.. محباً للخير وأهله مجانباً الظلم والظالمين.

وأما إذا تحول ذكر الله، وتسبيحه وتقديسهُ تعالى إلى مجرد كلمات جوفاء، تلوكها الالسن بلا روح لا تفاعل ولا استشعار لخشية الله.. فلا نتوقع من هذا التسبيح أن يدفع صاحبه إلى الخير والصلاح، أو يردعه عن الشر والفساد والانحراف..

ولذلك فكم هو قبيح، أن يتبجح البعضُ بالالفاظ والادعاءات الخاوية، ليجعل الآخرين مخدوعين بمظاهره التي توحي بأنه ممن يخشى الله، ويتقيه، ويعمل بما يرضيه.. خاصة إذا كان موقعه أو ظرفه يحتاج إلى مظهر ديني ليدعم طموحه ورغباته فيرفع شعاراً دينياً مزيفاً..

ألم يكن خلفاء الجور، والسلاطين الظلمة، يصلّون بالناس ويخطبونهم في المناسبات الدينية؟ ألم يكن الناس يطلقون عليهم لقب أمير المؤمنين؟ وليس ثمة شيء يجمعهم مع الإيمان سوى مظاهر كاذبة وادعاءات باهتة.

ومن الظلمة الذين ساهموا في تقوية بناء الجور، وتشييد أعمدة الظلم، الحجاج سيء الصيت وكان للحجّاج هذا، الذي يقول عنه الحسن البصري: لو جاءت كل أمة بشقيها وجأنا بالحجاج لغلبناهم جميعاً!!

كان للحجاج هذا أخ من أمّه اسمه يزيد بن أبي مسلم وكان كاتباً للحجاج. وكان ظالماً غشوماً، وإلى الآن ليس هناك ثمة شيء غريب. واين الغرابة وهو أخ الحجاج وكاتبه ومعينه على ظلمه وطغيانه؟!.

ولكن الغريب من هذا الظلوم الطاغية مع هذا الظلم والجور أنه كان يكثر التسبيح والذكر! الا تعجب من ظالم متفرعن وطاغية أهوج.. ومع ذلك يكثير من ذكر الله؟!

يا لهذا التناقض ويا لهذه الصلافة!!

فاذا جيء لهذا الطاغية بمن يعذبهم، من الناس المساكين. فيأخذ الجلاوزة بتعذيبهم بمحضره وهو يقول: سبحان الله والحمد لله، شدْ يا غلام موضع كذا وكذا!!. (أي مواضع العذاب). وهو يقول لا اله إلا الله والله أكبر إضرب يا غلام موضع كذا وكذا!! وهو يشرف على عمليات التعذيب ويصدر أوامره وهو يذكر الله ويسبّحه.. وهي حالة مأساوية ظاهرة التناقض غريبة الأطوار..[1].

وجميل ما قال الشاعر:

قد بلينا بأميـــر ظلـم الناس وسبّح

فهو كالجزار فينا يذكر اللـه ويذبح!!

فكما ان الجزار حينما يريد ذبح كبش مثلاً، فانه يقول: باسم الله، ثم يذبح. فهكذا هو أميرهم هذا أهو استهزاء بالله؟ أم تحدياً لمشاعر الناس؟ أم تناقض غريب يعيشه هؤلاء الظالمون؟..

﴿قل اباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون﴾[2].

إن ذكر الله ليس مجرد كلمات تتردد في الأفواه أو تهتز بها أوتار الحنجرة. بلا روح ولا حياة ولا صدق.

إنه عملية ارتباط بالله تعالى، واستشعار لرقابته، والالتزام بأوامره، والنأي عن نواهيه رغبة في ثوابه وخوفاً من عذابه..

يلتفت الامام الصادق (ع) إلى أحد أصحاب وهو حسين البزاز قائلاً له: ألا أحدثك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ فاجابه حسين البزاز: بلى يابن رسول الله فقال (ع): إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك لأخيك، وذكر الله في كل المواطن. ثم أنّ الامام (ع) نبّه صاحبه إلى المعنى الحقيقي المطلوب لذكر الله فيضيف(ع): إما أني لا أقول (سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر، وان كان من ذاك، ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هممت على طاعة أو معصية)[3].

أي ان يتجسّد ذكر الله عند من يذكره سلوكاً يرتضيه الخالق، ومنهج حياة واسلوب تعامل يجد الله عنده في الاقدام على الطاعة، أو الاحجام عن المعصية.

(١) موسوعة العذاب- عبود الشالجي- ج٥ ص٣٥٧- الدار العربية للموسوعات

(٢) ٦٥ سورة التوبة

(٣) وعي القرآن- الشيخ محمد مهدي الآصفي- ج١ ص٣١

صور من جهاد الفاتحين

٨٧

كم غيّر هذا الدين العظيم من النفوس؟ لقد أحدث اعجازاً ليس بعده اعجاز، انه اعجاز في صياغة انسان جديد، همومه مختلفة عن الهموم التي كان يعيشها إلى الأمس القريب، طموحاته تجاوزت المساحة الضيقة، التي كان يألفها ولا يبصر أبعد منها. إذ توسّع أفقه، فإذا به ينظر إلى أطراف الأرض يريد أن يوصل إليها دين الله.. ودين الخير والنبل والكرامة.. هذا الانسان الذي كان محاطا باجواء قبلية خانقة وأُطر عشائرية ضيقة فكان شاعرهم يقول:

إذا أنت لم تنفع فضرّ فانما ... يرجّى الفتى كيما يضر وينفع

والان يفتخر بقومه..

بغاة ظالمون وما ظلمنا ... ولكنا سنبدأ ظالمينا

والثالث يمتدح قبيلته:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... يوم الكريهة عما قال برهاناً

ووجد رجل متعلقاً باستار الكعبة وهو يدعو ويقول: اللهم امتني ميتة أبي خارجة! فقيل له: ويحك وكيف مات أبو خارجة؟ فقال: أكل بذجاً (وهو ولد الضان) وشرب مشعلاً (أناء فيه نبيذ) وواقع جارية، ونام شامساً فلقى الله شبعان ريّان دفان!!

هذه نماذج من مستويات تفكيرهم ومديات طموحهم وافاق آمالهم.

وجاء الاسلام فاذا بهم ﴿كنتم خير أمة خرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1].

أخذوا براية الاسلام ونشروها في أطراف الأرض وهي تخفق عدلاً وكرامة، وخلقاً. حتى كانت البلدان غير المفتوحة، تنتظر وصول جيوش الاسلام اليها لينقذوهم من واقعهم المزري، إلى دنيا الاسلام الكريمة. وكم ضحى أولئك الفاتحون المجاهدون

(١) ١١٠ سورة آل عمران

تضحيات كبيرة . . نجد أنفسنا بمسيس الحاجة إلى تذكرها واستنطاقها، علّها تساهم في زرع الأمل في نفوسنا. وتجعلنا أمام مسؤوليتنا في الدعوة إلى دين الله، وايصال كلمته إلى الآخرين.

نذكر ثلاث صور من روائع مواقف الفاتحين في فتوحات بلاد الترك، أي مناطق شمال إيران وشمال افغانستان الحالية. فقد دخل النضر بن راشد العبدي على امرأته في حرب الترك، بخراسان والناس يقتتلون، فقال لها: كيف تكونين إذا أُتيت بيَ في لبدْ[1] قتيلاً مضرجاً بالدماء! فشقت جيبها، ودعت بالويل فقال: حسبك!! لو أعولتْ عليَّ كل انثى لعصيتها شوقاً إلى الجنة!!

ثم خرج فقاتل حتى قتل وحمل إلى امرأته في لبد ودمهُ يقطر من خلاله [2]

وصور أخرى رائعة:

حينما حاصر المشركون الترك مدينة برذعة، وكان فيها جموع غفيرة من المسلمين. فأرسل إلى المسلمين المحاصرين المدد، بقيادة قائد اسمه سعيد الحرشي، ليفك الحصار عنهم، كما وأرسل هذا القائد رسولاً منه إليهم ليقويّ قلوبهم، ويأمرهم بالصبر والتحمل. فسار الرجل مسرعاً قبل المدد فقبض عليه المشركون الترك، فسألوه عن أمره فكتمهم، فعذبّوه. وكان الاتراك متفننين بطرق التعذيب وبشكل غريب جداً. مما اضطره إلى اخبارهم وصدقهم القول. فجاؤا إليه بعرض فيه سلامته، فقالوا: إذا فعلت ما نأمرك به أطلقناك، وإن خالفتنا قتلناك!! فقال لهمَ: مَا تريدون؟ قالوا: إنك عارف بأصحابك ببرذعة، وهم يعرفونك، فقال: أجل، فقالوا: فاذا وصلت تحت السور، فنادهم بانه ليس خلفك مدد ولا من يكشف ما بكم، وانما بعثت جاسوساً ليس إلا.

فبادرهم قائلاً: أفعل ما تريدون!! ففرح الاتراك المشركون بذلك. . .

فتمشى باتجاه السور الذي يُحاصر داخله المسلمون، ووقف من حيث يسمع أهلها كلامه، وقال لهم: اتعرفونني؟ قالوا: نعم أنت فلان بن فلان. فقال لهم: فان سعيداً الحرشي، قد وصل إلى مكان كذا وكذا ومعه مائة ألف سيف!! وهو يأمركم بالصبر، وحفظ البلد. وهو مصحبكم أو ممسّيكم!!

---

(١) نوع من البسط معروف ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج٣ ص٣٨٦ ـ دار الفكر

(٢) شرح نهج البلاغة ـ ابن ابي الحديد ـ ج٢ ص٢٨٩

فارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير. وعمد المشركون إلى قتل ذلك المسلم الذي مضى شهيداً وأنقذ أمة واعلا مبدءاً ونصر ديناً! ! ثم ان المشركين رحلوا عن برذعة ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين[١].

فجزى الله اولئك الشهداء المجهولين. مجهولون في الأرض ومعرفون في السماء! جزاهم الله خيراً، عن الاسلام وأهله.

وصوره ثالثه لأحد الأبطال الذين استشهدوا على أسوار القسطنطينية عام ٥٠ هـ. وهو عبد العزيز بن زرارة الكلابي: وكان من الفرسان المجاهدين الشجعان ومن شعره:

قد عشت في الدهر أطواراً على طرق شتى فصادفت فيها اللين والبشعا
كلاّ بلوت فلا النعماء تبطرني ولا تجشمت من لأوائها جزعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه ولا أطيق به ذرعاً إذا وقعا

وكان يتعرض للشهادة - أي يقصدها - فلا يقتل حتى هجم ذات يوم على من يليه من الروم وغاص فيهم فرشقوه بالنبال، فقتل رضوان الله عليه[٢].

فسلام على أولئك الفاتحين سلام على اولئك الشهداء الصادقين.

اللهم اجعلنا ممن يعي درسهم، ويسير على نهجهم، نهج الاسلام العظيم.

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد - ج٣ ص٢٨٢

(٢) موسوعة العذاب - عبود الشالجي - ج٥ ص٦٠ - الدار العربية للموسوعات

وصور لمؤمنات صابرات

٨٨

الاسلام دين الله جاء للانسان، للانسان بجنسيه من ذكر أو أنثى.. كم جاءت آيات وروايات تشير إلى المرأة المؤمنة وهي تسير مع أخيها الرجل المؤمن في طريق الايمان والمسير إلى الله تعالى: ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[1].

بل أن مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي من أجلّ المهمات في المجتمع الاسلامي، أناطها القرآن بالرجل والمرأة ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..﴾[2].

ولهذا نجد أن أول من فتح باب الشهادة في الاسلام، كان امرأة. وهي سمية أم عمار بن ياسر رضوان الله عليهم، حينما كان يمرّ بهم رسول الله (ص)، وهم يعذبون في مكة، ويناديهم (صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة).

ووقفت نساء مؤمنات مع رسول الله (ص) في احرج الظروف وأشدها دفاعاً عن دين الله ودين رسوله. وهناك نماذج كريمة لنساء مؤمنات كذلك مع الامام علي(ع). وصي رسول الله (ص) ووارثه.

فبعد استشهاد أمير المؤمنين(ع) واستتباب الأمر لمعاوية، كان يستدعي بعض النسوة المؤمنات، اللواتي وقفن مواقف الآباء والدين في نصرة أمير المؤمنين(ع)، في حروبه ومواقفه، فكان يرسل عليهن معاوية ليروعهن، ومن تلكم النسوة. كانت عكرشة بنت الأطرش. التي أدخلت على معاوية متوكئة على عكاز، فسلمت عليه بالخلافة. ثم

---

(١) ٣٥ سورة الاحزاب

(٢) ٧١ سورة التوبة

جلست. فقال معاوية!! الآن صرتُ عندك أمير المؤمنين، قالت نعم إذا لا عليّ حي!! قال: ألست المتقلدة حمائل السيوف بصفين وأنت واقفة بين الصفين، تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، ان الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم. ان معاوية دلف إليكم بعجم العرب، غلف القلوب لا يفقهون الايمان، ولا يدرون ما الحكمة. دعاهم بالدنيا فاجابوه واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه). إلى آخر حديثها فلم تنكره ولم تتبرأ منه ولم تخرج من معاوية الا بقضاء حوائج قومها[1].

ونموذج آخر للمؤمنات الصابرات المحتسبات وكان مع أسماء بنت النعمان بن بشير - وهي زوجة الثائر المجاهد المختار الثقفي الخارج بطلب بثأر الامام الحسين (ع) - فانه بعد ان قتل مصعب بن الزبير زوجها المختار في عام ٦٨ هـ. أخذها وسألها: ما تقولين في المختار؟ فقالت، غير مترددة ولا وجله: إنه كان تقياً صواماً قوّاماً!! فقال لها: يا عدوة الله أنت ممن يزكيّه ثم أمر بها فقطعت عنقها وهي بذلك أول امرأة ضرب عنقها صبراً..)[2].

أقول: إن أول امرأة قتلت صبراً في الاسلام هي زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، أحد شهداء كربلاء، حيث جلست عند رأس زوجها حين هوى صريعاً، وهي تقول: اللهم الحقني به فأمر عمر بن سعد غلامه رستم فشدخ رأسها بعمود فماتت)[3].

وصورة أخرى لامرأة واعية حكيمة، واسمها أمينة بنت خضيّر، وكان أخوها ابن خضير، وهو من أولاد مصعب بن الزبير، من أكثر اتباع محمد ذي النفس الزكية(رض) دفاعاً عنه واستماتة في الذود عن مبدئه ونهجه.. وقاتل قتالاً شديداً حتى قتله أحد طغاة ذلك العصر وهو حميد بن قحطبَة. والذي سيكون بعد سنين مدير الشرطة أيام الرشيد العباسي. وكانت اخته امينة هذه خارج المدينة، تسأل عن أخيها. فلما سمعت بما جرى على محمد ذي النفس الزكية، وانه قد قتل. بادرت بالسؤال عن أخيها ابن خضير. فقيل لها قتل أيضاً! فلما سمعت بقتل أخيها سجدت لله!!

---

(١) المجالس السنية - السيد محسن الامين - ج١ ص٢٩٨ - دار التعارف

(٢) موسوعة العذاب - عبود الشالجي - ج١ ص٥٧ - الدار العربية للموسوعات

(٣) مقتل الحسين (ع) - المقرم - ص - دار الكتاب الاسلامي

فتعجب من ذلك زوجها وسألها مستنكراً؛ أتسجدين أن قتل أخوك؟ فماذا تتوقع ان يكون جواب اخت مفجوعة بأخيها وقد بلغها للتو نبأ مصرعه واستشهاده؟ ماذا تبرر سجودها لله حينما سمّعت بمقتل هذا الأخ؟ قالت: اليس لم يفرّ ولم يؤسر!!(١).

يا للجواب الكبير الذي انطلق من نفس كبيرة واعية.

فالقتل أولى من الفرار، وأولى من الأسر. الذي قد يترتب عليه عواقب لا يرضاها ذووا المروءة وأصحاب المباديء.

هذه ثلاث صور رسالية عن نسوة من مستويات مختلفة وظروف متباينة. ما أجدرنا أن نربّي بناتنا واخواتنا على مثل هذه النماذج الكريمة، بما يعيننا على ايجاد الجيل النسوي الملتزم الواعي الذي يتحمل أعباء انشَاء جيل مؤمن كريم..

الام مدرسة اذا اعددتها اعددت شعباً طيب الاعراق

(١) موسوعة العذاب ـ عبود الشالجي ـ ج٥ ص١٤٣ ـ الدار العربية للموسوعات

درس عملي في الاخلاق

٨٩

منذ أن حطّ الشيخ الطوسي رحاله في النجف الأشرف، قبل أكثر من الف سنة ـ بعد فتنة طائفية في بغداد ـ والتحاق طلبته به. تحولت النجف إلى معقل الدراسات الاسلامية المعمقة. حيث تحملت حوزتها مسؤولية استمرارية العطاء الفقهي للمسلمين. فكانت منارة العلم، وكنز المعرفة ومدينة العطاء.

وكانت النجف الأشرف ولا زالت أمنية كل طالب علم، في أن يفد اليها، تكتنفه اجواؤها، ويغترف من نمير علومها، وفيوضات رجالات الفقه والتقوى فيها... ومن الطبيعي أن تنشأ علاقات الأخوة والمودة بل تتعداها إلى علاقات أوثق، بين الطلبة والعلماء الوافدين إلى النجف وحوزتها العلمية، وبين طلبة وعلماء المدينة نفسها. بل ويبقى العلماء حتى بعد عودتهم إلى أوطانهم، يحنّون إلى النجف وذكرياتها. ويجدون أسعد أيامهم يوم رجعوهم إلى جوار أمير المؤمنين (ع) في زيارة أو فترة دراسية أخرى...

ومن العلماء البارزين الذين اغترفوا من معين حوزة النجف وظل يحنّ إلى أيام دراسته، ورفاق الدرس، كان الشيخ النراقي... الذي كانت تربطه بالسيد بحر العلوم وشائج اخوة ودراسة ومودّة أكيدة.

فلما رجع إلى بلدته نراق كان دائماً ما يراسل السيد بحر العلوم، ويعرب في رسائله عن شوقه الكبير ولهفته العميقة إلى النجف وذكرياتها. ومن أشعاره التي اشتهرت عنه، وهو يخاطب السيد بحر العلوم:

الأقل لسكان ارض الغري ... لقد فزتم بجنان الخلود
افيضوا علينا من الماء فيضا ... فانا عطاشا وانتم ورود

فاجابه السيد بحر العلوم بنفس الوزن والقافية؛

الأقـــل لمولى ليرى من بعيـد ... ديـار الحبيب بعين الشهـود

لك اللـــه مــن غائب حاضر على حاضــر غائب بالصـدود
فنحن على القرب نشكو الظما وفزتم على بعدكم بالورود[١]

وكانت علاقة الشيخ النراقي بالسيد بحر العلوم علاقة معروفة يعرف بها العلماء ومن له علاقة بهما. توفق الشيخ النراقي إلى تأليف كتابه الشهير في عالم الاخلاق واسماه بـ(جامع السعادات)، والذي ذاع صيتهُ، واشتهَر ذكره، في كل الأوساط العلمية، وتلقته النجف بمزيد من الفخر والاهتمام والتقدير.

ومن الطبيعي ان تكون سعادة السيد مهدي بحر العلوم، وابتهاجه وفخره، أشد من غيره بهذا الكتاب. الذي انتجه صديقه واليفه ورفيق درسه وتحصيله.

ثم تناقلت الأخبار أن المولى النراقي ينوي زيارة النجف الأشرف. لزيارة قبر أمير المؤمنين (ع)، وليجدد العهد بالحوزة العلمية اساتذة وطلبة. ولا سيما مع اصدقائه واقرانه. وفي مقدمتهم طبعاً السيد مهدي بحر العلوم.

وفعلاً فقد جاء المولى النراقي، ووصل النجف، واستقر في بيت أحد العلماء المرموقين ثم جاءت جموع العلماء والطلبة ووجهاء البلد، بل وعامة الناس إلى زيارته، في محل اقامته ببيت ذلك العالم.

ولكن الملفت للنظر ان السيد بحر العلوم لم يزر الشيخ النراقي، كما صنع كل العلماء والوجهاء والطلبة، أمن المعقول أو المتوقع أن يتأخر السيد بحر العلوم عن زيارة هذا الصديق الشقيق وهذا المحبّ القديم؟ ولو أن احداً لم يزر الشيخ النراقي لكان السيد بحر العلوم هو الزائر الوحيد، فكيف وقد جاء الجميع لزيارته واستقباله، والترحيب بقدومه، وتأخر عن ذلك أقرب الناس إليه والصقهم به؟؟

حتى اخذت مجالس النجف تنقل هذه المفارقة الغريبة وهذا النمط غير المتوقع، من اسلوب تعامل السيد بحر العلوم مع الشيخ المولى النراقي. ثم ان العادة جرت على أن الزائر أوالضيف يقوم بردّ الزيارات التي قام بها المستقبلون له والمرحبون به، بعد أيام من استقراره.

فالتفت بعضهم إلى المولى النراقي مرة وقال له: يا شيخنا لقد ابطأ عن زيارتك السيد بحر العلوم، والذي كنا نتوقعه أول المرحّبين بك والمستقبلين لك! فقال: لا بأس عليكم فلعل للسيد الكريم عذراً حال دون زيارته لي!! ومع ذلك فأنا من سيقوم بزيارته

(١) تاريخ العلماء ـ الشيخ محمد رضا الحكيمي ـ ص٦٢٣ ـ مؤسسة الاعلمي

في بيته ، على رغم من أنه لم يزرني!!

فاكبر الناس هذه المبادرة الطيبة واستقبلوها بارتياح واعجاب كبيرين. ثم ان الشيخ النراقي بعث إلى السيد من يخبره أنه ينوي زيارته في الوقت الكذائي. وحدد لذلك موعداً خاصاً.

وبقيت النجف وحوزتها ومجالسها بانتظار ما سيحدث حينما يدخل الشيخ النراقي إلى ديوانية السيد بحر العلوم. وكيف سيتم اللقاء وبماذا يعتذر السيد عن عدم زيارته للشيخ النراقي القادم من ايران إلى النجف؟! وجاءت مع الشيخ جموع غفيرة فيما اكتظ مجلس السيد بحر العلوم باعداد وجماهير اخرى من كل طبقات المجتمع.

وجاءت لحظة الانتظار ودخل الشيخ، تحف به طبقات العلماء والطلبة مجلس السيد. ونهض الجميع لاستقباله.. لكن المفاجأة الثانية التي لا تقل غرابة عن الأولى، وهي ان السيد بحر العلوم لم يقم ولم ينهض لاستقباله وقد جاءه زائراً إلى بيته وفي مجلسه!!! فازداد الناس تعجباً من تصرف السيد هذا، واَخذت الهمهمات والأصوات المدهوشة تنتقل من الشفاه إلى الاذان، باستغراب ودهشة وانبهار من سلوك السيد بحر العلوم هذا؛ وتناقلت لحظات العيون علامات التعجب والذهول...

وبعد فترة من الجلوس، قام الشيخ النراقي مودعاً المجلس وأهله.. فنهض معه كل من في المجلس مودعين له ومشيعين.. وإذا بالمفاجأة الثالثة وهي، بقاء السيد بحر العلوم جالساً كذلك لم يتحرك أو ينهض لتوديعه وتشييعه! فازداد الناس تعجباً وبلغت بهم المذاهب مبلغها في تفسير هذا التصرف!!

ولما همّ الشيخ النراقي بالخروج من المنزل. وإذا بالسيد بحر العلوم ينهض مسرعاً ويلتزم الشيخ من خلفه ثم انهال عليه مقبلاً ومسلماً ومحيياً! فدهش الجميع وذهلوا لهذا التغيير المفاجيء والذي كان على نقيض كل التصرفات السابقة. ولم يعرفوا تفسيراً لذلك!!

وإذا بالسيد بحر العلوم يخاطب الجميع موضحاً لهم العلة في كل تصرفاته السابقة واللاحقة حينما اعلن لهم قائلاً: إن كل ما فعلته مع المولى النراقي، أخي وصديقي وأعز الناس اليّ، لكي أثبت لكم ان سماحته حينما ألف كتاباً في الاخلاق فان سلوكه واخلاقه واسلوبه، فيها التجسيد الحقيقي والصادق للاخلاق!!

فتعلموا من سلوكه وأخلاقه قبل ان تتعلموا من كتابه ومؤلفاته!! فارتفعت

الأصوات بالتكبير والتهليل والصلاة على محمد وآل محمد الطاهرين.

وعمت الفرحة والبهجة أجواء النجف ومجالسها واعتبر ذلك كرامة ودرساً عملياً في الاخلاق، أراد السيد بحر العلوم من خلاله الاشادة العلمية والواقعية برفيقه الشيخ النراقي [١].

وصدق أمير المؤمنين (ع) حينما يقول مؤكداً هذه الحقيقة التربوية العميقة كما وردت في نهج البلاغة: (من نصب نفسه للناس اماماً فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم).

(١) القصة سمعتها من أخي العلامة الخطيب الشيخ حمزة الخويلدي

حنين إلى الأوطان

٩٠

يمثل الجانب العاطفي في حياة الانسان جانباً أساسياً في شخصيته، وتميزه عن بقية الموجودات. وهذا الجانب هو أحد الجوانب المهمة التي تشكل للإنسان ملامح شخصيته وبها يتميز إنسان كذلك عن آخر..

وارتباط الانسان بوطنه وحنينه إلى ملاعب صباه، وذكريات طفولته ونشأته. حنينه إلى الأرض التي أكتنفته وضمته، يكاد يكون أمراً فطرياً، يجعل كل واحد منا يرى في وطنه وبيئته التي نشأ فيها، كأنها أحلى بقاع الأرض وأجمل أماكنها...

وجميلَ ما يقولَ الشاعر:

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي ... وأول أرضٍ مسَ جلدي تُرابها

ويقول آخر:

بـلاد الفناهـا على كل حـالة ... وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

وتستعذب الارض التي لا هوى بها ... ولا مـاؤها عـذب ولكنـها وطن

ولهذا نجد أن الطلاب أو المهاجرين من بلاد، قد تكون متواضعة من حيث جمالها، أو وفرة المياه أو كثرة اشجارها، ومساحةً أخضرارها، أو طيب طقسها... ولكن مع ذلك ورغم أنهم - المهاجرون - يعيشون في أجمل بلاد الأرض من حيث الأشجار والمياه وجمال الطبيعة الخلابة، مع ذلك فانهم يحنون إلى تلك البلاد يتغزلون بها وكأنها غادة معطار..

والاسلام لم يلغِ هذا الشعور، وهذا الارتباط الفطري في حياة الانسان، ولهذا نجد أن رسول الله (ص) حينما املت عليه مصلحة الاسلام وظروف الرسالة، الهجرة إلى يثرب. كان (ص) يحن إلى مكة إلى وطنه ويسأل عن أحوالها وظروفها وأهلها وبيوتها.. حتى انه(ص) قال فيها، حينما همّ بالهجرة ومغادرة مكة، قال وهو يرمقها بعينه: «الله يعلم أني أحبك ولولا أن أهلك أخرجوني عنك لما أثرت عليك بلداً ولا

ابتغيت عنك بدلاً واني لمغتم على فراقك» . .

كما أننا نجد أن الإمام زين العابدين (ع) وفي الدعاء الثاني من أدعية الصحيفة السجادية، يؤكد مدى ما كان يعانيه النبي (ص) حينما هاجر إلى يثرب مغادراً مكة . . .

(اللهم فصل على محمد امنيك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيك من عبادك. إمام الرحمة وقائد الخير، ومفتاح البركة، كما نصّب لأمرك نفسه ـ أي اتعبها ـ وعرّض فيك للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء إليك حامته وحارب في رضاك أسرتهُ، وقطع في إحياء دينك رحمة، واقصى الأدنين على جحودهم، وقرب الأقصيين على استجابتهم لك. ووالى فيك الابعدين وعادى فيك الأقربين، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبَها في الدعاء إلى ملتك. وشغلها بالنصح لأهل دعوتك. وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأي عن موطن رحله. وموضع رجله، ومسقط رأسه، ومأنَس نفسه إرادة منه لأعزاز دينك . . .)[1].

فنجد الامام(ع) وهو يستعرض تضحيات رسول الله(ص) ومكابدته في سبيل دين الله، أن من أهم تلك الأمور مسألة هجرة بلاده وترك وطنه. لما للوطن من عوامل شد، وارتباط للانسان به. .

وفي رواية عن أمير المؤمنين(ع):

(ثلاثة من كرم المرء: حنينه إلى أوطانه، بكاؤه على ما مضى من ايامه، حفظه لقديم اخوانه. .)

صفات جليلة تحتاج إلى حديث خاص ولكننا نجمل ذلك، حيث نجد في مقدمتها مسألة الحنين إلى الوطن، فكما يكتشف كرم المرء واخلاقه من خلال حفظه للصديق القديم، الذي تربطه معه أيام كريمة أو ببكائه من نبله وكرمه ـ على الأيام والَذكريات الجميلة التي غادرت إلى غير رجعة، كذلك تأتي مسألة حنينه إلى أوطانه.

وكان معروفاً عند الأطباء القدامى، أنهم كانوا يعالجون المرضى الغرباء، بشيء من مياه بلدانهم أو بشم قبضة من تراب أوطانهم. . ومسألة الحنين إلى الوطن من الظوّاهر الاجتماعية التي قد تسببَ للغريب أو المهاجر مشكلة نفسية من خلال فرط تعلقه بوطنه واجتراره لذكرياته وأخبار أهله واحبته ويطلق عليه (مرض الحنين إلى الوطن):

وكان الانصار ـ بعد فتح مكة ـ يخشون من مجرد التفكير باحتمال عودة رسول

(١) الصحيفة السجادية ـ ص١١ ـ دار الأضواء

الـلـه(ص) إلى مكة - إلى وطنه - وترك المدينة، وحين جاء البعض إليه (ص)، لينقل له تخوف الانصار هذا، إبتسم رسول الله(ص) في وجهه، واعلمه انه لن يترك المدينة فطغت الفرحة على وجوه الانصار. وعاد جميع المهاجرين مع الرسول (ص) إلى المدينة، ولم نسمع عن مهاجر عاد إلى مكة بعد فتحها.

ويروى أن أمير المؤمنين (ع) بعدما هاجر من مكة لم يبت فيها أبداً!

(فعن الإمام الرضا(ع): ان علياً لم يبت في مكة، بعد أن هاجر منها حتى قبضه الله عز وجل إليه، قال الراوي: لم ذلك؟ قال (ع): كان يكره ان يبات بأرضٍ قد هاجر منها، وكان يصلي العصر ويخرج منها ويبيت بغيرها)[1].

وقد يكون من المرغبّات في التعلق بالوطن كون الوطن محطة من محطات الأيمان، ومركزاً من مراكز الهدى، وبلداً من بلدان الاسلام ورجاله. كالبلدان التي تضمنت عتبات مقدسة ضمت أجساد اعلام السير الى الله تعالى، فيها قبور الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه... وما بدلوا تبديلاً.

وجميل قول الشاعر:

إذا مـت فادفني إلى جنب حيـدر ... أبي شبر انعم بـه وشبير

فلست أخاف النـار عنـد جـواره ... ولا اتقي من منكـر ونكيـر

وعار علىّ حامي الحما وهو في الحما ... إذا ضل في البيدا عقال بعير

نعم تحن النفوس إلى وطن فيه علي والحسين وأربعة آخرون من ائمة أهل البيت عليهم السلام اجمعين.

المظهر (المظاهر) والتقييم

٩١

إن مسألة تقييم المقابل سلباً أو ايجاباً، وما يترتب على ذلك من إلغاء علاقة أو تأسيسها أو تقويتها معه، تعتبر من المسائل الاجتماعية المهمة التي لا بد فيها للانسان من أدوات دقيقة، وأساليب حكيمة في سعيه لمعرفتها والاحاطة بها..

نجد ان بعض الروايات تدعونا إلىَ ان نقيم الناس على أساس مظاهر أعمالهم الخارجية ولا سيما المؤمنين. فنجد مثلاً في أحكام صلاة الجماعة وضرورة إحراز عدالة الإمام. ان من طرق ذلك: هو الاطمئنان الحاصل من صلاة المؤمنين خلفه. كما ان الامام يكفي في الاطمئنان إلى عدالته، أعماله الخارجية وتصرفه المعلن وعدم اكتشافه متجاهراً على معصية أو مصراً عليها..

كما ان علاقتك العامة مع الناس، أو مع اخوانك المؤمنين، هي على أساس التعامل الخارجي، والتصرفات اليومية والسلوك الذي ترى أخاك عليه..

ولكن هل ان المظهر الخارجي للانسان يعتبر مقياساً دقيقاً، أو يعمل به على كافة المستويات ولمختلف المهمات؟

إن هناك موارد دقيقة، ومواقف صعبة، وحالات حساسة. لا بد من حصول الاطمئنان المتاخم للعلم والقريب من اليقين، ولا نقول الاطلاع الكامل على الانسان ونفسيته وعمقه لأن ذلك لا يعلمه الا الله تعالى.. والانسان وان كان لا يقدر على تجاوز هذه الحدودَ، ويستحيل له ان يطلع على نفس المقابل واعماق تفكيره وافاق ذلك.. ولكن لا بد من وجود ضوابط معينة وأساليب خاصة، ومجسات خارَجية. يمكن ان تكون معينة لنا على الاقتراب من معرفة شخصية الآخر، جهد الامكان.

فمثلاً إن كثرة العبادت الخارجية لا تعتبر المقياس الدقيق في تقييم الآخرين. بل هو شيء آخر غير هذه العبادات، فعن النبي (ص): (لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف. وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث واداء

الامانة)[١].

فالمقياس اذن هو صدق لهجة الحديث، ومدى حرصهم على اداء الامانات.

وحديث آخر في نفس المعنى عن الامام الصادق (ع): لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث، وأداء الامانة[٢].

حيث اشار إلى تحول العبادة إلى عادة عند بعض الناس، ففقدت عطاءها وتأثيرها على نفسه وخلقه وسلوكه!!

وقد ابتلي أمير المؤمنين (ع) بأصحاب الجباه السود التي تقرحت من كثرة الصلاة، وبمن حفظ القرآن عن ظهر قلب. ابتلي (ع) بالخوارج الذين كانوا رغم كل هذه المظاهر العبادية، الصارخة والمؤثرة، فان مواقفهم ووعيهم وسلوكهم، كان على نقيض ما يجب ان توحيه هذه العبادات وتبنيه من مواقف ووعي وسلوك.

ولا شك ان حسن السمت وتقرح الجبهة من كثرة السجود والطنطنة بالقرآن والادعية أمور ظاهرية تؤثر في كثير من الناس. وبالمناسبة هنا أود نقل رأي للمرحوم الشيخ المطهري اذ يقول:

لو أردنا أن نشكر الله تعالى على شيء، فانا نشكره على أننا لم نكن موجودين في عصر علي(ع)!! اذ قد نشترك معه في حرب الجمل او صفين، لكن لا تصدقوا ان كنا أن نشترك في حرب النهروان!! وذلك لأن علياً(ع) قاتل اناساً قائمين الليل، صائمين النهار، وجباههم متقرحة من كثرة السجود، فأي شخص يجرأ على أن يقاتلهم!!)[٣].

ومن جهة أخرى فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) رواية يمكن ان نرجع إليها كمقياس من مقاييس اكتشاف عمق الايمان في النفوس. فعنه(ع): امتحنوا شيعتنا؟ عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها؟ وإلى اسرارنا كيف حفظهم لها عند عدوّنا؟، وإلى اموالهم كيف مواساتهم لأخوانهم فيها؟[٤].

---

(١) ميزان الحكمة - الري شهري - ج١ ص٣٤٤

(٢) المصدر السابق - ج٥ ص٢٨٧

(٣) الاسلام ومتطلبات العصر - الشيخ مطهري - ص٨٣

(٤) ميزان الحكمة - الري شهري - ج٥ ص٢٣٢

فهذه ثلاثة مقاييس أخرى نختبر بها الناس ونمتحن عمق ايمانهم وصدقهم . . .

الصلاة والمحافظة على ادائها في وقتها ، وعدم إهمالها وانشغالنا بالدنيا على حسابها . ان المحافظة على أوقات الصلاة مؤشّر على صدق الانسان المؤمن مع الله ومع نفسه ودينه . . ﴿قد أفلح المؤمنون . . والذين هم على صلواتهم يحافظون . .﴾[1] . ولكن هل اعتبر هذا الامر بمفرده كافياً لمعرفة الناس وتقييمهم ؟

كلها ، ولهذا أضيف الامر الثاني وهو مدى حفظهم لأسرار الاسلام وأسرار المؤمنين ، ان كتمان السر والمحافظة عليه موضوع مهم وخطير وترتب عليه اثار كبيرة ومهمة . . والحديث عنه حديث طويل . .

والثالث هو مدى صدق المؤمن في مواساته لأخوانه باموواله . . لأن القليل ممن يكون صادقاً ومواسياً لأخوانه بأمواله ، نعم قد يواسيهم بلسانه او دعائه او توجعه . . ولكن المواساة بالمال ذلك امر لا يُوفق له الا الصادقون . .

فهذه اذن خمس مقاييس - وهناك مقاييس أخرى - لمعرفة صدق الانسان مع ايمانه . .

صدق الحديث ، اداء الامانة ، المحافظة على اوقات الصلاة ، حفظ الأسرار ، ومواساة الاخوان بالمال . .

ولنبدأ بأنفسنا ونطبق عليها هذه المقاييس . . ولنسأل أنفسنا هل نجتاز هذه المقاييس والاختبارات بصدق ونجاح . ؟ . اللهم اعنا على انفسنا بما تعين به الصالحين على انفسهم . .

---

(١) ١ سورة المؤمنون

الشكوى من الزمان

٩٢

دائماً ما نقرأ او نسمع شكوى الناس من الزمان. فنجد التنهدات والحسرات، تنطلق هنا وهناك متبرمة من تغير الزمان. وذهاب الخير، وغياب المروءة. وان المسيرة البشرية تمشي نحو الهبوط في كل شيء. وان الأمس دائماً هو خير من اليوم، وان اليوم دائماً هو أفضل من الغد. وكم تأسف الناس على ايامهم الماضية وزوال أوقات سرورهم وأفراحهم. يقول الشاعر ابراهيم بن العباس:

سقياً ورعياً لأيام لنا سلفت ... بكيت منها فصرت اليوم أبكيها

كذاك أيامنا لا شك نندبها ... اذا تقضت ونحن اليوم نشكوها

وقد أصاب الشاعر كبد الحقيقة، حينما قال: ان تكون الايام التي نتحسر عليها وكنا نعيش فيها ظروفاً قاسية، واحداثاً مؤلمة. ولكننا لم نتذكر الآن الا جميلها. وهذا بحسب ما يقوله علماء النفس حينما يحللون ظاهرة حنين الانسان الى ماضيه، من أن العقل البشري يميل إلى نسيان الأمور المزعجة وتذكر الأمور المسرة والمفرحة فقط.

فنجد البعض يحلوله كثيراً، الابتعاد عن الناس، والمعيشة في حالة تأسف وبكاء على اطلال الماضي وتخوف وتجهم مما يأتي به الغد وما بعد الغد.

والمسألة ليست محصورة في هذه الأيام او هذه السنين، فاننا إذا رجعنا إلى كتابات الماضين وقصائد الشعراء الاقدمين، فاننا نرى بوضوح ظاهرة الشكوى من الزمان.. فنجد البعض مثلاً ممن ألّف الكتب، ينهي تأليفه بالاعتذار عن أي خطأ في ذلك الكتاب، لأنه كتبه في حال تشتت البال وتغير الزمان والأحوال!!

والطف ما وجدت في هذا الأمر، هو حجر عليه نقوش من أيام الفراعنة في مصر، ولما حلّت هذه الرموز، وإذا بها شكوى يبثها شيخ كبير حيث يتبرم فيها من تغير الزمان، وتبدل الأحوال، وينتقد الشباب الذين لا يأخذون الحكمة والعبرة من الشيبة.. كان هذا قبل أربعة الاف سنة!!

والمسألة لو أردنا تحليلها فاننا نسأل ما هو الزمان؟ هل هو هذا الليل والنهار هذه السنون والشهور؟ فاذا كان القصد هذه الازمنة، فانها لا تملك ان تمتدحها أو تذمها. لانها ظروف زمان، تمتدح أو تذم على أساس ما يعمل خلالها وفيها من أعمال صالحة أو أخرى سيئة خاطئة.

فلا مجال اذن للتبرم من الزمان اذا قصد به الايام والاسابيع والأشهر والسنين. وأما اذا قصدنا بالزمان اهله، والناس الذين يعيشون فيه. ويعاملون بعضهم بعضاً من خلاله فان الناس لم يكونوا في زمن ما، او مكان ما، دائماً على خير ثم يبدأ انحرافهم او هبوطهم أو زيادة جرائمهم واخطائهم.. لأن هناك فترات تمر بها البشرية، فتارة في صلاح وأخرى في انحراف.

لو عشنا على سبيل المثال في الزمن الذي كان قبل بعثة موسى(ع)، فماذا سيقول القائل؟ لا بد ان يقول ان الدنيا قد انتهت ولا أمل في أي خير، وأن أهل الضلال هم المبرزون في المجتمع. ولكن كم تغيرت الأمور بعد بعثته(ع). وهكذا قبل بعثة أي نبي. لا سيما قبل بعثة نبينا(ص). فمن يرى الناس أيام الجاهلية، ييأس من أي تصور للارتقاء نحو الأفضل، إذ كل ما حوله كان يوحي بالفساد، والانحراف والسقوط. وما ان بعث النبي(ص)، وبزغ نور الاسلام. وإذا بالخير والهدى والصلاح هو الغالب في الأمة.

وحتى بعد انحراف المسيرة بعد النبي(ص). فان من يقرأ أوضاع الأمة قبل ثورة الإمام الحسين(ع) مثلاً من حيث تركها للمسؤوليات، وانكبابها على الدنيا، وجهالتها بأهل البيت(ع) ودورهم في الأمة. من يرى ذلك ثم يلمس التغيير الكبير الذي احدثته ثورته(ع)، فانه سيحكم ان الزمان بعد ثورة الحسين(ع) هو خير للأمة من الزمن الذي قبلها.

والأمر قبل بروز مدرسة الامامين الصادقين(ع)، غير الأمر بعد توسع المدرسة العملاقة، واغتراف الامة من نمير علومهما، علوم أهل البيت الوحي (ع)

وفي زماننا هذا فان من يشاهد أوضاع الأمة، وتوجه شبابها وطلائعها المثقفة، في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات، فإنه لن يتصور ان عقود الثمانينات والتسعينات، وربما عقود أخرى، سوف تحتضن الصحوة الإسلامية، ويرى التزام الشباب المسلم وتمسك الشبيبة بالدين وتعاليمه واخلاقه وقيمه بما لم يعهد في سنين مضت.

ألم يكن قد تنبأ الشهيد الشيخ عارف البصري، بذلك حينما قال: الثمانينات سني

الإسلام. قال ذلك رحمة الله في أشد الظروف وأقسى الازمات.

نشرت صحيفة مغربية صورة تجمع بين بنت وامها وجدتها.. حيث نجد ان البنت الشابة محجبة، وأمها متوسطة العمر متبرجة، فيما كانت الجدة الكبيرة السن محجبة!! وهي صورة تحكي التطور وأسلوب التفكير الذي حل مجتمعات المسلمين واثار الصحوة الاسلامية، وروح العودة إلى الاسلام.

فالبنت حجابها عن وعي وفهم، والام نموذج لضياع ذلك الجيل وتأثره بالحضارة الغربية ونأيه عن فهم الإسلام، والجدة تحكي الحجاب التقليدي.

فلا بد أن الجدة كانت تعتقد ان الزمان مقبل على كل شر، لما رأت ابنتها سافره متبرجة. ولكن هل خطر في بالها، أن حفيدتها ستعود محجبة مثلاً. وبوعي والتزام وفهم أعمق وأشد؟

والأمر الأكثر أهمية من كل ما قلنا، هو أن البشرية تنتظر في كل مظاهرها في آلامها وآمالها في مسيرتها المستقيمة، أو انكفائها عن الجادة، في كل ذلك فان البشرية تنتظر ذلك اليوم، المملوء نوراً وخيراً وعطاءً، تنتظر يوماً هو من أعظم أيام الله، انه يوم الظهور المرتقب والخروج المبارك يوم يعلنها الامام المهدي(ع)، من مكة المكرمة من بين الركن والمقام، يعلنها عودة حقيقةً تاريخيةً إلى طريق الله.

إذن فان المستقبل الذي ننتظرهُ زمن خير، وزمن أمل، وزمن رجاء. وإذا أردنا أن ننتقد الزمان فلننتقد أنفسها ننتقد أعمالنا وسلوكنا.

وما أحكم الشاعر في قوله:

نلوم زماننا والعيب فينا وما للدهر من عيب سوانا

رضا الناس

٩٣

المؤمن انسان يعيش في مجتمعه وتتجاذبه عوامل عدة يتحرك ضمن معادلات اجتماعية معينة، وجاءت توجيهات الدين الحنيف لتؤكد، بأنه ينبغي على المؤمن، أن يسعى لأن يكون إنساناً طيب المعاشرة، طلق الوجه، مستبشره، دمث الأخلاق حسنها..

وبالتالي فان ذلك لا بد أن ينعكس ايجابياً على تقييم الآخرين له، ونظرة الناس إليه. ولكن هل ان مسألة رضا الناس عن المؤمن تعتبر مقياساً من مقاييس تقييمنا للشخصيات، واساساً من اسس معرفة الآخرين وتشخيص الجوانب الإيجابية أو السلبية في سلوكهم؟!

إننا نجد أن الإمام أمير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الاشتر يشير إلى هذه المسألة. حينما يأمره بأن يسير السيرة الحسنة، ويذكرّه بانك كما كنت تنتقد الآخرين وتقول فيهم فانهم سيقولون فيك (وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنتظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولن فيك ما كنت تقول فيهم) ثم يشير إلى موضوع حديثنا فيقول (ع) (وانما يُستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده...)[1].

فجعل (ع) من أدلة معرفة الصالحين والسمعة الطيبة والكَلام الحسن الذي يتناقله الناس عنهم.

ونجد في جانب آخر من هذا العهد العظيم - الذي لا تزال كنوزهُ خفية عن غالبية الأمة - نجد أن أمير المؤمنين (ع)، يؤكد على ضرورة المحافظة على السمعة الحسنة والظن الطيب، لهذا أوصى مالكاً (رض) بان يبادر إلى شرح موقفه إذا أحس بأن الرعية بدأت تتكلم عنه وتسيء ظنها به. فيقول (ع): (وإن ظنت الرعية بك حيفاً فاصحر - أي بيّن - لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك، فان في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً

(١) نهج البلاغة - ص٤٢٧ - اعداد صبحي الصالح.

برعيتك وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق)[١].

فأمير المؤمنين (ع)، هنا يوصيه بانه؛ إذا ظن افراد رعيتك بك ظلماً، فعليك ان تبين رأيك وموقفك كي تجلي صورتك وتقطع حالة سوء الظن هذه. اضافة إلى أن فيها تربية للنفس، حينما يتحدث الوالي أمام رعيته باسباب اتخاذه موقفاً معيناً، وفوائد أخرى.

فمن هذين النصين المتقدمين، نجد أهمية ما يتكلم به الناس عن الانسان المؤمن، وطبعاً ان حديثنا هنا ليس على أساس، ان أعمل ما يرضي الناس وان خالف ذلك الدين واحكامه!! لأن هذا حديث بعيد عن موضوعنا، وانما حديثنا في حال المؤمن، الذي يعمل بما يرضي الله تعالى. فهل ان عليه ان يحرص على ان تكون له سمعة طيبة ام لا؟ وإذا لم يحدث ذلك وأسيء به الظن او تكلم الناس عنه فماذا يفعل؟

وسمعة الانسان المؤمن تتعدى حدود شخصيته الذاتية، فتنعكس على الايمان والالتزام سلباً أو ايجاباً.

اذن على المؤمن ان يواجه اي محاولة للطعن في سمعته وشخصيته في المجتمع، عبر متابعة الأمر، ومحاولة توضيح موقفه وتقديم اعذاره كي يبين للآخرين أمره. ويعين اخوانه ومحبيه على الاستمرار في نظرتهم إليه بايجابية وثقة، ولكي يقطع الطريق على من يريد الاساءة إليه، ومن ثم إلى اخوانه المؤمنين ودينه..

وهنا نريد طرح قضية أخرى تخص موضوعنا هذا...

وهي: هل يمكن للانسان ـ اي انسان ـ أن يكفّ السنة الناس عنه؟ بحيث لا يتعرض له أحد بكلمة او مغمز أو اساءة، وهل هذا في مقدور الانسان؟ الواقع ان هذا أمر يستحيل تحصيله.

لأننا لم نجد نبياً أو إماماً أو عالماً أو صالحاً، إلا وقد تكلم بعض الناس عليه بظلم وأساءوا فيه القول.

هذا رسول الله (ص) أكرم الخلائق وأشرف الموجودات، قيل فيه أنه ساحر وكاهن وشاعر ومجنون.. وتحدث عن ذلك القرآن في أكثر من آية في سوره الكريمة، وهو يحكي ما يقولون:

﴿ان هو الارجل بهِ جنّة، فتربصوا به حتى حين..﴾[٢].

---

(١) نهج البلاغة ـ ص٤٤٢ ـ اعداد صبحي الصالح.

(٢) ٢٥ سورة المؤمنون

﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون﴾[١].

ويحكى أن موسى(ع) طلب من الله تعالى خصلة وهي أن يكفّ السنة الناس عنه!!

فجاءه النداء من بارئه الكريم: هذه خصلة لم أجعلها لنفسي فكيف أجعلها لك!!

نعم لأن هؤلاء الناس اساؤوا الكلام واساؤوا الظن، حتى بخالقهم الكريم جل شأنه تعالى: ومما ورد في الحكم: ان رضا الناس غاية لا تدرك.

ولهذا على المؤمن ان يكون حريصاً على الالتزام بأحكام دينه والسلوك الذي يرضاه الله عنه. وان يحاول جاهداً على أن يحافظ على سمعته الحسنة مهما أمكن. ولكن ليعلم، أنه لن ينجو من السنة الناس مهما بلغ، ومهما عمَل والمهم ان يكون في نفسه واعماقها، واثقاً من عمله صادقاً مع ربه مخلصاً في عبادة ربه وطاعته...

بل وليعلم انه كلما ازداد عملاً وخدمة للناس فأن السنة الناس تناله أكثر فأكثر.

ولله في خلقه شؤون!!

ومما ينسب لأمير المؤمنين(ع) من الشعر:

قد قيل ان الاله ذو ولد وقيل ان الرسول قد كهنا

ما نجا الله والرسول معاً من لسان الورى فكيف أنا!!

---

(١) ٤٢ سورة الحاقة

من مظاهر رحمة الله تعالى

٩٤

ليس من باب الصدفة، أن تكون البسملة، وهي أول آية في سورة الفاتحة، وجزء لا يتجزأ منها. كما انها مؤكدة في بداية كل سورة في القرآن الكريم - عدا سورة التوبة -.

وليس من الصدفة كذلك ان يقرن الى اسم الجلالة هاتان الصفتان (الرحمن الرحيم). لتكون البسملة.. (بسم الله الرحمن الرحيم)، الرحمن هو واسع الرحمة، والرحيم هو ذو الرحمة وهي ارادة الخير لأهله..

رحمة الله.. ذلك الأمل الذي تتعلق به كل القلوب المثقلة بالآلام والهموم والأحزان.. ذلك الماء الرقراق البارد الذي تهفو إليه الأرواح التي ايبستها حرارة الذنوب وقساوة المعاصي..

انها الملجأ الذي يطمع فيه وفي الاحتماء به كل عاصٍ ومذنب ومقصّر..

رحمة الله اليد الحانية... التي تمتد إلى النفوسً المعذبة فتزيل عنها عذابها وآلامها...

وقد تظافرت عشرات الآيات القرآنية الكريمة، مع مئات الأحاديث عن النبي (ص) وأهل بيته المعصومين(ع). لتؤكد هذه الحقيقة الربانية والنفحة الألهية..

وكم من فقرة من فقرات الأدعية المأثورة، راحت تشيد برحمة الله الواسعة، وتعلق انامل الخلق، بشآبيب رحمة الرحمن الرحيم... (يا من سبقت رحمته غضبه..)

(اللهم ان مغفرتك ارجى من عملي، وان رحمتك أوسع من ذنبي، الهي ان كان ذنبي عندك عظيماً فعفوك أعظم من ذنبي!!، اللهم ان لم اكن اهلاً ان ابلغ رحمتك، فرحمتك اهل ان تبلغني وتسعني.. لأنها وسعت كل شيء...).

وإذا كانت رحمة الله تعالى، تسع كل شيء، ويأمل فيها كل مذنب، ويتطلع إلى رحبها كل قلب... فهي ولا شك تكون الأقرب إلى العبد المؤمن.. المطيع لله، المتعلق بخالقه الذي يدعوه ويتأمله، ويرجوه وينتظر عطاءه ورفده وجوده وكرمه..

﴿ان رحمت الله قريب من المحسنين﴾[١].

ولا شك ان احسان الانسان الى نفسه، بهدايتها وضعها على الطريق الذي يرضاه الله تعالى. هو أول الاحسان وأكثر الإحسان أهمية..

والحديث عن رحمة الله عز وجل حديث طويل وطويل..

ولكن نريد الحديث عن جانب واحد، يعكس مدى ما يفيض الله تعالى به من واسع رحمته على عباده المؤمنين.. حيث يتفضل الباري تعالى بغفران ذنوب وتكفير سيئات المؤمن، لحوادث ومشاكل لا بد منها في هذه الحياة، ويعاني منها كل انسان ولكن الله عز اسمه من فضله وكرمه ورحمته، يجعل من هذه الآلام الطبيعية يجعل منها أسباباً لمغفرته وعفوه وغفرانه!!

فالانسان - أي انسان - لا بد ان تصيبه الأمراض المختلفة في هذه الحياة.. ولكن المؤمن اذا تمرض فان مرضه يكون من دواعي غفران الذنب وستر العيب.

فقد قال أمير المؤمنين(ع) لبعض أصحابه في علة اعتلها:

(جعل الله ماكان من شكواك حطّاً لسيئاتك، فان المرض لا أجر فيه.. ولكنه يحط السيئات، ويحتها حتّ الأوراق. وانما الأجر في القول باللسان، والعمل بالأيدي والأقدام، وان الله سبحانه يدخل بصدق النية، والسريرة الصالحة، من يشاء من عباده الجنة)[٢].

ما أروع المفهوم الذي وضّحه أمير المؤمنين(ع) فيما أكد أن الأجر لايأتي الا بعمل، الحسنات طريقها العمل، أما غفران السيئات، فهو تكرم من الله تعالى يتفضل به على من يشاء من عباده.

والمسألة - مسألة الرحمة الالهية - لا تشمل حالة المرض فقط، بل ان كل ما يصيب المؤمن من آلام ومنغصات ومحن في هذه الدنيا، تكون كلها من دواعي غفران الذنوب وتكفير السيئات.

فقد ورد عن رسول الله(ص) (ما أصاب المؤمن، من نصب، ولا وصب، ولا الحزن، حتى الهم يهمه الاكّفر به عن سيئاته)[٣]!!

---

(١) ٥٦ سورة الاعراف

(٢) نهج البلاغة - الحكمة ٤٢ ص٤٧٦ - اعداد صبحي الصالح.

(٣) تحف العقول - ابن شعبة - ص٣٣

وكمصداق لهذه الهموم وان كانت بسيطة، والتي تلازم الانسان وتكون من موجبات غفران الذنوب، هذه الرواية عن النبي (ص): (ان احدكم ليضع الدراهم بين يديه، فيزنها فيجدها ناقصة!! فيغتم بذلك ثم يعيد وزنها، فيجدها سواء. فيكون ذلك حطاً لبعض ذنوبه)!![1].

يا لرحمة الله الواسعة، ويا لسعة العطف الالهي والرحمة العميمة، بحيث تغفر بعض ذنوب المؤمن لمجرد تصوره ان هناك نقصاً في أمواله وحزنه القصير هذا..

وليس الحديث هنا عن الآلام والمحن، التي تواجه المؤمن، وهو يؤدي رسالته، ويدافع عن دينه ومبدأه، فان لذلك حديث آخر، وتلك الآلام ليس فقط فيها حط للسيئات، بل فيها أجر وعمل صالح، لأنها آلام نتيجة مواقف وجهاد. كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة.

﴿.. ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ، ولا نصب، ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون منه عدوٍ نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين﴾[2].

وان من سعة رحمة الله تعالى، ان العبد اذا كان قد اعتاد على عمل صالح، وسلوك عبادي، ونشاط في طاعة الله تعالى، ثم حال المرض، أو ظرف صعب قاهر، دون القيام بذلك العمل الصالح، الذي كان قد اعتاد عليه، ولم يدعه أيام صحته وظروفه العادية... فهل يقطع عنه ثواب ذلك العمل، الذي انقطع عن ممارسته بفعل السقم؟ يجيب عن ذلك الامام الباقر(ع) في رواية عنه:

(يكتب للمؤمنين في سقمه من العمل الصالح، مثل ما يكتب له في صحته)!![3].

اللهم فارحمنا برحمتك.. فان لم نكن اهلاً لرحمتك فرحمتك اهل أن تسعنا لأنها وسعت كل شيء.. يا رحمن يا رحيم...

---

(١) تحف العقول - ابن شعبة - ص٤٥

(٢) ١٢ سورة التوبة

(٣) التمحيص - ابن شعبة - ص٤١٠

باحث عن عيوب الآخرين

٩٥

من الأمور التربوية السلوكية، التي أكدت عليها تعليمات ديننا الحنيف، هي محاولة الانسان ان ينشغل بعيوب نفسه وزلاته وأخطائه، عن عيوب الآخرين وزلاتهم وأخطائهم. لأن في ذلك اسلوب من أساليب تربية النفس، وتقويم السلوك عبر محاسبتها وبذل الجهد في أصلاحها. وبنفس الوقت هو نأي عن عيوب الناس، والتشهير بهم، وما يجر ذلك إلى مشاكل اجتماعية وتأسيس للاحقاد واشاعة للفاحشة.

عن علي(ع): (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)[١].

وفي غرر الحكم يقول أمير المؤمنين(ع):

(ليلهك عن ذكر معائب الناس ما تعرف من معائبك).

ثم قد يكون عيب الآخر وذنبه، مغفوراً له، فكيف يصنع الانسان بعيوبه وذنوبه؟

ولهذه الأمور وغيرها، جاء النهي عن التجسس في القرآن الكريم ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾[٢].

ومن توجيهات النبي (ص) وارشاداته: (لا تتبعوا عثرات المسلمين. فانه من تتبّع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته ومن تتبع الله عثرته يفضحه..)[٣].

وهو تحذير مخيف اذ يجعل الله تعالى نفسه، في ملاحقة ذلك الذي تسول له نفسه البحث عن عثرات المسلمين وعيوبهم، حتى يفضحه الله.. ومن يقوى على ستر من فضحه الله!! وشتان بين من يفضحه العبد، وبين من يفضحه جبار السموات والأرض!!

---

(١) نهج البلاغة- الحكمة ١٧٦ ص٢٥٥ -اعداد صبحي الصالح.

(٢) ١٢ سورة الحجرات

(٣) ميزان الحكمة- الري شهري- ج٢ ص٤٣

ان البعض يصرفون الكثير من أوقاتهم واهتماماتهم في السؤال عن هذا وذاك، عن الصغير والكبير، عن القادم والمغادر، لا يكاد ينجو أحد من عيون مراقبهم، ولا يتخلص أحد من رصدهم، ومتابعتهم، فيكون من ذلك معرفة بعض العيوب واكتشاف بعض المخالفات، فيؤدي ذلك إلى نشرها في المجتمع.

وان اسلوب الاسلام في مكافحة الانحراف في المجتمع متميز، ومن آليات ذلك منع اشاعة الفاحشة، عبر الحديث عنها ونقلها في المجتمع، لأن في ذلك دعوة إلى الانحراف ونشر لأجواء التجرؤ على مخالفة الاحكام وشيوع الفساد. ﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم﴾[١].

ولكي تكتمل الصورة، فبعد النهي عن إشاعة الفاحشة، تأتي تعليمات الاسلام لتحثنا على ستر عيوب الآخرين أو عدم التشهير بهم..

جاء رجل إلى الرسول(ص) وقال: أحب ان يستر الله علي عيوبي: قال(ص): (استر عيوب اخوانك يستر الله عليك عيوبك...)[٢].

وعنه(ص): (من علم من أخيه سيئة فسترها، ستر الله عليه يوم القيامة)[٣].

وفي عهد علي(ع) لمالك الاشتر(رض) نصيحة له، ولكل من تكون له مسؤولية في المجتمع المسلم: (وليكن أبعد رعيتك منك وشأنهم عندك اطلبهم لمعائب الناس. فان في الناس عيوباً الوالي احق من سترها)[٤].

وجاءت الروايات تحذر المؤمن من ان يصاحب متتبع عيوب الناس، ومن نتائج من يسعى لاكتشاف عيوب الآخرين وزلاتهم ان يكون مبغوضاً في المجتمع، مكروهاً من قبل أصدقائه..

مما ورد في غرر الحكم عن علي(ع):

(من تتبع خفيات العيوب حرّمه الله سبحانه مودّات القلوب).

وجميل ما قاله الشاعر:

لسانك لا تذكر به عورة امرىء فكلّك عورات وللناس السن

---

(١) ١٩ سورة التوبة

(٢) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج٧ ص١٤٥

(٣) المصدر السابق

(٤) نهج البلاغة ـ الحكمة ... ص٤٠٩ ـ اعداد صبحي الصالح.

كما ان من نتائج تتبع الناس واستقصاء امورهم ومحاولة البحث المزعج عن احوالهم واسرارهم، يجعل اولئك الباحثين عن عيوب الناس يتصورون أموراً معينة، ويضخمون اخرى، ويفترون ثالثة.

ثم لا يكتفون بذلك بل ويبنون عليها احكاماً وقرارات، حتى بدون الرجوع والسؤال عن مدى مصداقية هذه الأحكام التي يصدرونها بدون تتبع ودقة..

اذن ليكتفي الانسان بالنظر لعيوبه، عن النظر لعيوب الآخرين.. ولأنه لا يزكي الأنفس الا الله تعالى..

اللهم اعنا على انفسنا واشغلنا بعيوبنا وذنوبنا واخطائنا.. عن عيوب الآخرين وذنوبهم وأخطائهم.. يا كريم.

وللمحنة وجه جميل!!

٩٦

جرت عادة الحياة على ان تتناوب فيها أيام السرور وأيام الحزن والمحنة.

ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى من العيش ما يصفو وما يتكدر

وقد تكون الغلبة لأيام السرور أحياناً، وقد تستحوذ ايام الاتراح والالام على مقاطع واسعة من وجود الانسان، ، او امة من الامم.

وان كان يحلو للانسان ان يدعي ان ايام سروره قليلة، بل ومعدمة. إذا قيست بأيام الأحزان والرزايا. يقول ابو الحسن التهامي في أبياته المشهورة في الدنيا:

طبعت على كدر وانت تريدها صفواً من الاقذاء والاكدار

ومكلف الأيام ضد طباعهما متطلب في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار

نعم قد يمر الانسان فرداً، أو أمة بظروف عصيبة خانقة بحيث تطبع الأحزان بلونها القاتم على الحياة وايامها... فاذا سادت مثل هكذا أجواء، فان بعض الناس يزيدها سواداً والماً ومحنةً!! حيث يساهم في تضخيم تلك الظروف الصعبة، ويعتبرها المحنة التي لم تمر على أحد، ولم تعتصر سواه، ولم تلق غيرهُ بمثل ما لاقته به!!

ان الاستغراق في الشعور بثقل الأيام، على النفس، وشدة وطأتها على الروح، تكون له آثار سيئة وخطيرة، قد لا يكون اليأس والاحباط أولها... فيكون الانسان قد احال نفسه إلى ركام محطم بعد ان شلت طاقاته وقدراته وامكاناته..

ولا نريد ان نجافي واقع الانسان، فندّعي سهولة التغافل، ونسيان الواقع ذلك في كل الأحوال، حيث لا بد أن يعرف هذا الانسان حجم الآلام في واقعه، كي يكون على بينة من أمره في خططه وأفكاره وطموحاته... ولكن هذه المعرفة بواقعه المؤلم شيء، وان يضخمها بحيث تحيله متخبطاً في خرائب اليأس القنوط والاحباط شيء آخر.

وهناك نقطة في غاية الأهمية، على الانسان المؤمن ادراكها، والوقوف عندها. إذ

وهناك نقطة في غاية الأهمية، على الانسان المؤمن ادراكها، والوقوف عندها. إذ هناك فرق كبير وواضح بين الرزايا والآلام التي تواجه الانسان باعتباره بشراً يعيش هذه الحياة ومشاكلها واحزانها الطبيعية الملازمة لها، وبين كونه انساناً مؤمناً يواجه النكبات والمحن باعتبارها ضريبة لتمسكه بدينه ودفاعه عن عقيدته ومبدئه!!

فرق بين بلاء يقصدك باعتبارك انساناً عادياً وبين بلاء تَقصده بلحاظ ايمانك ومواقفك، فرق بين محن تسعى إليك كما تسعى لغيرك، ومحن أنت من يسعى إليها ويختارها!!

لنعش لحظات مع توجيهات النبي (ص) وأهل بيته(ع) في هذا البعد المقصود للبلاء والمحنة.

عن النبي (ص): (لا تكون مؤمناً حتى تعد البلاء نعمة)!![1].

ودعنا نتأمل هذه الرواية الرائعة عن الامام الصادق(ع):

(البلاء زين للمؤمن وكرامة لمن عقل!!، لأن في مباشرته، والصبر عليه، والثبات عنده، تصحيح لنسبة الإيمان!!)[2].

اذن حسن التعامل، او لنقل التعامل الايجابي مع البلاء والألم يجعل انتسابك إلى الايمان صحيحاً، فإذا كانت قد جرت عادة المهتمين بالانساب على معرفة اباءك، كي تنسب إلى قبيلة ما، فان الانتساب إلى شجرة الايمان يأتي عبر حسن التعامل مع البلاء!!

ونحن حينما نرجع ونقرأ تاريخنا، ومواقف المؤمنين الصادقين في الظروف الحرجة، والأيام العصيبة والمواقف المخيفة، حينما نقرأ ذلك كله، نهتف من اعماقنا بالقوة الايمان في نفوسهم ويا لصدقهم مع عقيدتهم!! انه تصحيح لنسبة الايمان.

ومن هنا نعلم اننا قد اكتشفنا وجهاً جميلاً للمحنة التي تمر بالمؤمن اذ بها يكتشف عمق الايمان وصدقه معه وثباته عنده.

لنقف مع درس كبير من دروس ثورة الامام الحسين(ع)، مع موقف جسد حالة الارتباط بالله تعالى: ومواجهة المصائب والشرائد بروح رسالية عالية موقف جاء في خضم أعظم فجائع التاريخ وأشدها ألماً، موقف جسدته الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين(ع)، بعد استشهاد أخيها الامام الحسين(ع)، والصفوة الطاهرة الذين نصروه في

(١) ميزان الحكمة ـ الري شهري ـ ج١ ص٤٨٧

(٢) المصدر السابق

واقعة كربلاء وفي ايام السبا المؤلمة، في قصر الامارة بالكوفة، حيث يأتي طاغية عصرها عبيد الله بن زياد تحركه روح الخيلاء الخاوية، والجرأة على الله ورسالته حينما يقف على الحوراء زينب(ع) وحولها الاطفال اليتامى والنساء الثكالى وأمامها رؤوس الأهل والأحبة، يقف ليسألها بكل غطرسة وتكبّر: كيف رأيت صنع الله فيك وفي العصاة المردة من أهل بيتك!؟!

يا ترى ما يكون جواب هذه المرأة المحتسبة، بعد كل هذه الآلام والرزايا التي تحيط بها من كل جانب؟ وإذا بها تواجه مواجهة المؤمن بالله، والواثق بنصره، المطمئن إلى موقفه. واجهته بكلام أحال نصرة المزيف الى هزيمة واقعية منكرة، أحال تكبره إلى احتقار وانهيار، أحال عنجهيته الى حطام وركام..

قالت ابنة علي(ع) يا ابن مرجانه... ما رأيت الا جميلاً!![1]

الله اكبر.. قتل الأحبة جميل، يتم الاطفال جميل، ثكل النساء جميل، سبي الذراري جميل رؤوس فوق الرماح جميل،... جميل لان ذلك في طاعة الله ومن أجل دينه ونصر مبادئه.

وتشاطرت هي والحسين بنهضة ... حتم القضاء عليهما ان يندبا
هذا لمشتبك النصول وهذه ... من حيث معترك المكاره في السبا

وهذا دروس من دروس كربلاء الخالدة.

(١) مقتل الامام الحسين (ع) ـ السيد عبد الرزاق المقرم ـ ص٣٢٤

صلاة قبل القتل

٩٧

كم استطاع الاسلام ان يغيّر من نفوس وقيم واخلاق وممارسات!! إن الذي يقرأ ويدرس تاريخ العرب قبل الاسلام ويدرسها بعده، يجد ذلك التحول المذهل، وذلك الانعطاف الحضاري الكبير..

واستطاع الاسلام ان يعمّق الاحساس، ويقوي علاقة الانسان بخالقه الكريم، وهو حجر الاساس في بناء شخصية الانسان. وانعكس ذلك على كل نشاط الانسان المسلم ومعادلات سلوكه الاجتماعية المختلفة.

وتجسد ذلك في حماسة الدفاع عن الاسلام، وصدق الاندماج الواعي للشهادة في سبيل الله، حتى كان المسلم يرمي تميرات في يده ـ أثناء المعركة ـ ويلقي بنفسه في لهوات الردى، بين مشتبك الاسنة والسيوف. وهو يرفض ان تحول هذه التميرات بينه وبين دخوله الجنة..

ومن المواقف الجديرة بالتوقف والتأمل.. موقف أحد الصحابة المجاهدين ـ صحابي انصاري وهو خبيب بن عدي الأوسي الانصاري، وكان بدرياً أُحدياً. وفي السنة الثالثة للهجرة، جاء وفد إلى رسول الله (ص) من قبيلتي عضل والقارة، وطلبوا منه (ص)، ان يبعث اليهم نفراً من أصحابه ليفقهوهم في الدين، ويقرؤونهم القرآن ويعلمونهم شرائع الاسلام.. فاستجاب النبي(ص) لمطلبهم، واختار ستة من أصحابه. كان منهم خبيب بن عدي..

ولما وصل القوم إلى ماء لقبيلة هذيل، يدعى الرجيع، خان بهم ذلك الوفد وإستصرخوا عليهم قبيلة هذيل المشركة... فقتل من مبلغي الصحابة من قتل وأخذ خبيب اسيراً إلى مكة، حيث اشتراه عقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه الحارث، لأن خبيباً كان قد قتله يوم بدر.

وعرضوا على خبيب ان يتنصل عن الاسلام ويذكر النبي(ص) بسوء، فرفض

فقرروا قتله وخرجوا به إلى التنعيم ـ أي خارج حرم مكة ـ ليصلبوه، فقال لهم خبيب: (ان رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين اتمهما واحسنهما ـ ثم اقبل على القوم فقال: أما والله: لولا أن تظنوا أني انما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة! فكان خبيب بن عديّ أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين)[1].

وقبل ان يقتل وقف كالاسد الهصور وقال هذه الأبيات:

لقد جمّع الأحزاب حولي وألبّوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدي العداوة جاهد علي لأني في وثاق بمضيع
وقد جمعّوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنّع
الى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأحراب لي عند مصرعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت اني لميت ولكن حذاري حجم نار ملفع
ولست ابالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
فلست بمبد للعدو تخشعاً ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي

ويا له من موقفٍ عظيم ـ حيث ركز مفاهيم الاباء والشمم، وهو يعيش أجواء الشهادة. ثم كان قد سنّ هذه السنة الحسنة ـ «الصلاة قبل القتل» ـ.

وإذا بكل مؤمن يصل الى مرحلة الشهادة ودرجتها، لا ينسى ان يصلي لربه ركعتين قبل القتل وفراق روحه هذه الدنيا..

نجد بعد ذلك الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي، حينما يخيره اتباع معاوية وهو على اطراف مدينة دمشق في مرج عذراء، يخيروه بين القتل او البراءة من علي بن أبي طالب(ع) فيختار القتل.. ويستمهلهم حتى يصلي لله ركعتين.. ويقول لهم، مثل ما قال عدي للأبي سفيان ولولده معاوية ـ الذي كان حاضراً مع أبيه في مشركي قريش لما قتل خبيب بن عدي ـ بأنه لولا خشية ان يظنوا به انه أطال الصلاة، خوفاً من القتل لاطالها وان الله يعلم ان تلك هي أقصر صلاة صلاها..

ونجد شهيد الكوفة.. مسلم بن عقيل(ع) يصلي ركعتين قبل ان يضرب عنقه وهو على سطح قصر الامارة..

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ـ عبد السلا هارون ـ ص١٧٦ ـ مؤسسة الرسالة

وتذكر المقاتل أنه بعد ان صلى من بقي من أصحاب الحسين(ع) صلاة الظهر يوم عاشوراء انطلقوا للقتل دفاعاً عن دين الله ونهج رسوله(ص) وعن عترة النبي الطاهرين.

ورائع ما يرثى به اولئك الشهداء:

نعمـــا قرابـين الالـــه مجزرين على الفـــلاة
خير الهدية ان يكـون الـ هدي من زمر الهداةَ
من بعد ما قضوا الصلاة قضوا فداءً للصـــلاَةِ

أعظم الناس حسرة!!

٩٨

تعددت أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم، وكلها أسماء تحكي جوانب ذلك اليوم الرهيب.. ومن أسماء يوم القيامة ورد اسم يوم الحسرة..

قال تعالى ﴿وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر﴾(١)

والتحسر لغة هو: التلهف

والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب، الذي لا منفعة فيه (حسرت الدابة.. اذا تعبت)(٢)

حيث ان من ملازمات يوم القيامة، وندم الناس وشعورهم بالمصير المؤلم المحتوم، من ملازمات ذلك إبداء التحسر، فهو يوم تكثر فيه الحسرات.. حيث ينقطع الامل الا من رحمة الله الواسعة، وشفاعة النبي وآله الطاهرين عليهم سلام الله اجمعين.

وهناك روايتان عن أمير المؤمنين(ع)، في معنى واحد، فيهما بيان الحالة من يكون أعظم الناس حسرة يوم القيامة، يوم الحسرة..

فقد ورد عنه(ع): ان اعظم الحسرات يوم القيامة، حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله فورثه رجلاً، فانفقه في طاعة الله سبحانه، فدخل به الجنة، ودخل به الأول النار!!(٣).

وكذلك فقد سُئل(ع): من أعظم الناس حسرة؟ فقال(ع): من رأى ماله في ميزان غيره، فأدخله الله به النار وادخل وارثه به الجنة!!(٤).

روايتان تجعلان كل انسان في موقع المسائلة لنفسه والتقييم لمنهاج حياته، والمحاسبة

---

(١) ٣٩ سورة مريم

(٢) لسان العرب- ابن منظور- ج٤ ص١٨٨- دار الفكر

(٣) ميزان الحكمة- الري شهري- ج ص٤٣٢

(٤) المصدر السابق

لعلاقته مع أمواله!!

الرواية الثانية لا تخبرنا ان المال قد جمع من حرام، فقد يكون قد جمع من حلال، ولكن لم تخرج منه الحقوق التي أمر الله تعالى باخراجها من الأموال ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل المحروم﴾[1].

ولهذا ورد في الروايات أن الانسان يسأل يوم القيامة عن ماله م اكتسبه، وفيم انفقه.. أي تُسأل عن الموارد التي ادخلت المال إلى حسابك، وعن المخارج التي خرج بها المال منك..

دخل الحسن البصري على عبد الله بن الاهتم يعوده في مرضه، فرآه يصعد بصره في صندوق في بيته ويصوّبه. ثم التفت إلى الحسن فقال له: يا أبا سعيد: ما تقول في مائة الف في هذا الصندوق لم أوّد منها زكاة، ولم اصل بها رحماً... فقال له البصري: ثكلتك امك ولمن كنت تجمعها؟![2]

نعم يجمعها لورثته، فاذا وفقوا لعمل صالح، كان لهم ثواب الجنة، فيما يدخل من جمع المال وادخره ولم يخرج حق الله والناس منه، يدخل النار..

ورحم الله الشريف الرضي حين يقول:

يا آمن الأيام بادر صرفها ... واعلم بأن الطالبين حثاثُ
خذمن ثرائك ما استطعت فانما ... شركاؤك الأيام والورّاثُ
ما كان منه فاضلاً عن قوتك ... فلتعلمن بانه ميراثُ

يتعب المرء في جمع المال، فاذا ذهب فقد يبكيه ورثته أياماً، ثم ينسونه فيعودون يتنعمون بالمال الذي تركه من جمعه..

يقول ابن الرومي:

ابقيت مالك ميراثاً لوارثه ... فليت شعري ما أبقى لك المال
القوم بعدك في حال تسرهُم ... فكيف بعدهم حالت بك الحالُ
ملوّا البكاء فما يبكيك من احد ... واستحكم القول في الميراث والقالُ
الهتهمُ عنك دنياً اقبلت لهمٌ ... وادبرت عنك والايام أحوالُ

وأماّ الرواية الأولى فانها صريحة في أن الذي جمع المال جمعه من حرام، في غير

(١) ٢٤/ ٢٥ سورة المعارج
(٢) موسوعة العذاب- عبود الشالجي- ج١ ص١٥٢- الدار العربية للموسوعات- بيروت

طاعة لله. وفي غير طاعة الله يحتمل ان اساسه كان حراماً، أي من طرق غير مشروعة، كما يحتمل أنه لم يخرج منه ما أوجبه الله في الأموال من حقوق.

يأتي الوارث وهو لا يعلم كيف جمع أبوه أو مورثه الأموال، تأتيه الأموال حلالاً لانها ارث، تنتقل إلى ملكيته بدون تعب أو مؤاخذة..

فيدخل بها الجنة بعدما عمل بها صالحاً في هذه الدنيا..

فكيف لنا أن نتصور حال جامع المال يوم القيامة، حينما يرى مصير نفسه المحتوم الى نار جهنم لأنه جمع مالاً في غير طاعة الله، وبهذا المال - نفسه - يدخل وارثه الجنة.. المال واحد يدخل رجلاً النار، ويدخل الآخر الجنة!! من جمعه يدخل النار، ومن انفقه يدخل الجنة.. فكيف لا يكون اعظم الناس حسرة في يوم القيامة؟!

ألا يا جامع الأموال حرصاً على الدنيا الم تخفْ السؤالا
اتجمعها وتكسبها حراماً وتتركها لوارثها حلالا؟
فيسعد من جمعت له وتشقى الا اقبح بذاك المال مالاً!!

اي والله قبح ذلك المال الذي ادخل جامعه النار... اللهم جنبنا الحسرة يوم الحسرة ياجواد ياكريم.

مفكروا الغرب . . الى الامام نحو الاسلام

٩٩

الاسلام دين الله الذي جاء لخير هذا الانسان وسعادته في الدنيا والآخرة . .

ومهما حاول هذا الانسان المسكين ان يجد ما يروي ظمأ ضياعه ، وتمزقه وآلامه ومحنه ، في غير هذا الدين ، فانه لن يصل الا إلى مزيد من المنغصات والعثرات . . .

انه الدين الذي جاء رحمة للعالمين ، كما هي صفة نبيّه العظيم(ص) .

ولأنه الدين الخاتم للاديان . . فهذا يعني انه الملجأ الذي وضعه الله للبشرية على مختلف ازمنتها وامكنتها لكي تأوي اليه من محنها ، والمعين الرقراق الصافي الذي جعله فياضاً ، ليروي عطش الانسان للحقيقة والسعادة .

وفي عالم الغرب ، الغرب الذي جرّب كل الاطروحات والافكار والاديان ولم يصل إلى ما يريد ، بل ازداد بؤساً وعقداً وآلاماً وشقاءً . .

في عالم الغرب تتعالى بين حين وآخر ، من مفكريه وعلمائه المنصفين ، صيحات التنبيه لقومهم أن اتجهوا نحو برّ الأمان نحو النور الحقيقي نحو الاسلام . . .

وقد تعالت أخيراً العديد من هذه الأصوات . .

ولعل من أشهرها صوت روجيه غارودي الذي كتب وحاضر والف في هذا المجال ولعل كتابه (الاسلام هو البديل) يحكي النتيجة والحقيقة التي وصل إليها .

ومن النماذج الغربية الأخرى التي دعت العالم الغربي إلى تفهم الاسلام وانه المنقذ الوحيد للعالم ، من هؤلاء المنشق الروسي الشهير (الكسندر سولجستين) والذي كان قد لاذ بالغرب هارباً من الشيوعية التي كانت طاغية في بلاده لمدة عشرين عاماً . فالذي كان قد راح . يبشّر بالعودة الى رحاب الدين ، وانجيل يوحنا كمخرج وحيد للتحرر من المأزق الاجتماعي والخلقي المهين الذي وصل إليه .

وإذا بهذا الرجل ، يعلن في انعطافه كبيرة من الفكر بعد تمحيص طويل ، وامعان نظر دقيق ، ان لا مفر من العودة إلى الاسلام القادر وحده على ملأ خواء البشرية

الفكري! وحذّر رجال السياسة في العالم من مغبة التصدي للاسلام ودعاهم الى افساح المجال لنفوذ الاسلام لإصلاح العالم!!

هذا التصريح أحدث دوياً هائلاً في العالم، استقطب الأفكار والانظار من حوله، لأنه رجل شخص الداء والدواء معاً. واحدث هزة عنيفة بين فلاسفة ومفكري الغرب. لأنه طرح فكرة جديدة لم يجرؤ أحد من قبله على طرحها، بهذه الصراحة والوضوح وتركت أصداءً طيبة بين مسلمين العالم. ولما عاد سولجستين إلى روسيا بعد ذلك الغياب، صرح: انه يعود صفر اليدين ولا يحمل جديداً لشعب روسيا واعلن في كلمة له بمجلس نواب شعب روسيا: انه لا شيء بمقدوره انقاذ المجتمع البشري، وخاصة روسيا من أعصار اللادينية، الا الاسلام!! وهو يعتقَد ان الأقلية المسلمة في روسيا هي أنقى وأسلم وأصفى قطاعات الشعب الروسي في الناحية الفكرية والعقائدية. .

ومن جهة أخرى يقول بابلو نيرودا، شاعر تشيلي الكبير والشيوعي، واحد انصار الرئيس التشيلي الندي، يقول في كتابه (خواطر): ذهبت الى سنغافورة، وزرت اشكال المعابد، ودخلت يوماً ما يشبه المعابد، فلم اجد صوراً ولا تماثيل، خلافاً للمعابد وعلمت ان مسجد. فجلست في احد اركانه وكانت على جدرانه خطوط عربية. ورحت اغرق في دوامة فكر عميق، وبعد لحظات جاءني أحدهم وسألني: ماذا تفعل هنا؟ قلت: أفكر! فأجاب: لقد جئت للمكان المناسب، لأن المسجد مكان لأعمال الفكر ثم العبادة!! ادهشني الجواب لأنني لم اسمع من قبل ان المعابد مكان لامعان الفكر!!

كما وامتدح الأمير تشارلز، ولي عهد بريطانيا، الاسلام حتى ظن الكثيرون أنه يشهر اسلامه، حينما اعلن في مؤتمر للبحوث الاسلامية بجامعة اكسفورد: ان اسلوب تفكيرنا عن الاسلام بعيد عن الحقيقة!! فنحن نظن ان الاسلام يغمط حقوق المرأة، في حين ان حقوقها مطروحة في القرآن. ونحن نتعامل عادة بانفعال سلبي مع الإسلام!!

الإسلام يعلمنا أن حياة الانسان غير محصورة في بعدها المادي، وانما كذلك في بعدها الروحي. واليوم فاذا أردنا تفادي انفراط عقد الاسرة والانحرافات الخلقية المختلفة، والتي تهدد المجتمعات البشرية، فعلينا ان نستجير بالاسلام. . وانا شخصياً اعتقد ان الغرب وبغية معالجة مشاكله. . عليه ان يستعين الاسلام!![1].

(١) استفدته من مقالات في صحيفتي الخليج والحياة

هذه اراء وتصريحات مفكرين وسياسيين غربيين عن الاسلام، رغم الخلفيات الغربية السيئة عن الاسلام، ورغم قلة المبلغين والدعاة الذين يعون ما يقولون حينما يريدون شرح الاسلام ومبادئه للغربيين . .

بل ورغم سوء علاقتنا - كمسلمين - مع الاسلام!! وهذا أخطر عوامل المعادلة! لأن سوء تصرفنا في علاقاتنا، ومعاملاتنا، خاصة بالنسبة للمسلمين المقيمين في الغرب، يجعلنا نرتكب جريمة كبرى من حيث نشعر او لا نشعر - بحق ديننا العظيم . . حينما يكون سلوكنا مغايراً لما يريده الاسلام منا . .

فكيف سيكون وضع العالم كله - وليس الغرب فقط - لو كنا متمسكين بديننا في اخلاقنا ومعاملاتنا وسلوكنا .

وهذا ما كان يؤكده النبي(ص) وآله الطاهرون عليهم السلام، فعن الامام الصادق(ع): كونوا لنا دعاةً صامتين!! أي بالسلوك القويم والخلق العالي والصدق في العلاقة . .

والذاكرين اللّه كثيراً . .

١٠٠

جمع الله تبارك وتعالى، صفات ضمت كلا الجنسين الذكر والأنثى، حيث يشتركان في الايمان بالله والمواصفات التي يريدها الله في عباده الصالحين ـ جمعت ذلك آية في سورة الاخراب:

﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله والذاكرات، أعدّ الله لهم مغفرة واجراً عظيماً﴾(١).

حيث نجد ان الله تعالى، قد جعل ختام تلك الصفات الجليلة والكريمة التي يتصف ويتحلى بها المؤمنون والمؤمنات، جعلها في (الذاكرين الله كثيراً والذاكرات).

فذكر الله تعالى جعل في اخر الصفات لمزيد من التذكير به والاهتمام . .

وهكذا اردنا ان يكون آخر مواضعينا المائة، حول ذكر الله تعالى إستناناً بما ذكره القرآن الكريم . .

ذكر الله هو البرنامج الذي لا يفارق الانسان المؤمن ليله ونهاره.

ولهذا نجد ان الشريعة المقدسة، جاءت باذكار لكل نشاط يمارسه هذا الانسان . .

فهناك ذكر خاص لمن فتح عينيه صباحاً من نومه . .

وهناك ذكر خاص لمن دخل بيت الخلاء او تخلى أو خرج منه . .

وهناك ذكر خاص لكل فقرة من فقرات الوضوء والغسل . .

وهناك ذكر خاص للاكل والشرب.

وهناك ذكر خاص اذا اريد ركوب وسيلة النقل

وهناك ذكر خاص للسفر في بدايته واوبته . .

---

(١) ٣٥ سورة الاحزاب

وهناك ذكر خاص للزواج وارادته . . وما اليها من النشاطات .

وهكذا لا نجد مفصلاً من مفاصل الحركة الا ولها دعاء خاص وذكر خاص . .

لكي يعيش المؤمن حالة الذكر بالله تعالى، كي لا ينسى الانسان ربه، فاذا نسي ربه، نسي نفسه وارتكب الاثام والجرائم والذنوب .

وجاءت، عدة آيات تؤكد على موضوع الذكر منها :

﴿فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾(١) .

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾(٢) .

﴿واذكر ربّك كثيراً وسبح بالعشي والابكار﴾(٣) .

وغيرها كثير وكثيراً اضافة إلى عشرات الاحاديث التي تدعو المؤمن ان يكون من الذاكرين الله تعالى .

ولنعوّد أنفسنا على ان نشغل أوقات فراغنا بذكر الله تعالى . . فاذا ما سافر احدنا مسافة طويلة، فلماذا يبقى ساكناً او لاهياً؟ ليجرب ذكر الله تعالى ـ فمثلاً قراءة سورة التوحيد ١٠٠ مرة تأخذ اثنتي عشرة دقيقة فيما الصلاة على محمد وآل محمد ١٠٠ مرة تأخذ اقل من خمس دقائق . . وهكذا .

ان وجود مسبحة معك أخي المؤمن مما يعينك على ذكر الله تعالى ـ فاذا ماسافرت، أو جلست في حديقة ما، او كنت في صف تنتظر دورك في معاملة او شغل . . فلا تبقى ساكتاً . . اذكر الله تعالى . .

والذكر ليس مجرد كلمات تقلب في الأفواه وتلوكها الألسن، بل المفروض ان ينعكس هذا الذكر على سلوك الانسان، لأنه يذكره بالله . فلا يعقل أو يتوقع من يذكر الله أن يرتكب المعاصي . .

وقد مرت بنا رواية سابقاً في موضوع (ظالم يذكر الله) عن الامام الصادق(ع) فيما يوضح معنى ذكر الله بقوله(ع): واني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر . . وان كان من ذلك، ولكن ذكر الله في كل موطن اذا هممت على طاعة او معصية!!

---

(١) ١٥٢ سورة البقرة

(٢) ١٩١ سورة آل عمران

(٣) ٤١ سورة آل عمران

نعم هذا هو معنى الذكر لله تعالى ـ ذكر ينعكس على سلوك المؤمن الذكر واخلاقه ومعاملاته . .

ان في ذكر الله راحة النفس واستقرار الروح واطمئنان القلب ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1] .

ولأن ذكر الله يقوى الايمان في القلب ، ويشد الانسان المؤمن الى دينه ، وتعاليم شريعته فقد وردت الأخبار باستحباب التركيز على الذكر في مواضع عدة ، غير الذكر العام منها :

١ ـ عند لقاء العدو في المعارك ، حيث ان الذكر يقوي الايمان ويشد من عزيمة المؤمن .

٢ ـ عند دخول الأسواق ليتذكر الانسان ربّه فلا تغره الدنيا ، واغراءات الأموال .

٣ ـ عند هجوم الهموم على الانسان ، فلكي لا يكون الانسان فريسة للشيطان ، ووساوسه واستغلال ضعف النفس عند كثرة الهموم . . الجأ إلى الله وزد من ذكره تعالى .

٤ ـ عند الغضب . . لانه حالة قد تتولد منها مواقف غير صحيحة ، قد يندم عليها الانسان بل وقد تؤدي إلى عواقب وخيمة . . اذن اذكر الله عند الغضب .

٥ ـ عند الخلوة . . كي لا تملأ بالشيطان واغراءاته . . بل تأتي الروايات لتؤكد على الانسان المؤمن استحباب ذكر الله حتى حين يمارس لذاته شهواته . .

عش الحياة ومعادلاتها وكن ذاكراً لله تعالى . . .

اللهم اجعلنا من الذاكرين ونبهنا من نومة الغافلين وتقبل أعمالنا بافضل القبول يا أكرم الأكرمين .

---

(١) ٢٨ سورة الرعد

المصـادر

القرآن الكريم .
نهج البلاغة ترتيب د . صبحي الصالح .
الصحيفة السجادية .
الاحتجاج ـ للطبرسي ـ .
الاسلام ومتطلبات العصر ـ الشيخ المطهري ـ طبع مشهد المقدسة .
اعيان الشيعة ـ السيد محسن الامين ـ دار التعارف .
اقتصادنا ـ السيد محمد باقر الصدر ـ دار التعارف .
انيس النفس .
الباقيات الصالحات ـ الشيخ عباس القمي .
بحار الانوار ـ العلامة المجلسي ـ مؤسسة الوفاء .
تاريخ الطبري ـ حسين جرير الطبري ـ المطبعة التجارية الكبرى ـ القاهرة .
تحف العقول ـ ابن شعية . دار القارئ .
التمحيص ـ ابن شعبة ـ دار القارئ .
تهذيب سيرة ابن هشام ـ عبد هارون ـ مؤسسة الرسالة .
الحكومة الاسلامية ـ الامام الخميني ـ المكتبة الاسلامية الكبرى ـ طهران .
رحلة ابن بطوطة دار صادر ـ بيروت .
سيرة الائمة الاثني عشر ـ السيد هاشم معروف الحسني .
عيون أخبار الرضا (ع) ـ ابن بابوية القمي ـ مؤسسة الاعلمي؟
غرر الحكم ـ عبد الواحد الامدي التميمي ـ موسسة الاعلمي .
في رحاب أئمة أهل البيت(ع) ـ السيد محسن الامين ـ دار التعارف .
المحاسبة والاضواء ـ الجاحظ ـ دار احياء العلوم .
مراقد المعارف ـ الشيخ محمد حرز الدين ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف .

مروج الذهب ـ المسعودي ـ دار الهجرة ـ قم .
مصادر نهج البلاغة ـ السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ـ دار الزهراء .
معالم المدرستين ـ السيد مرتضى العسكري ـ مؤسسة البعثة .
مفاتيح الجنان ـ الشيخ عباس القمي ـ دار الاضواء .
مقاتل الطالبيين ـ ابو الفرج الاصفهاني ـ المطبعة الحيدرية / النجف .
مقتل الحسين (ع) ـ السيد عبد الرزاق المقدّم ـ دار الكتاب الاسلامي .
مقتل الحسين (ع) ـ السيد محمد تقي بحر العلوم ـ دار الزهراء .
موجز احكام الحج ـ السيد محمد باقر الصدر ـ دار التعارف .
موسوعة العذاب ـ المحامي عبود الشالجي ـ المؤسسة العربية للموسوعات .
وسيلة الدارين في انصار الحسين (ع) ـ السيد ابراهيم الزنجاني ـ مؤسسة الاعلمي .
وحي القرآن ـ الشيخ محمد مهدي الاصفي ـ قم .

الفهرس

الاهداء	٥
التقديم ـ بقلم العلامة السيد عبد الله الغريفي	٧
مقدمة الكتاب ـ قصتي مع المحراب	٩
١ ـ المسجد قلب المجتمع	١٣
٢ ـ الصلاة في جماعة صلاة في قوة	١٥
٣ ـ ادخال السرور على قلب الاخ المؤمن	١٨
٤ ـ سجية ونية!	٢٠
٥ ـ طهر دائم	٢٢
٦ ـ كذب ولا كذب!	٢٤
٧ ـ المؤمن والرغبة	٢٦
٨ ـ المحنة خافضة رافعة!	٢٩
٩ ـ المؤمنون أولى بكل خير	٣١
١٠ ـ كن انت المخاطب بالقرآن	٣٣
١١ ـ الأذان شعار الاسلام	٣٦
١٢ ـ الهمّة	٣٩
١٣ ـ الاسلوب الهادف	٤٢
١٤ ـ أول المضحين وآخر المستفيدين	٤٤
١٥ ـ ليبقى المعروف معروفاً والمنكر منْ	٤٦
١٦ ـ مرجع وأم	٤٨
١٧ ـ هل ان الدنيا سجن المؤمن؟	٥٠
١٨ ـ شاء الله ان يراهن سبايا.	٥٢
١٩ ـ سنة حسنة وسنة سيئة!	٥٤
٢٠ ـ العمل روح الحياة.	٥٧
٢١ ـ آحاد وعشرات.	٥٩
٢٢ ـ من أخلاق الامام الرضا(ع).	٦١
٢٣ ـ مفلس يوم الحساب.	٦٣
٢٤ ـ ابن لي بيتاً!	٦٧
٢٥ ـ اجهزة انذار.	٦٩
٢٦ ـ ترق ولكن لا على اكتاف الآخرين!	٧١
٢٧ ـ الحاجة الى الغير ضرورة.	٧٤
٢٨ ـ المناعة الذاتية أولاً.	٧٦
٢٩ ـ ومن السنة ـ الاطعام.	٧٩
٣٠ ـ يقول يا ليتني قدمت لحياتي.	٨٢
٣١ ـ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.	٨٤
٣٢ ـ أشعره بالثقة فيه.	٨٧
٣٣ ـ لا تقطع سبيل المعروف.	٨٩
٣٤ ـ إياك والكلام السيئ.	٩١
٣٥ ـ الاعتذار.	٩٦
٣٦ ـ التمسكن وادعاء الفقر.	٩٩
٣٧ ـ ثلاث ساعات.	١٠١
٣٨ ـ خيركم خيركم لاهله.	١٠٣
٣٩ ـ عزائم ورخص.	١٠٦
٤٠ ـ فقير يتصدق!	١٠٩
٤١ ـ خفيّ مطلوب.	١١١
٤٢ ـ الشيبة في الاسلام.	١١٣
٤٣ ـ احسن اليهم قبل ان يولدوا!	١١٥
٤٤ ـ حسنة ونار، سيئة وجنه!	١١٧
٤٥ ـ شخصية متكاملة.	١١٩
٤٦ ـ رجل بخيل.	١٢١
٤٧ ـ مفاجأة في القيامة.	١٢٣
٤٨ ـ سوق العرج.	

٤٩- احسن الظن. ١٢٥
٥٠- احذر من حسن الظن! ١٢٨
٥١- القرّاء في صفين. ١٣١
٥٢- مسؤولية التقييم! ١٣٣
٥٣- صدّق ظنون الخير. ١٣٥
٥٤- السلام تحية الاسلام. ١٣٨
٥٥- صفّان في سبيل الله. ١٤٠
٥٦- لا تقاعد في عمر الجهاد! ١٤٢
٥٧- وطن وغربة. ١٤٤
٥٨- اختصاص وتقليد. ١٤٧
٥٩- المظلوم لا يظلم غيره. ١٥٠
٦٠- مطارد يخيف الظالمين! ١٥٢
٦١- لا تذموا الدنيا! ١٥٤
٦٢- لا صلة للرحم المنحرف. ١٥٧
٦٣- وقور عند الهزاهز. ١٦١
٦٤- السفر الهادف. ١٦٤
٦٥- اذا مدحك مادح. ١٦٧
٦٦- مجاهدون مخضرمون. ١٧٠
٦٧- كن الافضل. ١٧٣
٦٨- زر اخاك في بيته. ١٧٦
٦٩- إياك والكسل! ١٧٩
٧٠- بين اصفهان والبحرين! ١٨٢
٧١- حضارتان. ١٨٥
٧٢- قساوة القلب. ١٨٨
٧٣- فقيه.. وفقيه! ١٩٠
٧٤- مجهولون. ١٩٣
٧٥- قريبون منسيون! ١٨٢
٧٦- التغيير بجلد النشاط. ١٩٨
٧٧- اعتزال المجتمع. ٢٠١
٧٨- الاعتكاف دعوة للتأمل. ٢٠٥
٧٩- ما اجمل الانصاف. ٢٠٧
٨٠- اقالة العثرات. ٢٠٩
٨١- نداء الى كل الاعمار! ٢١٢
٨٢- العدوى الاجتماعية! ٢١٥
٨٣- الطاقات ومسؤولية توظيفها. ٢١٧
٨٤- علم وتقوى وحكمة! ٢١٩
٨٥- القبلة وصناعة المسلم الهادف. ٢٢
٨٦- ظالم بذكر الله! ٢٢٤
٨٧- صور من جهاد الفاتحين. ٢٢٦
٨٨- وصور لمؤمنات صابرات. ٢٢٩
٨٩- درس عملي في الاخلاق. ٢٣٢
٩٠- حنين الى الاوطان. ٢٣٦
٩١- المظاهر والتقييم. ٢٣٩
٩٢- الشكوى من الزمان. ٢٤٢
٩٣- رضا الناس. ٢٤٥
٩٤- من مظاهر رحمة الله تعالى. ٢٤٨
٩٥- باحث عن عيوب الآخرين. ٢٥١
٩٦- وللمحنة وجه جميل! ٢٥٤
٩٧- صلاة قبل القتل! ٢٥٧
٩٨- اعظم الناس حسرة. ٢٦٠
٩٩- مفكرو الغرب: الى الامام نحو الاسلام. ٢٦٣
١٠٠- والذاكرين الله كثيراً. ٢٦٦
المصادر ٢٦٩
الفهرس ٢٧١